افتتاحية

عام جديد

بهذا العدد تستقبل « إبداع » عامها الرابع

ونقف هنا ـ كما تعودنا ـ لنلقى نظرة سريعة على ما أنجزناه من أحلامنا وأحلام القراء والمبدعين خلال العام الذى انقضى ، ونجيب على تساؤلات كثيرة تشغل جميع من نتواصل معهم على امتداد الوطن العربى كله ، ونحاول أن نستشرف معهم آفاق المستقبل ، مؤكدين للجميع مرة أخرى أن هذه المجلة ستظل مجلتهم ، وأننا سنحرص كما حرصنا فى الأعوام الثلاثة الماضية أن تبقى « إبداع » نافذة مفتوحة ومضيئة تستقبل شعاع الإنتاج الفنى الجيد لتصل به إلى جمهوره الحقيقى .

وسنحيل القارىء إلى الكشاف السنوى « العدد الماضى ـ ديسمبر ١٩٨٥ » ليرى أننا نشرنا حوالى ٣١٧ مادة ما بين قصيدة وقصة قصيرة ومسرحية وتجارب شعرية وقصصية وفنون تشكيلية ودراسات نقدية . . . الخ وأن كتاب المجلة فى العام الماضى بلغ عددهم ٢٣٨ كاتباً .

وسيجد القارىء أن المجلة نجحت فى إقامة جسور التواصل مع الشعراء والقصاصين والدارسين ليس فى مصر وحدها من أقصاها إلى أقصاها ، وإنما كذلك مع المبدعين فى أبعد نقطة من الوطن العربى الكبير .

إن الشىء الذى نحب أن نسجله هنا هو أن المجلة لا تصل بانتظام إلى البلاد العربية ـ باستثناء المغرب ـ وذلك لأسباب خاصة بمشاكل التصدير والعملة والمعوقات الأخرى التى ليس هنا مجال عرضها ، ولكن المجلة تقرأ فى كل بلد عربى ، ودليلنا على هذا تلك الأكداس ـ حقيقة لا مجازا ـ من الرسائل والقصص والشعر والدراسات النقدية التى لا ينقطع ورودها إلى المجلة ، ونعرف من خلال تلك الرسائل أن بعض دور النشر الخاصة أو المكتبات تقوم بمهمة توزيع المجلة أو أنها ترسل بشكل خاص عن طريق الأصدقاء . . ولكننا نأمل أن يأتى يوم تصل فيه المجلة بشكل منتظم إلى كل مدينة وقرية عربية ، وأن يقرأها من يريد فى تلك البلاد فى نفس الوقت مع سكان القاهرة .

تبقى مشكلة هذا الكم الهائل من الإنتاج الفنى الذى لا ينقطع وصوله إلى المجلة ، والذى يمثل عقبة حقيقية نعجز فى أغلب الأحيان عن حلها ؛ إذ لا نستطيع أن ننشر كل ما يصل إلينا من أعمال فنية جيدة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والمشكلة قائمة حتى بالرغم من أن مجالات النشر مفتوحة الآن فى كل البلاد العربية ، وأن الترحيب بنشر الأعمال الأدبية يتجاوز المجلات المتخصصة والمتعددة إلى الجرائد التى تفرد كثيراً من صفحاتها أسبوعياً بل يومياً لنشر الإنتاج الأدبى .

ولكن كثيراً من المبدعين يواصلون شكاواهم من أنهم مهما نشروا خارج مصر ومهما رُحب بإنتاجهم ، فهم لا يعتبرون أنفسهم أدباء إلا إذا قرئت أعمالهم فى مصر ونشرت لهم المجلات المصرية ، وهذا شىء طبيعى ، أما الغريب فى الأمر فهو أن كثيراً من الكتاب فى البلاد العربية يشكون نفس الشكوى ويطالبون بحقهم فى نشر إنتاجهم بمصر ، وهذا بالتأكيد حقهم كما هو حق كل مبدع فى الوطن العربى كله ، وهو شىء كذلك نعتز به .

والصعوبة التى تواجه المجلة أننا رغم نشر حوالى عشر قصص ، وخمسة عشر قصيدة ، وأربع دراسات ، وملزمة كاملة للفن التشكيلى كل شهر . . رغم هذا نعرف أن مجلة وحيدة لنشر الإبداع الفنى لا تكفى حتى مبدعى القاهرة وحدهم .

والحل الذى لا يرضى الكثيرين ــ وإن كان هو المتاح الآن ــ أننا نحاول وسط هذا الكم الهائل من الإبداع الفنى أن نقدم للقارىء أكثره تميزاً وجودة وخصوصية ، محاولين فى الوقت نفسه ألا نغلق مجلة « إبداع » على كتاب مصر وحدهم .

ولعل القارىء المنصف يمكنه أن يكتشف ذلك بسهولة ، إذا رجع فقط إلى العدد الماضى من هذه المجلة ؛ فبالإضافة إلى شرط الجودة الفنية ، سيجد فى هذا العدد قصصاً وقصائد كتبها للمجلة كتاب من : القاهرة ، والمنصورة ونجع حمادى ، وكفر صقر شرقية ، ومنيا القمح ، والمينا ، وأسوان ، والإسكندرية ، والجزائر ، والمغرب ، وتونس ، والعراق ، والطائف « السعودية » .

إنه اختيار صعب ، ولكن يحكمه دائماً هذا الشرط الأساسى وهو أن يكون العمل الفنى جيداً بصورة تميزه ولا تجعله ظلاً أو تكراراً لأعمال فنية سابقة ، ولم يعد هناك خلاف على الأسس التى يرتكز عليها العمل الفنى الجيد ، وقد سبق أن لاحظنا فى العام الماضى ــ من واقع ما يصل إلينا من إنتاج أدبى ــ أهمية أن يدرك الكتاب ضرورة الارتقاء فيما يكتبونه للمجلة الأدبية ، وأن يعالجوا النواقص الخطيرة فى مهاراتهم الكتابية ، وهذه النواقص إذا كانت مقبولة كواقع لغوى الآن ، فهى لا تقبل مطلقاً من الشاعر والقصاص وكاتب المسرح ، لأن اللغة هى مجاله وميدانه ، هى أداته ومهارته ، هى وسيلته وإحدى غاياته الفنية .

ولعلنا بالتذكير مرة أخرى بأهمية لغة الكتابة ، نجيب على كثير من التساؤلات ، ونقلل من الشكوى الدائمة التى لا يملها كتابنا ، خاصة الشباب منهم .

ونود أن نؤكد من جديد أن مجلة « إبداع » لا تأخذ موقفاً من أحدٍ أو من جماعة أو من نوع معين من الإبداع الفنى ، وأنها ستظل دائماً نافذة مفتوحة لكل الأعمال الفنية الجيدة على امتداد الوطن العربى كله .

ونأمل أن يأتى يوم قريب نجد فيه أكثر من مجلة أدبية متخصصة وجادة تتحمل معنا تلك المسئولية الخطيرة ، مسئولية أن تشع القاهرة أضواءها من جديد ، وأن تؤدى دورها الريادى والطبيعى وسط المنطقة العربية .

« التحرير »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دراسة

إمام آخر الزمان

محمد محمود عبد الرازق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فى حياته اليومية نراه قطا وديعا ، يؤثر السلامة ويمشى جنب الحيط . لكن حتى وهو يتمسح بالحيطان ، نلحظ فى رأسه عينين قلقتين متحفزتين للانقضاض فى أى لحظة دفاعا . فى كتاباته يتحول الدفاع إلى هجوم ، الاستكانة الأليفه إلى انقضاض . وعندما يتم العمل لا يستريح ، لا يهدأ قلقه ، ولا تعرف الأمان استكانته . يخشى مغبة عمله : خربشة أظافره ، وتمزيق أنيابه ، وسرقته للنوم من أعيننا ، فيظل يدور حول نفسه طلبا للأمان .

القط الذى يخربش ويجرى يبدو لى الصديق محمد جبريل - إذا قابلنا بين حياته وكتاباته - هكذا وخاصة فى روايته « الأسوار »[1] و « إمام آخر الزمان »[2] .

وقد رأينا أن باعثه على كتابة « الأسوار » كان الخوف منها ، وليس امتحانها ، وأن طلب الأمان عنده تمثل فى بثها بعض فقرات توحى بأن الزمان غير الزمان . فى « إمام آخر الزمان » فإنه يطلب الأمان منذ البداية بهذا التصدير : « هذه الرواية نسج خيال واذا كان إطارها يبدو دينيًا ، فإن مضمونها أبعد ما يكون عن تناول القضايا الدينية » . ثم يتصدر المنبر ليعظ : « إن الذى ينشد أمورا دينية ، عليه أن يفتش عنها فى كتب الدين وما أكثرها » وينتقل إلى تقية أخرى « وإذا توالت الأسماء - خلال الأحداث - لأماكن وبشر فى هذا القطر العربى أو ذاك ، فمرد ذلك إلى الواقع الفنى ، وليس إلى الواقع التاريخى » ثم يلح فى نهاية التصدير على تحرزه بنبرة تحاول جاهدة ابتلاع الخوف،لتبدو صامدة « أكرر : هذه الرواية نسج خيال » .

ولم تكن الرواية بحاجة الى هذا التصدير فالإيغال فيها كفيل وحده بتحديد بعدها السياسى لا الدينى ، فهى تدين الذين يجعلون من المسجد طريقا إلى السلطة . والمسجد هنا ليس سوى رمز ينضوى تحته كل المزيفين الذين يرفعون راية « الثورة » سعيا وراء « الثروة » أو « شهوة الحكم » . .

كل الذين ينشرون « قميص عثمان » ويبكون ويقسمون ألا يمسهم الماء إلا للغسل من الجنابة حتى يقتصوا من القتلة ، ثم يلبسون القميص على منبر دمشق ويبكون أمامه وتحته فإذا ما عبروا الجسر إلى السلطة أهملوا القميص ، ونسوا نشدان القاتل ، ونشروا الذعر والخراب والموت .

والمأساة أن « يزيد » يظهر دائما تحت راية « الحسين » وأن « المسيخ الدجال » يظهر دائما فى ثياب « المسيح عيسى بن مريم » . . حتى كفر الناس بـ« الثورة » . . « وإرادة التغيير » وطفحت على ألسنة الساثرين خلف الإمام والثائرين ضده بثورة مصيبة هذه الثورات أنها جاءت تحت شعارات بليغة تقطر دقة وعذوبة ، لتناقش بعد ذلك حقنا فى التنفس . . « لأنه لم يكن يرضينا نظام ما ، وفى وقت ما . . فلقد جاءت ثورة ، تبعتها ثورات . . وشهاب الدين أظرط من أخيه . . « لا أخفى عليكم أن كلمة ثورة تصيبنى الآن بالقرف . . أقسى أنواع الظلم عشناه فى ظل هذه الثورات المباركة » . . « كل ما نرجوه من هذه الثورات المتتالية أن تهدأ قليلا » .

هكذا سفر وجه الهادى المهدى المختار من الله بعد أن اعتلى

أريكة الحكم « اقترب اليوم الموعود : إشراقة الفجر وسطوع النور ، وحلول البركة الربانية ــ بتلاحق الأوامر والنواهى والممنوعات . . فللحياة « خارج البيوت ـ ليلا ـ عقاب ، وللتسلى بالجلوس أمام الدكاكين والشرفات عقاب ، وللصفير فى مكان عام عقاب ، وللتكسب بتلاوة القرآن عقاب ، ولارتداء الثياب غير اللائقة عقاب ، ولتركيب أطقم الأسنان عقاب ، وللامتناع عن الزواج ـ بعد سن معينة ـ عقاب والممنوعات تمتد ، فتشمل بيع المحظورات لغير الإمام وبالقيمة التى يحددها ، وعمليات الاستيراد والتصدير وقف على الإمام وحده ، ومواصلة الدراسة بعد سن الثالثة عشرة ، واستكمال الدراسة فى الخارج وعودة المهاجرين ومغادرة البلاد » .

والإمام الذى تلاه نادى بسيادة القانون ، لكن الصيغ المطاطة لقانونه حولته الى سوط عذاب : الحرية المطلقة للمواطنين « فى حدود القانون » . . « فى ظل القانون » . . . « فى إطار الشريعة وتعاليمها . . » وفى ظل القانون ، صارت السجون أكثر ازدحاما من أى وقت مضى . . وعمليات الإعدام . . كما نادى بـ « الرأى المعارض » « والمشورة » و« رأى الأغلبية » وأصدر منشورا بتوقف وسائل الإعلام عقب الصلاة مباشرة وإغلاق دور السينما وتعطيل وسائل المواصلات ، ثم طرح « كل القوانين التى صدرت وتلك التى يعد لإصدارها فى استفتاء عام ، ليعلن الشعب قولة الحق فيما يوافق عليه ، وفيما لا يوافق » . . وقد حرص من يومها على إجراء الاستفتاءات العامة فى كل الخطوات التى ينوى الإقدام عليها حتى تلك التى يشك ، فى تأييد الناس لها ، فلابد أن تستند القرارات إلى الشرعية ، أو أن لها بعض السند الشرعى فى إجماع العامة برغم الهمسات المغرضة بالغش والتزوير وتصويت الموتى واستبدال الصناديق ، فإن النتائج كانت ـ على الدوام ـ فى جانب التأييد للقوانين والتشريعات التى ما صدرت إلا لصالح الوطن والمواطنين . . »

ورغم كثرة إشارات الكاتب إلى واقع معين ، دون تقيد بالتسلسل الزمنى . وإلى وقائع أضحى لها مغزاها فى أذهان الأجيال المعاصرة مثل الحزب الواحد والمصادرة وحظر بيع المحاصيل لغير الدولة وبالسعر الذى تحدده وغضب السلطة من التجمع والهتاف وراء جنازة الزعيم الشعبى وسيادة القانون والشرعية والاستفتاءات ، فإننا نظلم الرواية اذا ما حاولنا حصر رؤيتها فى إطار زمنى معين . كما نظلمها إذا ما حاصرناها فى بقعة من الأرض محدودة ، إذ أنها تتحدث أيضا عن الحاكم الذى يقسم موارد الدولة بالعدل والقسطاس « فيأخذ خمسها ويودع الأخماس الأربعة الباقية بيت المال ، على أن توزع ـ فيما بعد ـ بما تحتاجه مؤسسات الدولة » . وعن أولئك الذين أمروا بإزالة الاضرحة وتسويتها بالأرض ، فإذا ما صرخ الحارس مستغيثا أسكتته رصاصة فى حلقه . كما تتحدث عن الدكاكين التى تترك مفتوحة ويذهب أصحابها لأداء الصلاة ، وعن ممارسات جنسية شاذة فى شارع الحمراء . واذا كانت تتخذ البلدان العربية مسرحا لها . ويؤكد صاحبها على ذلك فيقول إنها كتبت فى الاسكندرية والقاهرة وعمان وبيروت ومسقط والرياض والدوحة وتونس والكويت وأبو ظبى والجزائر ونواكشوط والفجيرة . . وينسى النجف الأشرف رغم أنه يحتل مكانا مرموقا وهو يقدم صورة معبرة عن يوم عاشوروا ، وما يحدث فى كربلاء . نقول إنها إذا كانت قد اتخذت من البلدان العربية مسرحا لها ، فإن اثرها ينسحب على كل بقعة من بقاع الأرض فقدت بكارتها وانطلت عليها الخدعة .

ونظلمها ثالثا ـ إذا عكسنا رؤيتها على شخصية حاكم بالذات لا بالفعل « مات الإمام . هل كان موته طبيعيا ؟ أم صرعه المرض ؟ أم قتل فى مؤامرة » . . قيل إنه أسلم جبهته لعملية جراحية حتى تزيل الندبة السوداء ـ أثر الصلاة ـ منها « قدمه أمام مسجد ايات الله . لكنها ـ ولا شك ـ كروايته اولى ابنة عمرها ونبتة تيهها ، فلا ينبغى أن نلغى هذا المستوى من الفهم كلية ، شريطه أن ننظر إليه باعتباره جزيئا فى تركيبها وليس كل كيانها الذى تكون من تراكمات تاريخية طويلة ، تنظر نظرة ملؤها اليأس الى مستقبل يستقى مكوناته من الماضى .

ooo

أذهلنا جابرييل بادسيا ماركيز فى روايته : « خريف البطريرك » وهو يصور الدكتاتور المتجدد دوما . وأذهلنا محمد جبريل فى روايته « إمام آخر الزمان » وهو يصور الدكتاتور المتجدد دوما . ولقد وجدنا فى روايته صياغه عربية أصيلة لرواية ماركيز دون إيغال فى الفنتازيا . فى « خريف البطريرك » نجده يموت أكثر من مرة ، لنفاجأ به حيا من جديد . . وكلما تأكدت شائعة موته كان يلوح أكثر حياة وأقوى سلطة . وفى قصره . . وبعد أن يطفىء كل الأنوار ، ويدخل غرفة نومه ، وفى يده مصباح يرى نفسه منعكسا على المرايا ، جنرالا ، ثم اثنين ، ثم أربعة وعشر جنرالا . لقد عاش ما بين ١٠٧ ، ٢٣٢ سنة ليكون نموذجا لأربعة عشر حاكما تعاقبوا على السلطة وكأنهم رجل واحد . . ووجد جبريل ضالته فى صورة المهدى المنتظر : بعد مقتل الحسين ، أوصى بالإمامة لعلى بن الحسين ، ثم كان الإمام من بعده محمد بن على الملقب بالباقر ، فجعفر بن محمد الصادق ، ثم موسى بن جعفر ، فعلى الرضا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حتى انتهت إلى خاتمة حلقاتها الامام الثانى عشر ، الهادى المهدى إمام آخر الزمان .

أذهلنا جابرييل ، وأذهلنا جبريل ، وأذهلنا قبلهما - كازانتزاكى وهو يصور « قيام » المسيح فى كل يوم ، و « صلبه » من جديد فى كل يوم بروايته الشاخة : « المسيح يصلب من جديد » وقيام المسيح هو أمل كل مسيحى يسعى إلى الخلاص . وظهور المسيح هو بهجة كل مسلم يتوق إلى العدل . ولعلماء الدين المقارن أن يتحاوروا طويلا حول هذه القضية التى أدلى بعض علماء أهل السنة بدلوهم فيها ، فرأوا أن فكرة « الرجعة » فكرة غير إسلامية انتقلت إلى المجتمعات الإسلامية من المعتقدات الشرقية بصفة عامة ، ومعتقدات اليهود والنصارى بصفة خاصة لهم أن يتحاوروا ، وأن يطول تحاورهم لكنهم مهما أوغلو فى الجدل فلن يستطيعوا أن يحرموا الإنسان من الحلم فالحلم - وحده - هو الذى يخرج عن نطاق المصادرة ودائرة القمع . . وبالحلم - وحده - يحيا الإنسان .

ويبدو ان فكرة المهدى المنتظر كانت من الأفكار التى شغلت صاحبنا ، كطريق لا ترهص الأيام بغيره ، للخلاص . . أثناء كتابة روايته الأولى « الأسوار » ففى صفحاتها الأولى يتساءل الحكيم الفرعونى « أيبو - وير » « أليست هذه بلاد رب الشمس رع » ؟ ومتى يهب لنجدتها الراعى الصالح ، من لا يعرف قلبه الموجدة الذى إذا قلت مواشيه قضى يومه يجمع شملها ويروى ظمأها ، ويداوى عللها . ألا متى يجىء فيجتث الشر من أصله ويسحق البذرة الفاسدة قبل أن تنبت ؟ أين هو اليوم ، هل راح فى غيبوبة النوم ؟ .

وقرب نهاية العمل نسمع صوت الحكمة مرة أخرى . . « . . . كلا ، لم تأخذه سنة ولا نوم سيأتى من الجنوب ، اسمه آمينى ، أبوه من الصعيد ، وأمه من النوبة ، وسيضع على رأسه التاج الأبيض ، ثم يضع على رأسه التاج الأحمر ، ليوحد الإقليمين وينشر الإسلام فى ربوع الوجهين ، وسيفرح به أهل زمانه ، سيخلد اسمه فى العالمين . . فليفرح كل من قدر له أن يشهد ذلك الزمان .

وقد يكبل اليأس أعناق البشر . لكنه لا يخنقهم ، إذ سرعان ما يتخلصون من قبضته مواصلين الحلم . مؤكدين على أن « الراعى الصالح » لا بد آت محددين - فى ثقة وشوق - اسمه والمكان الذى سوف يظهر منه ، وصفاته وأعماله . وهو هنا سوف يعود إلى توحيد القطرين . أى أنه سوف يبدأ من حيث انتهى الملك الأول مينا العظيم متمسكا بعقيدته لا بسا التاجين ، ناشرا السلام فى ربوع الوجهين ، فطوبى لكل من قدر له أن يشهد زمانه .

وإذا حاولنا أن نتحدث الآن عن البناء الفنى ، فسوف نعد هذه الروايه امتداداً لسابقتها فإذا كانت الأولى تتألف من مقاطع ومقتطفات يشار فى أغلب الأحيان إلى مصدرها فإن الثانية تتألف من سبعة فصول تعتمد فى تكوينها على مقاطع ، ومقتطفات لا يشار - فى أغلب الأحيان - إلى مصدرها وتندمج فى المقاطع ، ولا تظهر مستقلة فى مقدمتها - كما فى الأولى - إلا فيما ندر . وقد تنوعت مصادر مقتطفاته فى « الأسوار » أما المعين الذى استقى منه مقتطفات « إمام آخر الزمان » فهو الكتب الإسلاميه وخاصة الشيعية منها .

والرواية - فى جملتها - أقرب إلى التحقيق الصحفى الذى يغطى - فى فصول متتابعة - موت أئمة وتولى اخرين ومن ثم فإن عنوان فصلها الأول يصلح عنوانا جانبيا للرواية كلها « تحقيق مطول عن بواعث اختفاء المهدى ، وبواعث ظهوره » يشير العنوان الرئيسى إلى الموضوع . . والعنوان الفرعى إلى « الفن » تماما كما حدث بالنسبة لـ « الأسوار » التى اختار لها عنوانا جانبيا يحدد كونها « لحظات مصرية » وقد تضمن هذا الفصل الأول فذلكة تاريخية تمهد للرواية وإذا كان الموت والتولى هو الحدث الهام المراد تغطيته فقد تمت التغطية عن طريق توالى ذكر القرارات والمراسيم والأحكام والأوامر والنواهى والاتهامات والكرامات والمناقب وتعليقات الناس وهذه التغطية تشكل جسم الرواية أو التحقيق ولا يعيب الرواية أن تتخذ قالب التحقيق . . لتوصيل التجربة من خلاله . فالمهم هو الإقناع لا الإخبار ومع محمد جبريل نشعر بروح الفنان الذى يبحث عن الثوب الموائم لا المخبر الذى يتوق إلى الخبر المثير .

والشخوص تبدو - كما فى « الأسوار » . . مجرد علامات ، لا نعرف - إذا عرفنا عنها شيئا - سوى مهنها عند ذكرها لأول مرة . وقد عايشت هذه الشخوص جميع الأئمة وكأن الكاتب يريد أن يقول إن الإمام يموت . أما هذه الشخوص فذات حياة ممتدة ، لأنها تمثل فئات الشعب وكان دورها الرئيسى هو التعليق على ما حدث وقد توالى مع امتداد المسيرة - ظهور شخصيات أو علامات أخرى شاركت الأولى فى التعليق ثم كف عن ذكر القديمة واقتصر على الجديدة فى الفصل السابع والأخير . ففى هذا الفصل يحدث - من وجهة نظره - التحول أو التغيير الذى ينشده وكان لا بد لهذا الواقع الجديد من دماء جديدة تواكبه والتغيير هو الدعوة للثورة الجماهيرية . حلم فى روايته الأولى التى نشرت عام ١٩٧٣ ب « الراعى الصالح » أو « المهدى المنتظر » ثم تأتى روايته الثانية عام ١٩٨٤ م ليعلن كفرانه به فى نهايتها ، فاتحا مسربا آخر غير المسارب التى اعتاد الحلم التقليدى أن يتسرب منها . . بل وغير المسارب التى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

امتدت منها الرواية ذاتها . فهو يكفر ـ على لسان المتحاورين فى آخرها ـ بانتظار الموعود ويرى أن العدل لا يتوقف على ظهوره . ولن يغضب أن نحاول ذلك قبل ظهوره . أما الطريق إلى العدل فهو الثورة الجماهيرية : سيكون كل شىء على ما يرام حين يسقط النظام على أيدى الجماهير . . وليس عن طريق فرد أو أفراد ـ أيا كان أو كانوا . . وهذه نتيجه لم تمهد لها الرواية ، وبالتالى لم تقدم لنا تصورا لها أو ترهص بها . . إن هى إلا كلمة هاتفة رفعها شعارا ـ رغم ضيقه بالشعارات ـ يوقف بها تيار السرد الذى طال أكثر مما يجب باحثا عن النهاية المفتقدة .

عندما أعلن ماركيز أنه يكتب رواية تعالج موضوع الحاكم المستبد الذى يعانى من مرحلة اليأس الأخيرة ، ومن قسوة العزلة والانفراد ، لأن الدكتاتور الأسبانى الأمريكى ـ كما يراه ـ معذب يسر بل ضميره نسيج عنكبوت ضخم يحاصره ، وتقتله الكوابيس ، ويؤرق القلق لحظات احتضاره الأخيرة قال له أحد أقرانه من باب التحذير والتخويف من المخاطرة على ما يبدو : « يصعب أن تخترع شيئا ما ـ مهما كان قبيحا أو خياليا ـ لم يقم به دكتاتور أسبانى أمريكى » فأجابه باسما « أعتقد أنه لم يحدث لواحد منهم أن شوى وزير حربيته وقدمة بزيه وأوسمته على طبق من فضة فى مأدبة رسمية دعى إليها السفراء والكهان »[٣]

كان ماركيز يعى صعوبة خلق هذه الشخصية الميثولوجيه المريضة فى التاريخ اللاتينى الأمريكى . ولذلك فقد حشد لها طاقته فى التخيل المشده الذى عرفناه عنه ونحن نقبل بنهم شديد على التهام صفحات « مائة عام من العزلة » وبغير الإشداه يفلت المتلقى من بين أيدينا والفعل الباهر هو الذى يغلب ضوؤه ضوء غيره فإذا ما شعر الفنان بصعوبة استمراره فى الإبهار فما عليه إلا أن يكف . حتى ولو كان قد خطط لبلوغ طموح روائى أطول نفسا فالتوقف عند اللحظة الملائمة هو صنعة الفنان القدير . وعدم ضبط النفس والتمادى فى التكرار فضلا عن أنه لن يضيف جديدا . فإنه قد يسىء إلى ما تم إبداعه .

وقد تحدثنا عن هذه القضية كثيرا وتحدثنا عنها عند تناولنا لرواية « الأسوار » مستفيدين بآراء روب جرييه بعد إخراجه رواية « بيت المواعيد » وأشدنا بلعبة « القرعة » التى أراد بها إشعال نار المتابعة حتى قرب نهاية العمل . وقد تحدث عنها جبريل نفسه أيضا فى الفصل السادس من الرواية التى بين أيدينا بعنوان : « وخروج الإمام بالسيف علامة أكيدة على أنه المنتظر » حينما قال وهو يتحدث عن دور الرواة فى المقاهى والأندية والحدائق العامة والإذاعة والتليفزيون وساحات القرى « تباينت الأساليب وإن لم يتباين المضمون . ألف الناس الحكايات المثيرة فقدت إثارتها . سلبها الواقع ـ كذلك ـ ضبابها الذى تغلقت به فى البداية » .

لكن يبدو أن الأفكار النظرية شىء والتطبيق شىء آخر . فقد ألفنا ـ نحن أيضا ـ تتابع الحكايات عن موت إمام وتولى آخر . . حتى فقدت إثارتها . سلبها الواقع ـ كذلك ـ ضبابها لعدم تباين المضمون ولعدم تباين الأسلوب . إذ أننا قد فهمنا اللعبه ، وتحسسنا كل أبعادها بعد أن أصبحنا داخل الحلقة ، ولم تعد تصادفنا أية إرهاصات تبشر بجديد . وقد نقلنا رأينا هذا للمؤلف . فقال إن التباين يرتكز على تقديم صورة مختلفة للإمام فى كل فصل حتى ادعى الإمام ـ فى الفصل السادس ـ الربوبيه فعلا صوته صارخا : « إنى ربكم فخروا إلى ساجدين » وكان ردنا أننا لم نجد جديدا فى هذه الصرخة لأن كل الأئمة السابقين كانوا يتصرفون من منطلق الربوبية وإن لم يدعوا ذلك صراحة . لكن الصفة طغت على أعمالهم حتى غدت أبلغ من أى تصريح .

وقد حاول تغيير الإيقاع فى الفصل الخامس فاستضاف بعض اللقطات الشاذة التى يبدو أنه نقلها من الأفلام العارية التى شاهدها على « فيديو » الغربة فيما عدا لقطة « المؤهلات الممتازة » فقد برغت لأول مرة فى قصة قصيرة له بعنوان : أحاديث النفس المتداعية ضمها إلى مجموعته القصصية الثانية « انعكاسات الأيام العصيبة »[٤]

ولم تنقذ هذه اللقطات الفصل وإنما أضافت الى رتابته رتابة جديدة . وليس العيب فى اللقطة الجنسية فى حد ذاتها ، إنما فى صياغتها « الخبرية » ـ حوارا وسردا ـ تمشيا مع أسلوب التحقيق ، مع خصها ـ بالذات ـ بالإسهاب رغم أن الرواية بنيت على التكثيف الرشيق فى شكل أوامر وقرارات ، فلم يحتملها النسيج التى زجت به زجا ، فلفظها لفظا . وقد كان فى غنى عنها بالإشارات السابقة عليها عن سياسة هذا الحاكم الإباحية .

القاهرة : محمد محمود عبد الرازق

هوامش

(١) الهيئة العامة للكتاب ـ ١٩٧٣

(٢) مكتبة مصر ـ ١٩٨٤

(٣) عزلة جابريل جارسيا ماركيز ـ ميجل فرناندیز ـ براسو ـ نشر دار الحكمة بيروت ١٩٨١ ص ٢١

(٤) المؤسسة العمانية للطباعة والنشر ـ لم يذكر سنة الطبع .

دراسة

ثلاثية الوحدة .. والغربة .. والحب في شعر محمد الجيّار

أحمد فضل شبلول

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في مقدمة ديوانه الأخير (الحب لا يعرف الخريف) ، والذى صدر عن « مختارات الجديد » بالقاهرة ـ مارس ١٩٧٥ وقبل رحيله بأيام ، يقول الشاعر محمد الجيار :

« صديقى القارىء . . هذه القصائد كتبتها بين عامى ٧٢و ٧٥ ، وهى تجارب عشتها وبدلا من أن تقتلنى أعطيتها الحياة . . »

ولعل هذه الكلمات التى كتبها الشاعر فى مقدمة ديوانه لا تنطبق على قصائد الديوان قدر انطباقها على ما أسميته « ثلاثية الوحدة والغربة والحب فى شعر الجيار » ، وأعنى بهذا الاسم القصائد « بيت فنان وحيد ــ الانتظار فى الليل ـ عزاء الحب » والتى يفتتح بها الشاعر طاقة أشعاره .

« وهذه الثلاثية تعدّ قصيدة واحدة طويلة ، فهى من بحر واحد « بحر الخبب » والموضوع أيضا واحد ومتصل فى كل القصائد الثلاث ، حتى إن الشاعر أدرك هذا ، ولذا نراه يعطى ترقيما لكل قصيدة من قصائد الثلاثية .

إن الشاعر يحس بالوحدة القاتلة فى هذه المدينة الكبيرة الهائلة التى يعيش فيها الملايين ، لذا يتوسل إلى صاحبه ألا يتركه وحده يعانى من هذه الغربة الموحشة ، غربة الإنسان وهو فى مدينته ، غربة المرء وهو وسط الملايين من البشر .

« ابق معى فى آخر لحظاتى . . ياآخر صحبى . . »
« الليل بطىء يمشى بهدوء فوق رفاتى
يوجعنى صمتى . . توجعنى كلماتى
فتعال صديقى . . ادخل بيتى قبلى
حتى إن جئت وراءك ، افتح بابى وأرح ظلى . . »

ولكى لا يحس الشاعر بمرارة الغربة والوحشة التى يعانى منها ، فإنه يأمل أن يجد من يفتح له بابه حين يدق عليه ، فعندئذ سيشعر أن هناك تآلفا ومحبة وتعاطفا بينه وبين الناس ، بل بين الناس بعضهم وبعض ، ولكن هل يتحقق هذا الأمل . . ؟

ولعل مادفعنى للكتابة عن الجيار ، هو صمت النقاد والشعراء عن هذه الظاهرة الفنية التى تستحق الدراسة ، فالجيار يعد واحدا من الشعراء الموهوبين القلائل ، والقادرين ـ بصدق ـ على نقل التعبير بنوع من الشفافية التى تدخل وجدان القارىء أو المستمع مباشرة ، وليس أدل على ذلك من هذه الثلاثية التى نحن بصددها اليوم .

***

فى القصيدة الأولى من « الثلاثية » ـ بيت فنان وحيد ـ يقول الشاعر :

« ابق معى . . فالليل طويل . . »

وربما نتساءل من هذا الذى يدعوه الشاعر للبقاء معه . . يجيب فى السطر الثالث :

« ابقَ معى فى آخر لحظاتى . . ياآخر صحبى » .

« أخشى أن أدخل بيتى الصامت
الصمت بدارى لا يمحوه الصوت الخافت
أخشى أن أدخل دون حبيب يفتح بابى
أمسك بالمفتاح قليلا وأواريه بجيبى
وأدق . . أدقٍ وليس بدارى قلب يسمع قلبى
وأدق . . وكفى علقها التعب على بابى . . »

غير أن الشاعر يحس بأن هذه المعاناة ـ الغربة والوحدة ـ ليس عناءه هو وحده ، لكن العالم كله متمثل فى هذه المدينة التى يعيش فيها ، ولذا يدعو صديقه ـ وكلمة « صديق » يطلقها الشاعر هنا تجاوزا ، لأنه فى مثل هذه الغربة والوحدة ، لا يكون هناك معنى حقيقى لكلمة « صديق » أو « صداقة » أو لعلّ الشاعر يقول هذه الكلمة « صديق » وكأنه يشتاق إلى ما فيها من معانى المحبة والتآلف ـ يدعو الشاعر صديقه إلى أن يعرف المعاناة التى يعيشها هو الآخر :

« أعرف أنك محزون مثلى
فلنأكل خبز البارحة ونشرب خمر اليوم الآتى
صوتك مصباحى تحت المطر الناحب . . »

إن صوت الصديق هنا يصبح مصباحا يضىء الطريق أمام الشاعر . . ومتى . . ؟ فى الليالى المطيرة المظلمة ، مما يدلنا على التقدير العظيم الذى يكنه الشاعر لهذا الصديق أو لصوته ـ تجاوزا ـ ولذا نسمعه يخاطبه :

« لا تتركنى أنتظر قطار المنفى فى الليل الشاتى . . »

ويختتم الشاعر هذه القصيدة الأولى من الثلاثية بقوله :

« وإذا شئت خروجا من بيتى أو من ذاتى
دثرنى بالصوت الحانى واخرجْ حين أنام
ما كنت أنامُ . . ولكن جرحى أغفى . .
دعنى أحلم أنك آت ! . . »

وهو يقول له : « وإذا شئت خروجا . . » أى أن لصديقه هذا حرية التصرف أثناء وجوده فى بيت الشاعر ، ولكنَّ هناك شروطا أو قيودا على هذه الحرية . . وهذه الشروط : الخروج « حين أنام » ، وقبل أن تخرج « دثرنى بالصوت الحانى » ، ثم « دعنى أحلم أنك آت . . »

ونلاحظ أن هذه القيود أو الشروط الثلاثة مقترنة بأفعال الأمر « دثرنى ـ أخرج ـ دعنى » ، ولعل الشاعر يضع هذه الشروط أمام صديقه حتى لا يخرج ويتركه ـ حتى عند النوم ـ يعانى من الوحدة والغربة والعذاب .

ولكن مع ذلك فإن الشاعر يقول ليس هذا نوما ولكن . .

« جرحى أغفى »

****

ويستمر التدفق ، ويستمر العطاء الشعرى ، ويدخل الشاعر داره ، ويستهل ذلك فى القصيدة الثانية « الانتظار فى الليل » ـ بعد أن أخذ يدق يدق وليس بداره قلب يسمع قلبه ـ أو كما يقول فى القصيدة الأولى .

يبدأ الشاعر قصيدته الثانية بقوله :

« أتجرأ . . أدخل دارى . . »

إن كلمة « أتجرأ » تجسد مدى المعاناة التى يعيشها الشاعر ، ومدى شعوره بالوحدة والغربة والألم ، فهو يحس بأنه ليس غريبا على العالم الخارجى وحده ، ولكنه أيضا غريب فى داره ، ولذا فإنه عندما يدخل هذه الدار ـ التى هى داره ـ يكون ذلك منه عملا جريئا .

إنه لكى يجسد المعاناة ويزيدها أكثر وأكثر يقول « أدخل دارى » ولم يقل على سبيل المثال « أدخل الدار » . أن ياء الملكية فى « دارى » قد أتى بها الشاعر لتضيف معنى قويا إلى القصيدة ، فهى توحى بمدى الصراعات النفسية التى يكابدها الشاعر ومدى تشبثه بداره التى يخشى أن يفقدها فى عالم الغربة والوحدة . وهل هناك أقسى من أن يتجرأ المرء لحظة الدخول إلى داره ؟ وإذا كان المرء تعوزه الجرأة لحظة الدخول إلى داره ، فما موقفه من الأماكن الأخرى . . ؟

إن هذه الكلمات « أتجرأ . . أدخل دارى » تعدّ من أقوى التعبيرات التى جاءت فى الثلاثية ككل ، وكأن هناك شدا وجذبا ، إقداما وإحجاما ، هل يدخل بيته ؟ أو لا يدخل ؟ وكأن هناك هاتفا يهتف به بأن لا يدخل . . لماذا ؟ لأنه لا يوجد أى إنسان بالداخل .

« ليس هنا إنسان يسهر ، يشرب نخبى »
« ليس بدارى طفل تلثغ فيه الفرحة : عدت أبى ؟ »

وليس هناك أم أو زوجة أو حبيبة . . ولذا فالشاعر يعتبر نفسه عندما يتغلب على هذا الهاتف الذى يهتف به بأن لا يدخل ، يعتبر نفسه جريئا أو يعتبر هذا العمل عملا أو تصرفا بطوليا أو انتصارا على هذا الهاتف :

« أتجرأ . . أدخل دارى أبحث فيها عن قلبى . . »

ولأنه انتصر على هذا الهاتف ، فإنه يريد أن يتوج هذا النصر بأن يجد حبيبته تنتظره :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« أبحث فيها عن قلبى »

لكنه ـ للأسف ـ لم يجد أحدا ، فيتساءل فى خيبة أمل :

« مع من أتحدث ياربى ؟ »

لذلك يتوجه إلى الأشياء الجامدة ـ التى تنبض ـ فى نظره ـ بالحيوية إلى المصباح ، الشمع ، اللفائف . . على هذه الأشياء تؤنسه فى وحدته وغربته : لكن هذه الأشياء أيضا تخيب أمله فينطق بما يوحى بمرارة الخيبة ومدى المعاناة :

« فلتنطق فى هذا البيت الصامت يامصباحى
ينطفىء الضوء وليس بدارى شمع . . فلتتكلم
يابعض لفائف من تبغ لا تكفينى . . لا تكفى العدم الصاحى
لا تكفى سهرة دمعى فى أقداحى »

إنه اليأس ، والغربة القاتلة ، والشعور المتواتر بالوحدة الهائلة هو الذى يدفعه إلى هذا التشبيه المبدع البليغ « العدم الصاحى » إنه يشبه نفسه بالعدم ، ولكنه عدم يتحرك ، عدم متجسد في صورة إنسان . وينطبق التفسير نفسه على « الموت الساهر » . . الكل قد هجع ، إلا هو الساهر المستيقظ الذى لا يغفو له جفن ولا تغمض له عين ، مما يؤكد المعاناة ويصعدها ويجسدها ويدفع إلى مزيد من التعاطف من القارىء كلما مضى من سطر إلى آخر . .

« وصديق الباب ينام على مقعده الخشبى
أنا وحدى كالموت الساهر من آلاف الأزمان
أنا وحدى كالحب الضائع فى العصر الخوان
ما أقسى أن يتوارى الضوء النائى من نافذة الجيران
فأحس بوحدة موتى وكأنى قارة حزن غرقت تحت الطوفان »

إنه يلجأ إلى التشبيهات البليغة الهائلة ، فمن قبل يشبه نفسه بالعدم الصاحى ، وهنا يشبه نفسه بالموت ـ وليس أى موت ـ ولكنه موت ساهر من آلاف الأزمان ، ويشبه نفسه بالحب ـ ولكنه حب ضائع فى عصر خوان ، عصر أصبحت الخيانة فيه كالماء والهواء ، إنه يشبه نفسه بقارة حزن ولكنها غرقت تحت الطوفان البشرى الهائل الذى لا يقدر معنى الحزن النبيل . . وحينما لا يستطيع الشاعر أن يتغلب على سهده وأرقه يعلل هذا بقوله :

« أسهر منتظرا شيئا لا أعرفه . . لا يعرفنى . . »

ولأن المصباح انطفأ ولأنه ليس هناك شمع ، ولأن الضوء المنبعث من نافذة الجيران البعيدة أخذ يتوارى ويخبو ، لم يجد الشاعر أمامه من ضوء خارجى يؤنسه فى هذا الليل الطويل ، إلا ضوء القمر فيتشبث به ، لكن حتى هذا القمر لا يستجيب له ويبتعد عنه فيجسد المعاناة أكثر وأكثر . .

« أتشبث بالقمر الغارب
ياقنديل الغرباء بكل طريق شاحب
لا تبعد كالماضى . . عنى . . لا تتركنى »

إن الجيار حينما يلجأ إلى استخدام مفردات الطبيعة ـ كالقمر على سبيل المثال ـ يستخدمها بموضوعية ، فالقمر لا يشارك الشاعر أحزانه ولا يبكى لبكائه ، ولكنه يدخل كمشارك موضوعى أو حيادى ، فهو ماض فى دورته غير عابىء بآلام الشاعر .

إن الشاعر يحيّد القمر هنا ، فيدفع القارىء إلى التعاطف معه أكثر مما لو جعل القمر يبكى لبكائه ويتألم لآلامه . ومن قبل نراه قد حيّد المصباح وحيّد حارس الباب والأضواء . . على سبيل المثال .

وتمضى بنا الثلاثية فى عالمها الخاص ، عالم الغربة والوحدة والوحشة إلى أن نصل إلى عالم الحب فى القصيدة الأخيرة « عزاء الحب » ومن اسم القصيدة نلاحظ أن الشاعر حينما يجد أن كل شىء أمامه قد ذهب وانطفأ ونام ، وأنه لم يعد هناك من يذكره فى هذه اللحظات الكئيبة .

« جيرانى ناموا . .
وانسدلت فى قلبى سحب الأحزان
وكأنى آخر ذكرى للعالم لا يذكرها إنسان
أضواء الشارع تنطفىء الآن
أفلا يتنفس فى هذا الليل الموحش ربّ أو إنسان
أفلا يسمع صوتى قبل الموت ملاك أو شيطان »

لا يجد أمامه من عزاء ـ أمام هذا كله ـ إلا الحب ، فبالحب سيكون الناس جميعا معه ـ ولو توهّما ـ وبالحب سيكون النهار بدلا من هذا الليل الذى يكابد منه وفيه ، وبالحب سيولد أنقى وجه للعالم . وبالحب سَيُقهر الزمن . .

« يارضوى : حبك يوهمنى أن الناس معى
كونى حتى الموت معى . .
من وجهينا يولد أنقى وجه للعالم
حبك يفتح بالانشادِ نهار اليوم القادم
كنت أحدّث عينيك وأنظر للأفق الغائم
فيلوح القمر وحيدا يشبه روحا لنهار مات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مامات القمر ونحن نذيب النور على الكلمات
لا . . لن نفنى يارضوى ، نحن قهرنا الزمن بحب أقوى . . »

ومثلما كان الجيار قادرا على تجسيد تجربة الألم والغربة والوحدة ـ كما رأينا فى الصفحات السابقة ـ كان بارعا فى تصوير لحظات الحب والصفاء والنقاء وتجسيدها ـ كما فى السطور السابقة ـ وكما فى هذه السطور :

« يارضوى . . فلنرقص قبل رحيل الفجر
على موسيقى قمرية
فى كل ربيع أشعر أنى أملك أزهارا لا أبصرها
نبتت من صوتينا فى جبل الصمت وراء فصول العام
فدعيها تتنفس من شفتيك . .
ودعيها تحمل قلبى بين يديك . . »

***

وقد سبق أن ذكرنا أن الثلاثية جاءت كلها من بحر واحد هو « الخبب » وهذا البحر يتناسب مع إيقاع العصر السريع الذى نعيشه ، ولذا تكتب فيه أكثر القصائد الآن . ولكن هذا البحر يتحول على يد محمد الجيار ـ فى هذه الثلاثية ـ ليس إلى بحر تتصف موسيقاه بالضجيج أو الإيقاع الحاد ـ كما نرى عند الآخرين ـ بل إلى موسيقى متنوعة حسب الحالات الوجدانية والمواقف الدرامية فى الثلاثية ، فتتسم الموسيقى ، أحيانا ببطء الإيقاع وخفوته :

« وإذا شئت خروجا من بيتى أو من ذاتى
دثرنى بالصوت الحانى ، واخرجْ حين أنام
ما كنت أنامُ . . ولكنْ جرحى أغفى
دعنى أحلم أنك آت . . »

وقد يتفق هذا النوع من الموسيقى مع حالات التوسل التى يلجأ إليها الشاعر للتأثير على صديقه كى لا يتركه يعانى من الوحدة والغربة والألم ، كما يتفق أيضا مع حالة التمهيد للنوم أو التمهيد للأحلام .

أما على الجانب الآخر ، فنرى إيقاعا سريعا وحادا مثل السطر :

« وأدق أدق وليس بدارى قلب يسمع قلبى . . »

ولعل هذا يتفق مع حالة الدق على الباب ، وبخاصة حينما لا يكون هناك استجابة من الداخل ، كما أن هذا التكرار للفظة « أدق » الذى تكرر خمس مرات فى الثلاثية ، يجسّد ـ إلى جانب موسيقاه ـ التوجع والمعاناة لدى الشاعر فى هذه اللحظة ، لحظة الدق على باب داره وهو يعرف أن لا أحد بالداخل .

أما بقية الإيقاع أو معظمه فقد جاء فى حالة وسط بين الحالتين السابقتين ، وقد يرتفع ويعلو أو يتباطأ ويخفت حسب المواقف الدرامية التى تشكلها الثلاثية .

ولا شك أن هذه الموسيقى أو هذا الإيقاع يكون ناتجا من استخدام الشاعر الواعى واختياره للكلمات التى تعكس حالاته الوجدانية والنفسية أثناء كتابة القصيدة ، أى أن البحر أو التفعيلة المستخدمة ما هى إلا قالب يتشكل حسب الحالات التى يحياها الشاعر أثناء إبداع العمل الفنى .

غير أن هناك موسيقى من نوع آخر . هى موسيقى الكلمات بتكرارها كما هى ، كما لاحظنا فى « أدق » ومثلما نلاحظ فى « ابق معى » التى تكررت ثلاث مرات و « لاتكفى » مرتين ، « أنا وحدى . . » مرتين . . ، وهذا التكرار بالإضافة إلى الموسيقى التى يشيعها فى النص وبالإضافة إلى استخدامه للتأكيد . يساعد أيضا على تصعيد الحالة الشعورية لإحداث التأثير المنشود .

وهناك أيضا نوع آخر من الموسيقى هى موسيقى الحرف أو موسيقى الصوت وذلك بتكراره أكثر من مرة خلال السطر الواحد بطريقة طبيعية وغير متعمدة ، وهذا ما يطلق عليه « جناس الحرف » ومثال على ذلك السطر :

« لا . . لن نفنى يارضوى ، نحن قهرنا الزمن بحب أقوى . . »

« إذ نلاحظ أن حرف « النون » قد تكرر ثمانى مرات وذلك فى الكلمات : « لن ـ نفنى ـ قهرنا ـ الزمن ـ بحبٍّ (بالتنوين) » ولعل تكرار حرف النون يساعد على إبراز التحسر والوحدة ، كما أنه يخلق نوعا من الموسيقى الخاصة المصاحبة لهذا السطر .

وأيضا السطر :

« وأدقّ أدقّ وليس بدارى قلب يسمع قلبى »

إذ يتكرر حرف « القاف » ست مرات وحرف (القاف) من حروف آخر الحلق يساعد تكرارها بهذه الصورة على إبراز حركة الدق والخبط على الباب مما يؤدى بالتالى إلى تجسيد المعاناة .

وهناك نوع آخر من الموسيقى ، وهو ذلك النوع الذى يحدثه تكرار حروف أو أصوات معينة فى أوائل أو أواخر الكلمات ، والنوع الأول يعرف باسم « جناس الاستهلال » ومثال عليه « وجه » فى السطر « من وجهينا يولد أنقى وجه للعالم » ، وأيضا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« لا تكفى » فى السطر يابعض لفائف من تبغ لا تكفينى لا تكفى العدم الصاحى » .

أما النوع الآخر فيعرف باسم « التجانس الخلفى » ومثال عليه « ق » فى السطر « وإذا شئت خروجا من بيتى أو من ذاتى » ، و « نى » فى السطر « لا تبعد كالماضى عنى ، لا تتركنى » ، و « وى » فى السطر « لا لن نفنى يارضوى ، نحن قهرنا الزمن بحب أقوى » . . .

وهناك أيضا أقدم نوع من الموسيقى التى عرفها الشعر ، وأعنى بها موسيقى القافية ، وهنا نلاحظ أن الشاعر يعتمد على القافية المتنوعة التى تتيح له حرية اختيار الكلمات والتى تتناسب مع مضمون السطر الواحد وتتلاءم فى الوقت نفسه مع خصائص قافية السطر السابق أو السطر اللاحق ، ومما يؤدى أيضا إلى إحداث نوع من الموسيقى المتنوعة فى قوافى الثلاثية ككل .

ولعلنا قد لاحظنا أن الشاعر يعتمد أحيانا على حروف المد ، ثم الكسر فى بعض قوافى القصيدة والتى من أمثلتها : رفاق - كلماتى - الآتى - الشاتى - ذاتى . . . . أو : بابى - خابى - جواب . . . ، ومثل هذه الحروف أو الأصوات لم تأت اعتباطا ، ولكنها جاءت لتضيف إلى بعض أجزاء الثلاثية جوا من الحزن والغربة والوحدة والألم ، فحروف المد التى قبل الكسر تبدو وكأنها تجسم حالة من حالات الصراخ والدعاء مما يتفق مع روح القصيدة التى نحس فيها بغربة الشاعر ووحدته وأرقه وكأنه لا يملك أمام هذه الحالات إلا الصراخ والدعاء ، أما الكسر - فى الحروف التى بعد حروف المد - فإنه يعطى نبرة الحزن وسحبة الألم وجهشة البكاء بما يتلاءم أيضا والجو العام للثلاثية .

كما أنه فى بعض الأجزاء الأخرى يعتمد الشاعر على قافية (الألف والنون الساكنة) مثل : (الأزمانْ - الخوانْ - الجيرانْ - الطوفانْ . .) أو (الأحزانْ - الانسانْ - الآنْ - شيطانْ . . . .) .

وهذه الألف أو هذا المد أيضا يساعد على إبراز الشجن والإحساس بالبعد كما يؤدى إلى إعطاء غزارة موسيقية ، كما أن حرف (النون) - كما سبق أن ذكرنا - يساعد على إبراز التحسر والوحدة والأنين ، بالإضافة إلى الموسيقى الخاصة التى يحدثها تكراره .

***

اذا دققنا النظر فى الأفعال التى يعتمد عليها الشاعر نلاحظ أن السمة الغالبة على هذه الأفعال هى الأفعال المضارعة مثل (يرسلنى - ينسى - يموت - تذوى - أدق - يستجدى - أتجرأ - يتوارى - يتنفس - يسمع - أراقب . . . .) .

ولا شك أن هذا العدد الكبير الضخم من الأفعال المضارعة التى تبلغ أكثر من سبعين فعلا يعطى ، الثلاثية حركة وتدفقا واستمراراوحيوية ، وكأن الشاعر يريد أن يحفر فى وجداننا وعقولنا مأساته وألمه وغربته فى كل مرة نقرأ فيها هذه القصائد . وهذه الأفعال المضارعة من شأنها أيضا أن توحى بأن الأحداث تجرى أمام أعيننا فى اللحظة الحاضرة مما يكثف من المشاركة الوجدانية بين المتلقى وبين الشاعر ، بالإضافة إلى أنها تعطى الثلاثية نوعا من الحضور الشعرى الذى يخلق مثل هذه المشاركة .

***

ولما كان الشاعر يتحدث عن الغربة فى المدينة ، وعن الوحدة التى يعيشها ويتألم منها - فإن الإطار اللغوى الذى يستخدمه يتصل كل الاتصال بهذه المدينة ، بالغربة ، بالألم ، بالموت ، وبالكآبة ، بخيبة الأمل . . . ونلاحظ أنه يستخدم الصيغ والمفردات والتراكيب والتشبيهات والاستعارات التى تعكس حالاته الوجدانية السابقة : (الليل طويل - زمنى بخيل - تذوى الأضواء - الليل المهجور - لايوجعنى صمتى - المطر الناحب - العدم الصاحى - سهرة دمعى - الموت الساهر - العصر الخوان - قارة حزن - مصحة - الليل الجارح - حروفى الكلمى - بحر الصمت . . . الخ) .

أما عندما يتحدث عن الحب ، وعندما يخاطب حبيبته (رضوى) فإن الإطار اللغوى الذى يستخدمه لا يختلف كثيرا عن الإطار السابق : (الناس معى - أنقى وجه - الإنشاد - نهار اليوم - النور - قهرنا الزمن - الشمس - الفجر - موسيقى قمرية - ربيع - أزهار - وجهك فى أحلامى . . . الخ) .

***

وفى النهاية نستطيع أن نقول إن الشاعر « محمدالجيار » فى كل هذه المعاناة ، وكل هذه الرحلة الشعرية التى قطعها فى هذه الثلاثية كان يحس - عن طريق نبوءة الشعراء - باقتراب أجله ، والذى تحقق فعلا بعد وقت قصير . لذلك لا تخلو هذه الثلاثية من تلميحات وإشارات عن هذا الإحساس الصادق وهذا الانفعال المتواتر .

« ابق معى فى آخر لحظاتى ، ياآخر صحبى »
« منتظراً متّ وهل بعد الموت لقاء مأمول »
« هل تبكينى تلك الأشجار ؟ »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« الليل بطىء يمشى بهدوء فوق رفاتى »
« فى صدر الليل أموت وحيداً »

ولكنه مع ذلك لا يريد أن يستسلم لهذا الموت الذى سيأخذه من الحياة ـ رغم ما يعانيه فيها ـ خاصة وبعد أن تغنى بالحب فى القصيدة الأخيرة وبعد :

« لا . . لن نفنى يارضوى ، نحن قهرنا الزمن بحب أقوى » .

وأخيرا ـ وعلى الرغم من هذه التجربة القاسية التى عانى منها الشاعر ـ فإنه يقول على لسان كل الشعراء فى كل الأزمان والأمكنة :

« نحن نغنى ، نعشق ، نخلق وطنا للغرباء
بأحلى شجن فى أغنية الغربة » .

الإسكندرية : أحمد فضل شبلول

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حسين عبيد

البناء الفنى فى رواية "قليل من الحب .. كثير من العنف"

تراجيديا الواقع المصرى الحديث

دراسة

فتحى غانم

روائى أثرى المكتبة العربية بالعديد من الروايات التى عايش فيها ما يجرى فى المجتمع المصرى والعربى من تغيرات ، عبر مسار خاص متميز ، بدءًا من رواية « الجبل » التى أوضح فيها ضرورة التمهيد للتغيير وألاّ يكون مفاجئاً ، حتى يتجاوب معه الناس (أصحاب المصلحة الحقيقيين) . وفى رواية « الساخن والبارد » عزف نغمة ترددت كثيرا فى الرواية العربية هى لقاء حضارتى الشرق والغرب . وفى رواية « الرجل الذى فقد ظله » غاص فى أعماق النفس البشرية والمجتمع المصرى ليؤكد للقارىء أوجه الحقيقة المتعددة . وفى « تلك الأيام » أوضح عدم جدوى الإرهاب السياسى . وفى رواية « زينب والعرش » عزف على موضوع الفساد فى المجتمع ، حيث صراع الأفراد الضارى ـ بين إرادات مختلفة ـ من أجل النفوذ والسلطة والشهرة . وفى رواية « الأفيال » قدّم رؤيا أكثر شمولا ، وكأنها (يوتوبيا سوداء : عكس المدينة الفاضلة) . . إذ امتد فساد المجتمع إلى مختلف النواحى السياسية والاجتماعية ، فإن الجريمة تعم ، ويمتد تأثير الفساد إلى مختلف طبقات المجتمع ، ويصبح المهرب الوحيد من هذا الواقع (المفترس ، القتّال) هو السفر إلى مكان ما (لا حساب ولا قيمة فيه للزمن) إذ يصبح الهدف النهائى لحياة الأفراد هو الانتصار (التافه) فى ألعاب الدومينة أو الكروكية أو الاستمتاع بالجنس . .

فماذا قدّم فتحى غانم فى روايته الجديدة « قليل من الحب . . كثير من العنف » ؟[1] وهل هناك وشائج ارتباط مع ما سبقها من روايات ؟ وما هو البناء الفنى الذى شاد عليه روايته ؟

وشائج ارتباط :

يتشكل العالم الروائى لفتحى غانم من مجموع أعماله الروائية ومجموعاته القصصية وكلها ترتبط فيما بينها بوشائج قد يكتشفها القارىء أو الناقد بين ثنايا عالمه الرحب . . فإذا وضعنا روايته الجديدة ضمن هذا الإطار ، برزت للقارىء هذه الوشائج :

مسّ فتحى غانم موضوع هذه الرواية مسّا سريعا فى رواية « الأفيال » فى الفصل العشرين منها حين كان ميرزا يحكى

ليوسف منصور عن التحول الذى طرأ على المجتمع ويقول « أما أولادنا فلا أمل لهم فى مواجهة هذا الزحف .. لقد خدعناهم .. قلنا هلم أنهم أولاد الأسياد .. قلنا لهم تعلموا اللغات الأجنبية .. عودناهم على السينما والمسارح وحياة النوادى .. ولكنهم يشعرون بالضياع أمام الزحف الذى يفرض عليهم التراجع والفرار والهجرة .. إنهم يواجهون عالما من نوع آخر لا صلة لهم به .. هل أروى لك ما حدث لخادمى فرج .. عدت من الخارج فجاءنى يبكى مصيبته .. أتدرى ما هى مصيبته .. علم ابنه بالمجان فأصبح مدرسا وسافر وعاد تاجرا .. وحرّم على والده أن يخدم فى بيوت الناس ، لأنه تزوج ولا يريد أن يعرف أهل زوجته أنه ابن خادم .. ولكن فرج يبكى لأن ابنه الذى حرم عليه أن يعمل لا يعطيه أبيض ولا أسود .. ابن فرج تحول إلى دودة شرهة .. تلتهم وتلتهم ولا يهمها ما تلتهمه حتى لو كان جسد أبيه .. هذه الديدان تلتهم الماضى ولن تبقى عليه .. أنظر إلى بيتكم فى جاردن سيتى من الذى اشتراه ، ومن الذى شيّد تلك العمارة الكبيرة ، أليس بائعاً سريحاً كان يسير بالأمشاط والفلايات .. هل قابلت الذى اشترى بيت جدك فى محرم بك .. أنا قابلته .. يملك ملايين الجنيهات ولا يعرف القراءة والكتابة .. كل المتعلمين فى خدمته .. »[٢]

ومن الجوانب الأثيرة لدى فتحى غانم سؤاله : ماذا يفسد نقاء البشر ؟ .. وقد عزف عليها باقتدار فى رواية « زينب والعرش » من خلال شخصية يوسف منصور الذى وصفه فى اللقاء الأول مع عبد الهادى النجار بأنه « ينظر إليه بوجه طفل تطل منه عينان فيهما صفاء غريب »[٣] وعندما حدثه « رفع يوسف عينين بريئتين ، يشوب صفاءهما خوف أطفال »[٤] وبعد أن حكى له يوسف واقعة من أيام طفولته كان رأيه « هذا شاب مدلل »[٥] .

هذه الشخصية النقية البريئة ماذا سيحدث لها فى واقع عنيف كعالم الصحافة ؟ كيف تتعامل مع هذا الواقع ؟ وكيف تتحول ؟

إنه الموضوع نفسه الذى عرضه فى روايته الجديدة مع شخصية يونس عبد الحميد ، الذى يصفه زميله فى العمل (طلعت) بأن وجهه « ذلك الوجه الشاحب ، وجه الولد البنت ، وجه ابن الأتراك الأهبل »[٦] ، وهو « ناعم مثل الأنثى » ـ ويراه سائق سيارة الشركة ، « خجول يتستر بخجله ترفعا وغرورا » . « وهو منكمش متقوقع فى نفسه » ويراه أبوه « شاب حالم لا صلة له بالدنيا ، حيلته قليلة .. وعزوفه عن المظاهر واضح »[٧] .

هكذا يبدو يونس عبد الحميد ، وكأنه امتداد ليوسف منصور (زينب والعرش) من حيث البراءة والنقاء .. فماذا سيحدث له فى خضم هذا الواقع الجديد ؟ وكيف سيتعامل معه ؟ وإلى ماذا سيؤول فى النهاية ؟

هذا ما تحاول أن تجيب عنه الرواية الجديدة ..

وفتحى غانم يميل إلى المغامرة فى الأسلوب الروائى ، وهو يقول عن ذلك « الأسلوب عندى يحقق لى متعة ، وأنا أحب أن ألعب ! أحب أن أجرب فى كل مرة أمسك بقلم .. مغامرة فى الأسلوب ! أحياناً أتلذذ كثيراً بتصوير الأحداث من خلال منولوج داخلى . أحياناً أتوقف عن إصدار أى أحكام على انفعالات الأبطال والشخصيات فى الروايات وأعتبر نفسى كاميرا تصور تصويرا بارداً وأرقب ما سوف يحدث ! . أحياناً أتأمل العلاقة بين موقف خاص وقضية عامة . فى كل مرة أبحث عن زوايا فى الحياة وأستخدم « الأسلوب » الذى يناسب . الأسلوب وسيلة وليس غاية »[٧] .

وهذا ما حققه الكاتب فى رواياته السابقة حين اختار لكل منها الأسلوب المناسب لها . فرواية « الرجل الذى فقد ظله » رواية صوتية ، يمثل كل جزء منها صوت أحد الأبطال من خلال منولوجه الداخلى الخاص . وفى رواية « الأفيال » كان تصويره موضوعيا هادئا . وهو ما سنجده أيضا فى روايته الجديدة « قليل من الحب .. كثير من العنف » حين اختار شكلا روائيا جديدا ، لم يسبق أن قدمه من قبل فى أى من رواياته السابقة ، وهو « التراجيديا » .

البناء الفنى فى الرواية :

عندما ينتهى القارىء من قراءة رواية « قليل من الحب .. » فإن كلمات الناقد آلبيريس قد تلحّ عليه حين قال « إن العالم الروائى هو عالم مغلق فى أغلب الأحيان ، حيث يدخل خمسة أشخاص أو ستة فى لعبة تتوقف حين يستنفدون فيما بينهم كل الاتصالات الممكنة ـ وهذا هو مبدأ المسرحية الفرنسية الكلاسيكية »[٩] .

وهذا الانطباع صحيح إلى حد بعيد ، لقلة عدد أشخاص الرواية الرئيسيين فهو لا يتعدى الشخصيات الست ، كما أن الرواية تعتمد ـ أساسا ـ على الاتصالات المتبادلة (الممكنة) بين هذه الشخصيات إلى حد الاستنفاد ، بحيث يقترب شكل الرواية من البناء المسرحى الذى يعتمد على تفتيت البناء إلى مشاهد (تستنفد فيه الشخصيات الاتصالات بينها) ، فى أماكن محددة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لكن هذا الانطباع لا يفسر كل شيء ، فهناك منظور أشمل للرؤيا يضيء عالم الرواية ، إذ نجد أرضية واقع المجتمع المصرى الموضوعى (الخارجى) بكل ما تحويه من قوى ومتغيرات اجتماعية ممثلة (بشكل نسبى) وفاعلة فى الرواية ، بينما الأشخاص بتكوين كل منهم (الداخلى) المتميز من مشاعر وأفكار ، تتحرك على هذا المسرح ، ليتصاعد الصراع بينها فى أحداث متوالية ــ وكأنها تحت سيطرة قدر لا يرحم ــ ليحدث الصدام الحتمى ، والمروع فى النهاية ، وتتحدد المصائر .

هكذا تكتمل الرؤيا ، حين يتضح أن الرواية تقدم للقارىء تراجيديا الواقع المصرى الحديث ، بكل ما يحويه من متناقضات ومتغيرات ، بشكل فنى متكامل وأخاذ ، استفاد فيه الكاتب من « أسلوب » البناء التراجيدى . .

الشخصيات :

يقوم بناء الرواية على الصراع بين مستويين متوازيين بدقة . . المستوى الأول يشمل عائلة الحاج مرسى فرج الذى بدأ ميكانيكيا من قاع المجتمع ، ليتبوأ عرشه معلما ومليونيرا ، وزوجته الحاجة فهيمة (الباهتة الملامح) ، وابنه طلعت (المهندس) وزوجته فاطمة إبنة الفنان المنولوجست زكريا . . ويندرج فى هذا المستوى السائق سيد العتر ، الذى تربى فى قاع المجتمع مع طلعت ، ودمّر موت أبيه مستقبله ، وهو وسيم ، وناعم . استطاع أن يستغل المناخ السائد ليحقق مطامعه الشخصية ويصفى حساباته مع الواقع . .

أما المستوى الثانى فهو يمثل الطبقة العليا فى المجتمع ويتكون من عائلة عبد الحميد بك صفوت (النائب العام) وزوجته زهيرة هانم التركية الأصل ، وابنه الوحيد يونس (مهندس أيضا) وابنته الوحيدة سارة . . ويندرج مع هذا المستوى شهدى أبو اللطف (محافظ الإسكندرية) فى أعلى الدرجات الوظيفية فى المجتمع . .

هذان مستويان . . إحدهما بدأ من قاع المجتمع ويعتلى (الآن) القمة بملايينه التى استطاع بواسطتها أن يقابل الرئيس الأمريكى خلال زيارته للقاهرة ، بل ويستطيع أن يؤثر فى صناعة القرار على أعلى مستوى فى الدولة ، والمستوى الآخر يمثل الطبقة الأرستقراطية فى المجتمع التى وصلت بالتعليم والاجتهاد إلى أعلى المناصب فى الدولة ، وهى لا تمتلك إلا دخل الزوج المحدود من الوظيفة وأمامه عام واحد ليخرج على المعاش ، لكنه يمتلك صلات وطيدة بأصحاب النفوذ بحكم منصبه ، بالإضافة إلى كمّ متوارث من التقاليد والعادات . .

فكأنه صراع بين قوة المال والتقاليد المستقرة ، بين الاستغلال والمبادىء بين الواقع والأحلام ، بين الممكن والمستحيل . .

يتصدر هذا الصراع شخصان ، هما طلعت ويونس ، وهما بحكم مهنتهما كمهندسين يعملان معا فى شركة أماركو للبترول القريبة من العلمين . .

البداية :

ومنذ اللحظات الأولى للرواية حين تنطلق السيارة التى يقودها سيد العتر فى الصحراء من معسكر شركة أماركو إلى الإسكندرية وبداخلها المهندسان طلعت مرسى فرج ويونس عبد الحميد صفوت . نجد صوت الراوى الذى يصوّر ما يحدث ، يتولى دور الجوقة فى المسرح اليونانى القديم حين يلح على النهاية المحتومة وأنها لن تكون خيرا ، فيصف الشخصيات الثلاث بأنها « ثلاثة عوالم مختلفة ، ثلاثة أكوان متباعدة ، ولكنها توشك أن تصطدم فى حركتها ، ويحدث بينها الاحتكاك الذى يتحول إلى انفجار وحريق كبير » . . وهذا ما نجده « فى كل عمل تراجيدى تقريبا ، نجد أن الجو العام المسيطر على المسرحية منذ البداية هو الشعور بالنهاية المحتومة » ، كما نلاحظ « أن النهج العام للتراجيديا لابد أن يشير منذ البداية إلى أن العاقبة لن تكون خيراً[١٠] .

ويتضح أن طلعت قرر أن يخطب سارة أخت يونس ، وأن يونس مطالب خلال هذه الأجازة أن يحدد موعدا مع أبيه لمقابلة طلعت . لقد نبتت هذه الرغبة عند طلعت حين رآها مع يونس ــ صدفة فى فندق سيسيل عندما مرّ عليه ليأخذه إلى مقر الشركة بالعلمين ، ولمّا اعترض طريقها بشارع سعد زغلول بعد ذلك بسيارته الجاجوار ورفضت أن تركب معه ، بل وهددته بالسجن ، أيقن أنها ليست من النوع السهل ، لذا قرر أن يتزوجها .

وحتى يدخلنا الكاتب فى خضم الأحداث ، ويجعلنا مدركين لطبائع الشخصيات الرئيسية وأفكارها ، لجأ إلى بناء الفصول الأربعة الأولى بشكل خاص ، بأن جعل كل فصل يرسم صورة لإحدى الشخصيات الرئيسية (الفصل الأول : طلعت ، الثانى : يونس ، الثالث : سيد العتر ، والرابع : فاطمة) وذلك من خلال مستويين لزمن القصّ : أولهما الزمن التاريخى المتسلسل الذى يعرض ما يجرى من أحداث خارجية (من وجهة نظر هذه الشخصية وبمساعدة الراوى) . والمستوى الثانى هو زمن القصة المستعاد ، وفيه تقوم الشخصية باسترجاعات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لوقائع ولقاءات ماضية متصلة بما يجرى فى فكرها فى الزمن التاريخى .

ومنذ البداية يحاصر القارىء إحساس طاغ بأن الأدوار قد تحددت والمصائر قد رسمت .

البطل التراجيدى :

يونس هو البطل التراجيدى . . . وهو برىء المشاعر ، نقى الإحساس ، واضح التفكير ، بسيط ، حالم ، يحب الموسيقى والقراءة ، لا صلة له بمساوىء الواقع ؛ لذلك فهو (قليل الحيلة) ، لا يحب المظاهر ، وهو لا يلجأ للعنف ، و « نادرا ما يرى شاهرا سيفه بين المجتمع والناس الغرباء عنه من أجل أن يموت فى معركة غير متكافئة »[١١] .

ويقف على النقيض فى مواجهته طلعت الذى يراه يونس « حيوان بدائى ، حيوان بمعنى الكلمة ، مندفع بلا حدود ، لا انضباط ولا تربية ، لا صلة له بالتهذيب والأدب ، يفعل ما يشاء » (ص ٢١) ، وهو فى الرابعة والعشرين ، ربعة ، أسمر ، أكول ، وإذا أكل بحث عن جسد المرأة ، فإذا أفرغ طاقته ، عاد يبحث عن الطعام من جديد .

أما البطل السلبى فهو سيد العتر وهو « ليس مجرد شخص فاشل فقط وتافه ، بل غالبا ما يكون نحسا وشخصا قاسيا ، وقويا بطريقته الخاصة ، وقادرا على ارتكاب الجريمة »[١٢] . . فهو رغم وجهه الوسيم فشل فى حياته ، وعندما رفضته فاطمة مفضلة عليه طلعت هجم عليها ، لولا أن عضته وسال الدم من أصبعه ، وفى ليلة زواجها استولى على أول سيارة ، وهو يخطط بدقة ليستفيد من اضطرارهم ــ الذى افتعله ــ لتموين السيارة بالبنزين من قرية الحمام القريبة من مركز الشرطة بعد أن يثير ضجة بأن معه ابن النائب العام ، ويحاسب على ثمن البنزين ، حتى يتذكره رجال الشرطة والمخبرون فى المرات التالية التى يحضر فيها فى سيارة مسروقة فلا يتعرضون له ، وقد حاول استغلال يونس لتلبية بعض الطلبات من النائب العام إلاّ أن يونس رفض ، فلجأ إلى سائق سيارة النائب العام ووطد علاقته معه ومن خلاله استطاع أن ينفذ إلى ضيوف النائب العام ويحقق مطالبه .

الصراع :

تمثل الفصول ، ابتداءً من الفصل الخامس حتى الخامس عشر ، مراحل الصراع المحتدمة بين يونس وخصومه ، يبدأ الأمر عندما يخبر أباه بطلب طلعت ورغبته فى خطبة سارة ، فلم يهتم الأب باعتراضاته لأنه يعتبر أن هذه الزيجة فرصة حتى يتوسط له الميلونير مرسى فرج (والد طلعت) لمد خدمته سنة أو سنتين ، وأن هذا العرض جاء فى وقته ، فمن سيهتم بمصاهرته بعد إحالته للمعاش . . واقتنعت أمه زهيرة هانم (ربيبة المظاهر) وأخته أن ابن صاحب الملايين ليس من السوقة وإنما ينقصه المرأة التى تعلمه كيف يكون وجيها بين الناس . . وانتهى الأمر بالأب أن اتصل بصديقه محافظ الإسكندرية ليتحرى عن أخلاق طلعت وليتصل بمرسى فرج ليعرف حقيقة موقفه .

اهتم المحافظ بهذه المصاهرة لتحسين علاقته بمرسى فرج (يعرى الكاتب فساد الواقع وزيفه باستمرار) بعد أن وبخه رئيس الجمهورية لأنه أعطى أولوية التفريغ فى الميناء لمواد تموينية كان يعتقد أن الحاجة ماسة إليها ولن يحدث ضرر إذا تأخرت حاويات مرسى فرج ، ويخبره الحاج مرسى فرج أن ابنه متزوج وله بنت صغيرة ولكنه سيطلق . وخوفا من أن يكون طلعت متزوجا من أخريات ، يطلب تحريات من مدير الأمن ومدير المباحث ، فيتم تداول السر حتى يصل إلى مصدر المعلومات سيد العتر ، فيخبر بدوره فاطمة التى فضلت أن تقابل يونس وتقول له الحقيقة ، وحين عرف يونس اتصل بالمحافظ وأخبره ، فاستمهله الرجل ساعتين أو ثلاث حتى يتأكد ثم يحدث أبيه .

حين عرف مرسى فرج بالأمر هاج وثار واعتبر المحافظ مسئولا عن تسرب الخبر ، فاضطر المحافظ أن يقدم مدير الأمن كبش فداء ، لأنه على علاقة برئيس الوزراء السابق ، فطمأنه الحاج بأنه لن يصبح عليه الصبح فى مكانه .

طلق طلعت زوجته فاطمة وأجبر يونس أن يتصل بأبيه فى وجوده ، وانفجر أبوه غاضبا عندما عرف وأنصت طلعت لثورته وهو يتكلم عن الرعاع وأنها مسألة تقاليد . . وبعد فترة يتزوج طلعت من أخرى ويرسل لهم بطاقات دعوه . . ويقابل يونس بعد الزواج فى فندق فلسطين ، ثم يرسل إليه فى الصباح رسالة مع سيد العتر يرجوه فيها أن يسأل عن ابنته وأن يقنع فاطمة بالذهاب إلى بيت أبيه . .

وكأن القدر يحرك يونس إلى مصيره ، فيزور فاطمة وتنشأ بينهما علاقة تتوطد بمرور الأيام . . وهكذا فإن الصدام الفعلى ينشأ دراميا من مجرد التناقض بين العاطفة (مهما تكن طبيعتها) والظروف الخارجية »[١٣] فأسرة يوسف ترفض مطلقة طلعت ، ويعتبرون مستواها الاجتماعى دونهم بكثير ، والأب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يعتبر أن هذه الفضيحة كفيلة بالقضاء عليه . ويسافر الأب للإسكندرية ليقابله وتقابله أمه ، لكن يونس يتمسك بموقفه ، فهو « يناضل ضد ذلك الوسط الذى نشأ فيه ، والذى يحيطه ، والذى يرتبط بألف رباط ورباط ، وذلك يحتم عليه أن يتخذ موقف الدفاع ، وهو يتقبل تحدى المجتمع ، لذلك فإن قوة الصراع فى التراجيديا ، تتحدد بدرجة نشاط وفعالية واحتجاج البطل ! »[١٤]

وتتشابك الخيوط ، لتتفاقم الأزمة ، حينما تلح سارة على أبيها أن يعين خطيبها المرتقب (سمير السامى فى شركة أماركو بواسطة الحاج مرسى فرج . ويضطرالأب البائس أن يذهب للحاج الذى يعده بأنه سيعينه فى شركة الآلات الحاسبة التى سينشئها طلعت بعد عودته من اليابان ، وأنه يجب أن يترك ابنه يتصرف كما يحلو له ، كما قابل الأب أيضا محافظ الإسكندرية الذى وعده بأنه سيتصرف ، وأرسل ضابطا يهددها بأنه وصلت لهم خطابات أنها تدير بيتها للدعارة ، فحدثت يونس بالتليفون فى عمله ، وحدثته باكية ، لاهثة ، فطمأنها ، وذهب إليها « شجاعا ، فارسا ، رجلا ولا كل الرجال ، سمع ما قالته ، ورأسه مرفوعة ، لم يخف ، ولم يتردد ، وكان فى عينيه بريق ساطع ، وفى صوته نغم حلو » (ص ١٨٦) وأخبرها أن كل ما سمعته كلام فارغ ، لأنه سيتزوجها . وتزوجها فعلا فى ذات الليلة .

الخاتمة :

هكذا تطور الأمر إلى فعل مفاجىء (كما يجرى فى المآسى الإغريقية) لقد اندفع إلى الزواج منها ، فقد سبق أن وعدها بحمايتها ، لأنه يحبها ، وإلا ماذا تكون العلاقة الحميمة بينهما ، والتى سمحت له أن يتعامل معها ومع محاسن ومع جيرانها ، الذين تعاطفوا معه ، ولعلهم قدّروا أنه فى مشكلة إنسانية تخصّ فاطمة أم محاسن التى هجرها زوجها . .

لقد مضى يونس فى طريقه (المرسوم) إلى النهاية ، صادقا مع ذاته . . لكن تصرفه كان صدمة أصابت الجميع بالذهول ، فاعتكف النائب العام ، وانهارت زهيرة هانم ولجأت إلى الشعوذة ، لاستعادة ابنها ثانية . واختارت الدولة الأب رئيسا لبعثة الحج لقرب خروجه على المعاش ، فكان الحج مناسبة لذرف الدموع ، وعندما عاد كان قد أعلن اسم النائب الجديد وبدأت حقبة جديدة فى حياة الأسرة . .

وتمضى الأيام وفاطمة تنتظر عودة يونس من إجازته ليلتئم الشمل . أما يونس فقد أوضح موقفه لزميل العمل كلارك بقوله « كنت أول الأمر أريد أن أشعر باحترامى لنفسى ، وأنى أقف ضد الظلم . . وأستطيع أن أقدم العون والمساعدة لمن هى فى حاجة إليهما . . ولم أجد شيئا يمنحنى القوة لأحقق ما أريده سوى الحب » (ص ١٩٠) . .

لكن الأحداث تتصاعد بعودة طلعت الذى يصّر على استعادة ابنته بأى ثمن (ولعله حاقد عليه لزواجه من فاطمة) . وفى ذات الوقت نتابع سيد العتر (المحاصر برقابة الشرطة ، بسبب السيارة المسروقة التى حاول أن يبيعها للنائب العام ، الذى طلب أن يكشف على موتورها بواسطة قائد المرور ، فاضطر سيد أن يخبره أن صاحبها استردها فجأة ، فبدأت الشرطة ترتاب فيه ، فقلل نشاطه فى السرقة وقلت موارده المالية) .

يحدث طلعت يونس تليفونيا ويطلب استرداد البنت ، فيرفض ، ويثور طلعت ويطلب من سيد أن يسترد البنت بأى ثمن ، وبالعنف لو اقتضى الأمر ، وهو وأبوه سيكفلان له الحماية ، ويجدها سيد فرصة للانتقام من يونس ، وقد تتاح له فرصة تحقيق حلمه باغتصاب فاطمة . .

ويقضى سيد بعض الوقت فى احتساء البيرة ، « وهو لا يدرى أن هذا التأخير سيكون سببا فى المأساة وشيكة الوقوع » . . ثم يذهب إلى البيت ، ويلكم فاطمة عندما تفتح له الباب ، فتسقط مغشيا عليها ، ويمسك محاسن التى تصرخ ، وبينما هو متردد بين اغتصابها أو الهرب بالإبنة الصغيرة ، يفاجأ بيونس يهاجمه (لأنه تحرك مباشرة من عمله بعد مكالمة طلعت العاصفة) ، فيخرج سيد العتر مطواته ، ويغرسها فى صدر يونس ، ويفر هاربا . .

هكذا يموت يونس . . هكذا يموت البطل . .

« إن موت البطل هو موت فى ساحة النضال من أجل الحياة . . ففى أى موقف ، وفى أى ظرف ظهر صراع البطل ضد أعدائه ، نرى نحن المشاهدين ، دائما ، وأبدا ضرورته وحتميته الاجتماعية . وندرك رجعية وتخلف الشخوص الذين يقفون بوجه البطل ، كذلك ندرك حقارة ووضاعة أهدافهم وبأى مظهر برزت ! »[١٥] .

القاهرة : حسين عيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهوامش :

١ ـ رواية « قليل من الحب .. كثير من العنف » ـ فتحى غانم ـ مكتبة روز اليوسف ـ مايو ١٩٨٥

٢ ـ رواية « الأفيال » ـ فتحى غانم ـ ص ٣١٩ ـ مكتبة روز اليوسف ـ ١٩٨١

٣ ـ رواية « زينب والعرش ـ فتحى غانم ـ ص ٤٤ ـ مكتبة روز اليوسف ـ ١٩٧٦

٤ ـ المصدر السابق ـ ص ٤٥

٥ ـ المصدر السابق ـ ص ٤٧

٦ ـ رواية « قليل من الحب » ـ ص ١١

٧ ـ المصدر السابق ـ ص ٥٦

٨ ـ مجلة الدوحة ص ٩٩ ـ ١٠٣ حوار أجراه مفيد فوزى مع فتحى غانم تحت عنوان روائى عربى اعترف نقاد العالم بأدبه » السنة السادسة ـ العدد ٦٤ إبريل ١٩٨١

٩ ـ تاريخ الرواية الحديثة ر . م . البيريس ترجمة جورج سالم ص ١٢٥ منشورات عويدات ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ كانون الثانى ١٩٦٧

١٠ ـ الكوميديا والتراجيديا ص ٢٠٢ تأليف مولوين ميرشنت ـ كليفورد ليتش ـ ترجمة د. على أحمد محمود ـ سلسلة عالم المعرفة ـ العدد ١٨ ـ يونيه (حزيران) ١٩٧٩

١١ ـ مجلة الثقافة الأجنبية ص ١٧٧ مقال « عن البطل التراجيدى بقلم ك . شوخين ـ ترجمة غازى العبادى العدد ٤ ـ السنة الخامسة ١٩٨٥ (العراق)

١٢ ـ المصدر السابق ص ١٧٧

١٣ ـ الرواية التاريخية ص ١٥٤ جورج لوكاتش ترجمة د. صالح عبد الجواد الكاظم ـ سلسلة الكتب المترجمة (٤٩) وزارة الثقافة والفنون ـ العراق ١٩٧٨

١٤ ـ مجلة الثقافة الأجنبية ص ١٧٧

١٥ ـ المصدر السابق ص ١٧٩

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القرابين

عبد المنعم الأنصارى

أسْعَى إليكِ وقُدَّامِى قرابينى
على طريقٍ إلى مَغْنَاكِ يدُنينى
لكنّنى كلّما أفْلتُّ من شبحٍ
يلوح لى شبحُ أعتى فيقصينى
جوعانُ . . من لى سواكِ الآن يُطعمنى ؟
ظمآنُ . . من لى سواكِ الآن يسقينى ؟
وليس إلاّ إزارٌ منكِ يسترنى
إذا رياحُ الأسى هبّتْ تعرّينى
ثم انتهيتُ بأحزانى إلى جبلٍ
وليس يعْصمنى مما يُلاقينى

حين ارتحلتِ . . وأغوتنى شياطينى
وكادَ جُوعى إلى نُعماكِ يُردينى
أكلتُ من خُبْز أعدائى فأورثنى
جُبْنَ العبيدِ . . وإقدامَ المجانين
ورحتُ أختال فى قيْدى . . فيلعننى
والعارُ ينشرنى جهراً . . ويطوينى
حتى هتفتُ ـ وأوزارى على كتفى :
من أى منعطفٍ يا موتُ تأتينى !

من حقكم ـ لـو أردتم ـ بيـعُ أنفسكم
لـن تـشـاءون . . هـذا لـيس يـعـنـيـنى
لـكن إذا عـربـدت فى الأفـق ملحـمـتى
وفـجّـرَتْ حـولكـم صمتَ البـراكـين
فـليس من حـقكـم أن تَقْـطعـوا شـفـتى
وتمـسحـوا بـتـراب الأرض عِـرنـيـنى

تـشـابـه الـدُّرْبُ فى عـيـنىّ . . دُلِّـيـنى
فـومضـةٌ من جبـين الـطهـر تكـفيـنى
حـتى أميّـز مـا بـين الـصـقـور ومـا
بـين البُغَـاث وبـين الـضّعفِ والـلين
وأسـتـشـفَّ الـذى وارتـه أقْـنِـعـةٌ
ومـا وراءَ احـتـراق الـنـورِ فى الـطين
وأستعيـدكُ من قـاع المنُـونِ . . فـإن
لم تستَجيبى لصـوتى . . لا تـلوميـنى

الإسكندرية ـ عبد المنعم الأنصارى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثلاث قصائد

سامى مهدى

المرابى

كنتُ أوصدتُ بابى
وغيَّرتُ قفلى
فكيفَ تَسَلَّل ،
بَلْ كيفَ خفَّ إلى البيتِ قَبْلى

كانَ فى موقفِ الباصِ
ينتظرُ الباصَ مثلى
وحينَ ركبْتُ مَعَ الراكبينَ تخلَّفَ عنّى
وكانَ ، كما لاحَ لى ، لا يرانى
وليسَ له أىُّ شأنٍ معى . .
أىّ شأنٍ ،
ومنشغلاً كانَ بالعابرينَ الصغار
وبالسيّداتِ الجميلاتِ فى زحمةِ الانتظار
فهلْ كانَ يجهلنى
أم ترى كانَ يسخَرُ منّى لجهلى ؟!

والذى كانَ فى الباصِ يرمقنى خِلْسةً ،
مَنْ يكونْ ؟
أَغريمٌ سواه يطاردنى
أَمْ رؤى نوبةٍ من ظنونْ
أَم تراه تنكَّرَ واندسَّ فى الراكبينْ
أَمْ تقسَّمَ قسمين
قِسْمٌ يضلّلنى فى الطريقِ
وآخرُ يتبعنى مثلَ ظلّى

ها هوَ الآنَ فى البيتِ
يسبقنى نحوَ مائدتى وطعامى
ويمدُّ إلَى قهوتى يَدَهُ
قبل أن أنتهى معه من كلامى
ها هوَ الآن ، مِنْ بَطَرٍ ، يتمطّى أمامى
وسيأوى إلى غرفتى
حينَ يعلمُ أنى تأهبتُ للنومِ ،
كى لا يهادِنَنى فى منامى

أيُّهذا المرابى العجوزُ احترسْ . .
قبل أن تستطيبَ عذابى
فخزائنُ روحى على عهدها ،
ودمى ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويدِى ،
وإهابِى
ونضارةُ صاحبتِى
ومباهجُ بيتِى
وأولُ ما كتبَ الله فى صَفَحاتِ كتابِى
وأنا الدائنُ المتسامحُ
كلُ الذينَ تطالبُهم مستدينونَ منِّى
ولى مَعَهمْ فضلةٌ من حسابِ
فعلامَ تلاحقنِى دونَ غيرى ،
وَفِيمَ تحاولُ قتلِى ؟!

غالارينا

«إلى سلفادور دالِى»

تَعِبَتْ «غالا»
ودالِى لم يَزَلْ يقظانَ
يَصْطَادُ التفاصِيلَ ،
فيارحلةَ هذا العالمِ الموحِشِ
هَلْ تُطفِىءُ «غالا» ظَمَأَ الروحِ
وهل تنكشفُ الأشياءُ عن سرِّ فتكفيهِ . .
ألا ما أفقرَ الأشياءَ !
دالِى أنفقَ العُمْرَ ولم يَعْثرْ على بُغْيَتِهِ فيها
وها قد أَدْرَكَ اليومَ الثمانينَ
ومازالَ أسيرَ الوحشةِ الأولى
ومازالَ يُمَنِّى نفسَهُ أن يجدَ الأمنَ
وأن تُطفىء «غالا» ظمأَ الروحْ . .

«غالا طيّعةٌ وعَصيّةٌ
تُعطى كلَّ ما عندها ولا تُشبِعُ
وتمنحُ كلَّ ينابيعِها ولا تَروِى
وكلّما انكشفتْ توارتْ .
غامضةٌ غالا
عجيبةٌ غالا
تَدِبُّ فى الجسدِ دبيباً
ولا تتركُ فى الدمِ غيرَ العويل» .

المصارع والثور

كانَ يَزْهُو بقامتِهِ
وقيافتِهِ
وَهوَ يرنو إليْهْ
فلقد أكثرَ الطعنَ
واهتاجَ
والتمعتْ لَذَّةُ القتلِ فى مقلتيْهْ
وهو الآنَ يرهقُهُ بمزيدٍ منَ الطعنِ
تُغْرِى بِهِ شُهُقاتُ المرابينَ من جانبيْهْ
كانَ يبدو عليْهْ
أَنَّهُ آخرُ الشَوْطِ
فالحشدُ أَمْتَعَهُ العَرْضُ
والقاتلُ المتبجّحُ مُبْتَهِجُ
والقتيلُ ترنّح
والدمُ ينزفُ من دَفَّتَيْهْ
. . فجأةً صَرَخَ الحَشْدُ من دَهْشَةٍ
والقتيلُ تَفَلَّتَ
واقتصَّ
والقاتلُ المُزْدَهِىْ كانَ يَهْوِىْ
وَيَسقطُ خِنْجَرُهُ
ثم مِنديلهُ
من يَدَيْهْ

العراق : سامى مهدى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حكاية من وادى عبقر

أحمد سويلم

[يقال إن للشعر واديا اسمه : وادى عبقر
.. فمكثت أبحث عنه حتى وجدته ..
واقتنصت منه هذه الحكايات]

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ صادَفنى مُرتَعشَ الكفين
خائر الساقين
قال : احتَملْنى يا صديقى ـ خُطْوتين ـ
فإنّنى أملِكُ أحرُفاً بلا عيْنين ..
وأنت تَملِك العيونَ .. والحروف
والماءَ .. والشطّين .. !

ساءلُته : لِأين .؟
أشار فى المدى بإصبعين ..
قلتُ له : بالغْتَ فى ظنك يا صديق
فكلُّ ما أكنّهُ فى داخلى
يجعلُنى أعيشُ .. : بينَ بين . !

(بكى صاحبى لما رأى الدربَ دونَه وأيقن أنا لاحقانِ بقيصرا
فقلتُ لَه : لا تَبْكِ عينُك إنّما نحاولُ مُلْكاً .. أو نموت .. فنُعْذَرا)

ـ حلمتُ أنّى حارسٌ بوابةَ السلطان
أفْحصُ للذين يُقبلون ..

بطاقةَ الدخول للإيوان . !
(من أين جِئتَ . . ما اسْمُكَ القديم
ما اسمُكَ الجديد ؟
عُجَالةٌ مُوجَزةٌ عن كلِّ ما جنيت . !)

حينَ صحوتُ . .
كنتُ أشْهدُ الذيَن يَخْرجون
تبدَّلت جلودُهم
فبعضهم مغبرّ الملامح
وبعضهم مُفَضَّض . . وبعضهم مذهَّب
وَغْيرُهم مُشَرَّق . . وغيرهم مُغرَّبُ اللسان
وآخرون . . .
مُقَطَّعوا اليدين والسيقان
لكنهُمْ . . لا يجرؤ ون
أن يُطْلِقوا اللسان
فى سياسة السلطان . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ وقفتُ ساعةً بظلِّ شجرة
دنتْ غصُونُها علىّ . . مثمرة
وأمطرتْنى أسْئِلة
أمسكتُ رأسى بيدىّ
ـ لا أريدُ . . لا أريدُ هذه الأسئلةَ المكررة .
تحولتْ زخاتُها إلى بحارٍ عَكِرَة . .
وأغرقَتْ دفاترى . .
كان علىَّ ـ فى حِصارى ـ أنْ أُجيب
إجابةً تَجِفُّ فيها الأرضُ والسماءُ والعيون
والأكُف . .
ويُجْدِبُ القلبُ . . فَيُلْقى وَتَره . .
(وقال أصيحابى الفرارُ أو الرَّدى فقلتُ : هما أمران . . أحلاهُما مرُّ
ولكننى أمضى لما لا يعيبنى وحسبك من أمرَين خيرهما الأسرُ)
ـ قالت لطفلها الذى لم يبلغ الفطام :
ـ أثمرتُ بعد جدب داخلى
أعذبُ من رحيقِ زهرةٍ . . عيناك
أرقُّ نسمةٍ مع الصباح . . بسمتُكْ

لم تطأ الأرضَ . . ولم تظلّل السماءُ
مثلَ خطوتك

وحينما تمدّلى لى أناملك
كأننى فى قبة الفضاء أَلمسُ النجوم والقمر . . .
بكى الصغير . . كان ثدى أمه يجف . . .
والشموس حوله تغيمُ . .
مسّحت بدمعها عليه . .
قبّلتهُ قبلتين . .
انتزعت وريقة بيضاء . . أمسكت
برأس دبّوس صغير . .
فقأت كلّ العيون الحاسدة . .
لكن طفلها المسكين
لم ينتظر أن تُفقأ العيون
كان استحال قطعةً من الجمود . .

ـ ترجّل الدرويش . .
أسقطه الليل بلا عينين
من صهوة القوت . . ودفئه القديم
أمسك فى يديه سيفَه . .
أشهره فى وجه من يمتلك الأعناق
صاح بأعلى صوته :
ياسيفىَ البتّار
ظمِئْتَ دهراً للدم المراق
وراءك الآن إلى حيث تقودنى
ولن تكون فى فمى . . ولن تكون فى يدى . .
حتى لو استحلت فى نهاية الخطى
قطعة خبز أو سوار . .
من قبل أن أغمس حدَّك المسنون
فى قلب من باعوا خطانا مرةً . . ومرةً
وأزهقوا الحروف . . والوجوه . . والعيون

(ما على ظنىّ ياسُ يجرح الدهر وياسُو
والمحاذير سهام والمقادير قياس
وكذا الدهر إذا ما عزّ ناسٌ . . ذل ناس)

ـ تشبثتْ صديقتى بوصلىَ القديم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تقول : كنْ لى وحدىَ القلبَ الذى يدوم . .
معذرة . صديقتى . .
فنحن أبناء زمانٍ ساخط على ترفّق الخطى
ولهفة العيون . .
زماننا يطرح عجز القلب . . يجعل السكون
عدّثا . . بأثقل الأقوال
فأنجزى ــ يا هند ــ وعدَ ذلك الزمان
وفتّحى عينيك من جديد
من قبل أن يغرقك المدّ . . وترحلى
فى شهقة الدوار . .

(حكاية أخيرة يرويها أبو الطيب المتنبى)

أذمّ إلى هــذا الــزمــان أهــيــلَهُ ... فأعلمهُم فدْمٌ . . وأحزمُهم . . وغدُ
وأكــرمهم كلبٌ . . وأبصْــرهم عمٍ ... وأسهـدُهم فهـدٌ . . وأشجعهم قـردُ
ومن نكد الدنيا على الحر . . أن يرى ... عدواً له . . . ما من صداقته بد . . !

القاهرة : أحمد سويلم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثلاث قصائد

نصار عبد الله

دعاء

لا تتركنا
أدْرِكنا
أدركنا فالأيامْ
هدمتنا رُكْناً ركنا
أدركنا إنك أنت خلقت الآلامْ
وخلقت جراحَ القلب يمرّ العامُ وراء العامْ
والجرح النازف لا يلتامْ
لا تتركنا . . إنا نحن بنوك الأيتامْ
أدركْنا . .
أو . . . أو أهلكْنا !

لاتحزنْ

بـالله لا تحـزنْ فـالله لم يـأذنْ
مـاذا إذا ولّى من حقلك السوسن ؟
أبقاك حيث مضى فـاشكره مـا أمكن
أذعِـنْ ولا تحـزن قـد فـاز من أذعن
واسـألـه بـالحسنى فيجـود بـالأحسن

لؤلؤة تسيل

لؤلؤة تسيل
على ضفاف خدها الأسيل
دمعتها لؤلؤة أسيانة تسيل

عيونها صامتةٌ . . ؟
لكنها في صمتها تقولْ
ما لم تقلْه قبلُ لي
ما لم يعد يفيدُ بعد الآن أن تقولْ

دمعتها لؤلؤة تسيل
قنبلة قد شدّ من زنادها الفتيل
وطائر قتيل

سوهاج : نصار عبد الله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رؤى

عبد السميع عمر زين الدين

أنامُ . . فأحلم حتى يجىء الصباح
وأصحو . . فأحلم حتى يؤوب المساء ،
وأحلم فى غفوات الظهيرة
وأحلم طيلة ليل الأرق ،
وحين أدخّن أحلم ،
وحين أعانق أحلم ،
وأحلم حين أداعب كأسى ،
وأحلم . .
أحلم . .
أحلم .

(١)

أرى فى منامىَ أنى أسير،
وتطوى خطايا الرفيقة
طريقاً جميلاً مضاءً على الجانبين .
وأشعر حولى بليل شتاء الشمال ؛
أخبِّىء كفّىَ فى معطفى
وأمضى وئيداً . .
وثلج رقيق يحطُّ على الرأس والكتفين .

وحيداً أسيرُ ،
وكل المنازل حولى مضاءة .
وخلف نوافذها الشَّفَّة الواسعة ،
أرى الناس حول المدافئ ،
وحول الشجيرات ذات الثريات
يغنون أغنية واحدة
تمجّد ميلاد عيسى المسيح .

وأسمع عبر الثلوج
وعبر هسيس غصون الشجر
غناء شجيًا يفيض عذوبة
يرتّله المنشدون
وينساب من باب إحدى الكنائس
تحيط به هالة من ضياءٍ بهىّ .
وأمضى إليها . .
وأصعد سلمها المرمرىّ ،
وحين أقدِّم أولى خُطاى إلى بهوها
تغلفنى ظلمة شاملة ،
وصمت ثقيل ،
وريبٌ وحيْرة .

ألم شتاتى .
فأسمع وسط السكون

صدّى لا يكاد يبين
لهمس التراتيل يأتى خفيضاً
ومنبعثاً من مكان سحيق .
وأبصر وسط الظلام
بصيص ضياء بعيدٍ بعيدْ
أقول لنفسى :
سأمضى إليه بغير كلل
وأمضى . .
وبعد زمان أسائل نفسى :
وكم يبعد الضوء عنى ، تُرى ؟
وكم تبعد الهمسات القصيّة ؟
وأسمع صوتاً عميقاً يقول . .
مسيرة عام .
فأسأل غيرَ مصدق :
مسيرة عام ؟
يرد بحسم :
على أن تسير نهاراً وليلاً :
ودون توان .

(٢)

وأحلم أنّى أسير مجدّاً ،
طريقى تغوص الخُطَى فى رماله
وشمسى لظاها يجفّف حلمى ،
ويحرق وجهى . .
ويلهب أقدامىَ العارية
أشاهد شيخاً يسير وئيداً . .
ينوء بزقّ ثقيل . .
ينادى بصوت منغّم . .
عطاشى السبيل . .
أُحثُّ خطاىَ إليه
أقولُ :
أغثنى بشَربةِ ماءْ .
يقولُ :
أتشكو الظما يا بنى ؟
أقولُ :
وأوشك من ظمئى أن أموت
فيملأ لى قدحاً من نحاسْ
وأحسوه فى جُرعةٍ واحدة .
أقول له :
شرابك شهد شديد الحلاوة .
يقول :
هنيئاً . .
أقول له :
فهل لىَ من شربةٍ ثانية ؟
يقول :
أما زلت تشكو الظماْ ؟
أقول :
وأوشك من ظمئى أن أموت
فيملأ لى قدحاً ثانياً
وأحسوه فى جرعة واحدة .
ولكنه الآن يا سيدى . .
أقول له :
فيه ملح مُذاب
يقولُ :
ألم تستسغْه ؟
أقولُ :
بلى . .
يقول :
فما زلت تشكو الظما ؟
أقولُ :
وأوشك من ظمئى أن أموت
فيملأ لى قدحاً ثالثاً . .
أقول له :
شرابك هذا . .
هو الآن خمرٌ صُراح .
يقولُ :
ارتويت إذاً ؟
أقول له :
ليس بعد . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فهل لى فى شربةٍ للطريق ؟
يقول :
أما زلت تشكو الظما ؟
أقولُ :
وأوشك من ظمئى أن أموت . .
فيملأ لى قدحاً رابعاً . .
ولكن . .
شرابك هذا غريب مذاقه . .
أقول أنا .
فيسأل :
ما باله ؟، أحلوٌ هو ؟
أقول له :
لست أدرى . .
يقول :
أمرٌّ هو ؟
أقول له :
لست أدرى . .
يقول :
فهل هو سائغ ؟
ويوقظنى من سُباتى القلِق
صدى صوتَ المتحير ؟
يقينا أنا لست أدرى . .
أحلوٌ هو . .
أمُرٌّ هو . .
وهل هو سائغ ؟
وألمس حلقى جافاً كقشّة .

(٣)

وأحلم أنى أراقص وجه القمر ،
أحس به صافيا ،
وينظر لى حانيا ،
تغرّد بالبشر بشرته المرمرية
فأغمر بالوجد وجنته اللؤلؤية .

أقول له :
لأنك أنت السناء العلىّ
سأعطيك كنزى الخفىّ
وكنت ضنيناً بسرّه
شحيحاً بمكنون درّه .
أقول له :
لأنك أنت الجمال الأمير
سأعطيك كنزى الأثير ؛
سأنثر جوهر حبى على هامتك
وكان خبيئا بسرداب شوقى إلى هالتك
أقول له :
لأنك أنت البهاء الملك ،
سأعطيك ما أمتلك ؛
سأغدق كنز حنانى عليك ،
وكان حبيساً بكهف حنينى إليك .
أقول له :
تعال إلى ملتقى ساعدىّ
لأطفىء شوقىَ فى مرمرك
لأدفىء بردك فى شفتىّ
لأسكب عشقى فى أنهرك
يقول ، وعيناه باسمتان :
أتدرى حقيقة من تعشقه ؟
أقول له :
أنت أنت القمر !
يقول :
نعم . .
ولست أنا غير حلم !
أقول له :
وأعلم أنك أنك حلم . .
ولكنْ . .
لأنّى أتوق إلى هجر صحوى ،
عشقتك حلما .
يقول :
مزيج أنا من تراب ووهم !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أقول له :
وأعلم أنك أنت تراب ووهم ،
ولكنْ . .
لأنّى أنا من تراب دنيٌّ . .
عشقت ترابك نجماً .
لأنى ألوذ بطيفك من جدب حسّى . .
فإنى عشقتك وهماً .

وحين أضمّ بهاه إلىّ
يسيل ضياءً . .
وينساب فى صدرى المترامى . .
وأثملُ بالبشر والوجد والومضات العذاب .

استانبول : عبد السميع عمر زين الدين

ARCHIVE
https://Archivebeta.Sakhrit.com

شبح

عبد اللطيف عبد الحليم

يَفصلُنَا ـ وَلَيْسَ فى ذَرْعنا ... أنْ نَحْتَمِى بِالْحُبِّ ـ هَذَا الشَّبَحْ
وَلَيْتَهُ ـ إذْ عَصَفَتْ رِيحُهُ ... يَكْشِفُ عَنْ وَجْهٍ زَهَا ، أو قَبُحْ
لِكنَّهُ ـ وَاليأسُ يغْتَالُنَا ... يُخَبِّئُ المُدْيَةَ ، إمَّا جَرَحْ
نَخادِعُ النَّفْسَ ، نَرُدُّ الأَسَى ... وَلاَعِجُ الأَحْزَانِ فينا نَبَحْ
يا دَوْحَتى العَذْرَاءَ ، مَالِي سِوَى ... ظِلِّكِ فَيْنَاناً ، وَعِطْرٍ نَفَحْ
ورَشْفَةٍ مِنْ نَهْرِكِ المُشْتَهَى ... وَغِبْطَةِ الطَّائِرِ إمَّا صَدَحْ
وَغَفْوَةِ الصَّفْصَافِ إن قَبَّلَتْ ... أَطْرَافُهُ مَاءَ الهَوَى أَوْ سَبَحْ
لِكنَّمَا ، يَا دَوْحَتِي ، عَالِمِى ... يحْرقُ فيه الحُزْنُ لَوْنَ الفَرَحْ
نَخَافُ مِنْ لاَ شَيْء ، والْمُلْتَقَى ... يَجْلِدُ فينَا كُلَّ ضَوْءٍ لَمَحْ
وإنْ فَرَرْنَا ، مَالَنَا مَهْرَبٌ ... غَيْرُ لِقَاءٍ بِالهَوَى مَا سَمَحْ
عَيْنَاكِ يَا دُنْيَاىَ ، مَا فيهِمَا ... يَحْطِمُ فِى نبضِ خَيَالٍ جَمَحْ
وَمَاؤُكِ العَذْبُ بِهِ غُصَّةٌ ... قَدْ تَجْعَلُ الظَّمْآنَ يُلْقِى القَدَحْ
فَهَلْ عَلِمْتِ الآنَ أَنَّ الَّذِى ... يفصلُنَا ، وَهْمٌ بنا ، ما نَزَحْ
لاَ الخِمْرُ تُرويهِ ، وَلاَ مِعْزَفٌ ... يَكْبَحُهُ ، يا لَيتَ عَزْفاً كَبَحْ
وَلاَ غَدٌ ، لَوْ كَانَ يَشْفِى غَدٌ ... نَزْفَ جِرَاحٍ فِى الطَّوايَا سَفَحْ
وَلاَ لِقَاءٌ ، مَا بِهِ بَسْمَةٌ ... صَادِقَةٌ ، تَجْرِفُ هَمًّا رَزَحْ
إلى لِقَاءٍ ، يَانَسِيماً هَفَا ... وَيَا ضِراماً فِى الضُّلُوعِ انْقَدَحْ
وَيَا خُطىً تَسْرى إلى غَايَةٍ ... الحُزْنُ فيها مَالِحٌ والْمَرَحْ
وَيا نَدِيمَ الكأسِ ، هل رشْفَةٌ ... تُمزجُ بالجدِّ زَمَاناً مَزَحْ
وَهَلْ لَنَا مِنْ حِيلَةٍ تُرْتجى ... وَقَدْ وَقَعْنَا فِى شِرَاكِ الشَّبَحْ

القاهرة : عبد اللطيف عبد الحليم

شعر

مساء جميل

محمد صالح

مادهاها السماء ؟
إنها تتشكل هذا المساء ، كقنينة أُفرغت ،
وبقايا الشراب على جوفها . .
غابة من تهاويل
هذا مساء جميل ؛
يعود بنا لسنين انقضت ،
ويُمتعنا .
أيّهذا المساء الجميل استرح فى فؤادى .
ودع زفرتى تتصعّد
كن والدىً اللذين فقدتهما ،
وفقدت الطفولة .
وأنسْ إلىَّ ،
استرحْ فى فؤادى .
وكن لى كأمٍّ
ينازعها قلبها أنَّ هذا الغريب المشرَّدَ . .
من لحمها ،
أنها أرضعته ،
وأن الصغير الذى آب أضحى كبيراً :
له حزنه ، ومراثيه
يجلس فى جنبها مُطرقاً ،
لا ينام على صدرها فيريح ،
ويرتاحُ ،
هذا مساءٌ يعود بنا لسنينَ انقضتْ ،
وعوالم لم يطأ الناس .
السماء تَشَكَّلُ قنينةً أفرغت ،
واستراب الصحاب :
ربّما هذه الخمر زائفة ؟
هل يطول بهم كل هذا الكرى . .
ليُفيقوا على صحوها !
أيهذا المساء استرح فى فؤادى ،
وقَرَّ .

لا مفرْ
بالغٌ كلَّ شىء مداه
السماء تَشَكَّلُ . .
قنينة ؛ فرغ الشاربون ،
وما عاد غير التماع الزجاج ،
وغير التوحُّشِ والإنشداه .

القاهرة : محمد صالح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قمر على بيت حُسْن الزمان

إيهاب فوزى

عطرك جوهرة تتألق . . أنفاسك زهرة
يحملها قمر الليل إلىّ . . .
يسقينى خمر الغابات الوسنى . .
يغسلنى فى ألوان الطيف . .
يتوهّج نبض القلب . . .
يتملك كل غناء العالم . .
لكن . . .
ماذا يجدى كل غناء العالم . .
وأنا مسجونٌ فى أوراق التوت . .
وفى ألوان الطيف . .
مرفوع بالضم . .
ومسكون بالخوف . .
ماذا يجدى . .
وأنا نشوان بالخمر الكاذبة
وبالرعدالزيف . .
يتخطفنى الممكن واللاّممكن . .
تتخطفنى كل محالات الدنيا . .

قالوا : هذا درب العشاق . . . مشيت . .
مجذوباً مقتولاً بالعشق . . . مشيت . .

اسبحُ فى أنهارك . . . لكن
لا أعلم أى الأنهار يصبّ لديك . .
أرسم خارطة للغابات الغرقى فى عينيك . .
والياقوت المتوهج فى شفتيك
والتوت السابح فى خديك . .
وعبير الحناء المتضوع من نهديك . .
والتبر المضفور بشعرك . . .
تغتسل خيول الشّعر بنهرك . . .
تصهل فى درب القمر الفضى . . وترحل . .

لا يبقى غيرى فى طرقات السفر إليك . . .
أصرخ . . . . وحدى أصرخ . . .
مجنونا بالبحر وبالعشب . . . وبالياقوت وبالتوت . . . وبالحناء
وبالطرقات . . .
وبالنهر وبالغابات . . . وألوان الطيف . . .
يأتى قمر يأخذنى ويسافر . . .
يتركنى طيرا مجروحا فى شرفاتك . . . .
فتهلين كليلة عرس .
خمرٌ . . .
عطرك هذا القادم خلف ستائرك . . .
وضياؤك هذا . . .
لا تعدله كل شموس العالم . . .

يفرح قلبى بالألوان المخبوءة فى عينيك . . .
يرقص . . يرقص . . . يرقص . . .
حتى يتكسر . .
يتناثر فى الفرح الكامن فى شفتيك . .
والوعد القادم من جيدك . .
والرابض فى تلويح يديك . .
مجنوناً مشدوهاً مقتولاً عشقاً يشدو . .
لكن زجاج النافذة الموصد . .
وستائرك المسدلة الآن . . .
تردُّ الصوت إلىّ . .
وأنا . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آخر ماأرسلت إليك . . .
هذا العصفور المذبوح بحد السيف على نهديك . . .
ماذا يجدى . .
وأنا مغترب أبداً بين يديك !

سوهاج : إيهاب فوزى عبده

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمد المنسى قنديل

قصة

طقوس بيع نفس بشرية

الليل فى المدن الخليجية البعيدة غير أليف ، رطب وحار ولزج .

كان مصطفى قد انتهى من طعامه . فى نفس الميعاد كل ليلة . يبدأ تناوله بلا جوع وينتهى دون شبع . فى هذا الوقت من الليل لا يكون لديه ما يفعله غير ذلك . رفع الأطباق وأزال الفتات فى عناية . قبل أن يفتح الباب أحدث أصواتا عالية . ورأى الفئران وهى تسرع بالهرب . تصعد الدرج المؤدى إلى الدور العلوى حيث تنبعث روائح الكارى والقرنفل . وضع بقايا الطعام فى صندوق القمامة وأغلق الباب بعد أن تأكد أن الفئران لم تحدث فيه ثقباً بعد . يوما ما سوف يصنعون هذا الثقب وسيقتحمون غرفته . يقرضون الروايات الإنجليزية الرخيصة أولا . ثم أسلاك الكهرباء . وبقايا المعلبات ويستوطنون داخل جهاز التلفزيون . . أمسك كوب الشاى ووقف خلف زجاج النافذة يطل على الخليج . كانت الأضواء المنعكسة على سطحه ساكنة تماما . كأنها سماء أخرى كئيبة ومالحة . .

قبل أن يبدأ فى قتل الساعات أمام التلفزيون سمع صوتاً قادماً من ناحية الباب لم يكن طرقا ولكنه شىء أشبه بخمش الأظافر . لا بد وأنها الفئران قد قررت أن تقوم بهجومها الأخير . نهض وهو يحدث نفس الضجة العالية . ولكن الأصوات المترددة استمرت . شخص ما لم يعرف الطريق إلى جرس الباب . . وقف مصطفى متردداً . منذ أن سكن هذه الحجرة لم يتلق أى نوع من الزيارات . ربما كان واحداً من زملائه المدرسين . أو شخصا أخطأ العنوان . تقدم من الباب وفتحه . . كان هناك شخص ما يقف فى الظلمة . ضئيل الحجم . عيناه براقتان تحدقان فيه . أكبر قليلا من عيون الفئران . ظل مصطفى صامتا وتقدم الشخص الضئيل من خلال الظلمة وهتف فى حرقة :

-- أرجوك . . .

كانت فتاة . وكانت تتحدث الإنجليزية بلكنة غريبة . رأى وجهها الأسيوى الصغير تحت ضوء الغرفة . رأى جسدها الضئيل وشعرها الأسود المنسدل وأنفها الأفطس وهى تعاود الهمس :

-- أرجوك . . ساعدنى . .

وقبل أن يفهم ماذا تريد . وقبل أن يقرر ماذا يفعل مال جسدها الضئيل فجأة وسقطت على الأرض . فى عنف ودون تصنع . أصبحت ساقاها خارج الغرفة . ورأسها فى الداخل . وأسرع مصطفى يحملها . كانت خفيفة الوزن . أشبه بطفل صغير . وضعها فوق الفراش . كان يحسب أنها فاقدة الوعى . ولكنه سمعها تهتف :

-- أغلق الباب . . أرجوك . .

تذكر الفئران فأسرع يفعل ذلك ثم استدار إليها وهو يقول بالإنجليزية بلهجة حادة :

-- من أنت ؟ . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تطلعت الى الضوء وقالت فى توسل :

-- سوف أقول لك كل شىء . . ولكن أطفىء النور . .

قال فى إصرار :

-- ليس قبل أن أعرف . .

كانت تبكى . واكتشف أن وجهها ملىء بالجروح الصغيرة الدامية . قالت :

--حياتى فى خطر . .

أطفأ النور . أطفأ التلفزيون أيضا . وساد ظلام مطبق . وظل مصطفى واقفا فى مكانه مستندا إلى الباب غير قادر على الحركة . بدا له أن هذا الجسد الملقى على السرير بالغ الهشاشة ولو اصطدم به عن قصد فسوف يتحطم . .

سمع صوت أقدام ثقيلة تصعد السلم فى سرعة . تدب أمام باب الغرفة . سمع أصواتا تتمتم بكلمات السباب والشتائم . أصوات خشنة غريبة لم يعرف بأى لغة تتحدث . كان هناك من يطاردها . أكثر من واحد . أدرك أنه قد أوقع نفسه فى ورطة كبيرة والشىء المنطقى الوحيد لكى يخلص نفسه هو أن يستدعى هؤلاء المطاردين ويسلمهم فريستهم . ولكن الأصوات الغاضبة الخشنة بعثت الخوف فى نفسه أيضاً . انتقل جزء من خوفها إليه وأصبح يشعر بأنه هو أيضا مطارد بصورة أو بأخرى . سمع صوت أقدامهم وهم يهبطون الدرج . سمع صرخات الفئران المذعورة . . هتف بها فى صوت خافت :

-- هل هم من رجال الشرطة . .

قالت باكية :

-- كلا وأقسم على ذلك .

سار بحذر الى النافذة . أزاح طرف الستار حتى يستطيع أن يرى الشارع دون أن يلاحظه أحد . كانوا هناك ، خمسة من الرجال الضخام . يرتدون ثيابا بيضاء فوقها صديرة جلدية وأحزمة الطلقات النارية متقاطعة فوق صدورهم وفى أيديهم بنادق سريعة الطلقات . لم يكونوا من رجال الشرطة ولكنهم كانوا أشد خطراً وأكثر شراسة . أشبه بكلاب الصيد المدربة . ومن الغريب أنهم لم يشموا رائحة الفريسة حتى الآن . كانوا يدورون فى الميدان الواسع أمام البيت . يشيرون الى مختلف الاتجاهات وهم يصيحون فى غضب ويتدافعون فى الأزقة الجانبية ثم يعودون . ورفع أحدهم بصره إلى أعلى فتراجع مصطفى مذعوراً وهو يتمتم لنفسه :

-- مصيبة . . يجب أن أتخلص منها . .

ولم يدر ماذا يفعل . كان خائفا من إشعال الضوء . ومن أن يبقى واقفا هكذا عرضة لرصاصة طائشة . مجرد ثوان وسوف يشمون رائحتها ويندفعون الى غرفته . ولكنهم ذهبوا بعيداً . حين جازف ونظر من خلف الستار مرة أخرى لم يجد أحداً . لعلهم كانوا كامنين فى مكان ما . ينتظرون أى خطأ أو أى اشارة . هتف فى حنق :

ــ أخرجى سريعا . . هيا . . ابتعدى عن هنا . .

لم ترد عليه . ظل واقفا . كان لا يريد أن يتورط أكثر من هذا . أشعل الضوء . تحرك سريعا حتى يخرجها قبل أن يلاحظوا ذلك . كانت لا تزال نائمة فى السرير . هزها بعنف وهو يقول :

ــ أخرجى سريعا . . أسرعى . .

لم ترد عليه أيضا . كانت مغمضة العينين . ساكنة . فاقدة لأى لمسةمن الحياة . أخذ يهزها بقوة دون أى استجابة . وضع رأسه على صدرها . قلبها يدق فى وهن . حتى ولو كانت فاقدة الوعى بالفعل فلا يمكن المجازفة من أجل فتاة أسيوية غريبة . يكفى أنه لم يفتح الباب ولم يستدع المطاردين . قدم لها أقصى ما يمكنه . حملها بين ذراعيه . كل أعضائها مرخاة كأنها على وشك التفكك . فتح باب الغرفة . شاهد الفئران وهى تجرى . هبط درجتين من السلم ووضعها على الدرجة الثالثة . تركها للصدفة البحتة . ربما استعادت وعيها واستطاعت الهرب . وربما عادوا إليها . .

أغلق الباب خلفه بإحكام وأطفأ النور ولم يجرؤ على رفع الستار وظل جالساً يرتعد . خيل إليه أنه يسمع صوت تأوهاتها ووقع أقدامهم وصوت قرض الفئران فأخذ يؤكد لنفسه . . لا شأن لى . لا شأن لى . كان فى الفراش بضع من دفء جسدها . تذكر وجه أمه العجوز . وجوه إخوته الكثيرين . أيام الانتظار الطويلة والحلم بالسفر . ومروق الطائرة وسط السحاب . انتقاله من عالم إلى عالم . من حلم الى حلم . كل هذا لا يمكن أن يضيع من أجل غلطة واحدة . القروش التى دبروها . الديون التى ما زالت تغل أعناقهم جميعا . . ولكنها هناك . . فى الخارج . . على الدرجة الثالثة من درج السلم . يتقافز الفئران على شعرها وينتظرها المطاردون فى الخارج . إنهم ليسوا من رجال الشرطة حقا ولكنهم من أهل هذه البلدة . يمشون بأسلحتهم وأحزمة طلقاتهم فى العلن . ومهما حدث فسوف يكون مخطئا . وتكون هى أيضا مخطئة . . الغرباء دائما على خطأ . .

صمت ثقيل . حتى الفئران لم تعد تحدث صوتا . شعر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بالوحشة . كان صوت الفئران قد تحول الى جزء من دورة المؤانسة الوحيدة . حتى الفئران خائفة . قال لنفسه فى تأكيد . . سوف تفيق . سوف تمضى بعيداً . ولكنها كانت هناك . تردد أنفاسها ووجيب قلبها الواهن . تدوى فى أذنه . كيف اكتسبت هذه الأصوات الواهية كل هذه القوة ؟ نهض . أشعل الضوء . فتح الباب . لم تكنها هناك فئران . . ولكن كانت هناك . وجهها إلى أعلى فاغرة الفم . كأنها تتوسل أو تحاول التقاط آخر أنفاس الحياة . . كانت الفئران عطوفة عليها فلم تحاول الاقتراب منها . . عاد هو يهزها ويهتف :

ـ لماذالا تذهبين بعيداً . . لقد ذهب الرجال . . هيا . . انصرفى . .

لم تبد أية استجابة . يدها باردة . وأنفاسها خافتة لحد التوقف . كان عاجزاً عن أى تفكير منطقى . انحنى وحملها مرة أخرى . أصبحت أكثر خفة وأقل حياة . عاد الى الغرفة . إلى الفراش الصغير الضيق وأغلق الباب . انكشف الفستان عن ساقيها النحيفتين آثار وحشية بعضها ما زال داميا . كان اللحم متهتكا والدم الذى ينبجس منه قد لوث ملاءة السرير ولوث ملابسه أيضا . وضعت بصماتها الدامية فى الحجرة . وسوف يشم كلاب الصيد هذه الرائحة ويعرفون أنه ضالع معها . ضاعت هدراً أيام الوحدة فى هذه البلدة بلا أصدقاء ولا حياة اجتماعية ولا مشاكل . . ذهب وأحضر قليلا من القطن الطبى ونصف زجاجة من المطهرات . جلس بجانبها وأخذ يضمد الجروح الغائرة تأوهت تمتمت بكلمات غريبة . نهض واقفا فى قلق وحاول أن يضع يده على فمها ليسكتها . كان العرق البارد يغمر وجهها ويقسم شعرها إلى خصلات متباعدة . نظر من خلف الستار فى قلق . لابد وأنهم مضوا بعيدا . ولكن من يضمن أنهم لن يعودوا ويشاهدوا آثار الدم والقطن الملوث . كانت تتنفض . كائنا حالة من الألم الممض تجتاح جسدها كأنها تستغيث بقوى مجهولة بلغة غريبة برعدة متواصلة بخوف قاتل بغربة لا حد لها . أمسك يدها وحاول أن يحدثها ولكن أبواب الموت كانت مفتوحة أمامها ولعل هذه الانتفاضات هى خطواتها المترددة إليها . .

ولكنها لم تمت . ولم تهدأ إلا بعد ساعة كاملة . ظلت عيناها مغلقتين ولكنها كفت عن الارتعاش والهذيان . ارتفع صوت تنفسها وبدأ إيقاع الحياة ينتظم داخل خلايا جسدها . أصبحت مجرد إنسانة نائمة . مجروحة قليلا . . معذبة كثيراً . . ولكنها أمامه مثل الحقيقة المؤكدة .

ظل جالساً على الأريكة المستطيلة المواجهة للسرير . أطفأ النور وظل جالساً صامتاً . كان يعرف أن الصباح يأتى مبكراً وأكثر سطوعاً . والشمس ما إن تشرق حتى تصبح متعامدة فى وسط السماء . ربما يستطيع التفاهم معها عندما تفيق . يجد لها وسيلة للخروج من غرفته فى هدوء وإلى الأبد . . كانت الفئران قد عادت للقرض من جديد فأحس مصطفى ببعض من المؤانسة وأغمض عينيه .

فتح عينيه فرأى النهار ساطعاً . تأخر عن ميعاد المدرسة . التفت سريعا الى الفراش . لم يكن يحلم . كانت هناك . جسدها الضئيل ممدداً . مسترخيا . نهض ونظر من خلال الستار . كانت الحياة قد دبت فى الشارع والشمس صعدت الى السماء . . هزها فصرخت صرخة خافتة قبل أن تستيقظ . . قال لها قبل أن تلتقط أنفاسها :

ـ يجب أن تذهبى من هنا فوراً . . لا أريد أية مشاكل . .

قالت فى صوت خافت :

ـ إلى أين . . ؟ . . أنا خائفة . .

هتف فى ضيق :

ـ ليس هذا شأنى . . أنا غريب فى هذه البلدة مثلك تماما . . لا مشاكل . .

هزت رأسها فى استسلام :

ـ أعرف . . لا مشاكل . . سوف أمضى . .

كانت تعرف الكلمة جيداً . لا مشاكل . يتلقنها الجميع بكل اللغات فى كل المطارات قبل أن يجرؤ على أى جلم . هبطت من فوق السرير ولكنها قبل أن تخطو خطوة واحدة صرخت من الألم ثم سقطت على الأرض . هاهى تحاول استعطافه مرة أخرى . ولكن الثوب كان مكشوفا عن ساقيها . آثار الجرح متورمة . تضاعف حجمها وأصبحت أكثر احتقانا . ولم يتمالك أن جلس بجانبها وهو يهتف :

ـ من الذى فعل ذلك . . ؟ . .

قالت . .

ـ كلاب . .

ماذا تعنى . . كلاب حقيقية . أم هؤلاء الذين يطاردونها . المشكلة الآن أنها عاجزة عن الحركة وهو عاجز عن حمايتها . . قال . .

ـ لا أريد أن أبدو قاسيا ولكننى مدرس صغير . وضعى حساس جداً . أنا لا أعرف من أنت ولا من يطاردك ولا أريد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أن أعرف . لا أستطيع شيئا لك . لو أنني سقطت أنا أيضا فلن يفعل لى أحد شيئا . .

أومأت برأسها وهى تبكى :

ـ أعرف . . أعرف . .

الوقت يمضى سريعا . . وميعاد الحصة الأولى يقترب :

يجب أن أذهب أنا أولا . . ميعاد العمل . بعد ذلك أرجو أن تنصرفى . عندما أعود لا تكونى أنت هنا . .

وأومأت برأسها وهى عاجزة عن التوقف عن البكاء . تركها كما هى على أرض الغرفة . لم يرد أن يلمسها حتى لا يولد هذا التلامس أى نوع من الإحساس بالتعاطف . أية بادرة من الضعف . ترك الغرفة مسرعاً وهبط الى الشارع . لم يغير ملابسه ولم يحلق لحيته ولم يتناول فطوره . هرب الى الصباح الرطب . . كان السكن قريبا من المدرسة وكانت هذه هى ميزته الوحيدة . وعلى باب المدرسة قابله وجه المدير الغاضب . كان أكثر قسوة وغضبا على المدرسين منه على الطلبة . دخل مصطفى حصته الأولى متأخراً . كان الطلبة أكثر سخافة وأقل فهما . الحوا عليه بالأسئلة الغامضة حتى انتهت الحصة وهو يلهث . دخل الحصة الثانية قبل أن يسترد أنفاسه . رأى ساقيها المتورمتين . رآها تتعثر بين بقايا القمامة والقشران . حدقت فيه عيون الطلبة بلا رحمة . سأل الأذكياء منهم فقط حتى لا يستنفد طاقته مع الأغبياء . وفى الحصة الثالثة لم يستطع أن يقول شيئا . طلب منهم أن يخرجوا كتب اللغة الإنجليزية ويقرأوا فى صمت . ظل جالساً والعرق البارد يغمر وجهه حتى ضبطه المدير متلبسا بالراحة . وفى حجرة المدير لم يستطع أن يتبادل صوراً مع بقية زملائه من المدرسين . كان بعيداً عنهم وكانوا يتفقون سويا على سهرة مشتركة دون أن يدعوه . كانوا قد كفوا عن ذلك من كثرة ما ألحوا عليه وهو يرفض ولكنه فى هذه الليلة بالذات كان يتمنى دعوتهم . أن يأخذوه وسطهم لعله يحس قليلا بالأمان . ظل صامتا حتى جاء صالح وجلس بجانبه وهو يهتف :

ـ ماذا بك . . يبدو عليك الإحساس الشديد بالذنب . .

فوجىء بكلمات صالح وهو يضيف ضاحكا . .

ـ هل تحولت من مدرس الى تلميذ خاطىء . .

صالح مدرس الفقه والشريعة . أحد أبناء البلدة . ربما كان هو المدرس الوحيد وسط بقية المدرسين الغرباء . كان مصطفى منجذبا إليه لأنه كان مختلفا عن الجميع . . كان صالح قد تخرج من الأزهر ومازال يعيش على عذوبة سنوات الدراسة . كان قد أكل خبز المجاورين وضاجع كل بائعات التمرحنه وحضر كل دروس الفقة وشرب خمر الأزقة المغشوشة ثم ارتدى قناع الهدوء الساكن وعاد إلى بلدته يعمل مدرساً . ومنذ الأيام الأولى وقد تألفت بينه وبين مصطفى روابط خفية . كانا من سن واحد تقريبا يتحدثان لغة مشتركة . . وربما كانوا أيضا شركاء فى نفس التجارب . ولكن العلاقة لم تتعد خارج أسوار المدرسة ولم تكتسب أية صبغة شخصية خاصة .

فى هذا اليوم حاول مصطفى أن يتحدث معه . أن يزيد من قوة روابط المشاركة . لم يتصور أن وجهه يكشف بهذه السهولة عما بداخله . لم ينقذه من الحديث المتعثر إلا رنين الجرس يعلن انتهاء فرصة الراحة . نلتقى بعد الدراسة . قال صالح وهو يمضى . وكان مصطفى يخشى نهاية اليوم . لحظة العودة الى البيت . مضت بقية الحصص وهو منوم . وكان صالح ينتظره بسيارته على باب المدرسة فلم يجد بداً من الركوب معه . . كانت الحرارة لا تطاق . . وظلا يسيران فى الشوارع المشمسة شبه الخالية .

فجأة شاهد مصطفى أحد الرجال . ربما كان منهم أو يشبههم . . يقف على الرصيف يحدق فى السيارات المسرعة . لا يهتم بالقيظ . نفس الثوب والصديرة الجلدية وأحزمة الطلقات المتقاطعة فوق الصدر والبندقية فى يده . واقفا مثل وثن قديم . ووجد مصطفى نفسه وهو يغوص فى المقعد . قد يشم هذا الرجل رائحته . . رائحتها وهتف صالح :

ـ ماذا بك . . ؟ . .

أشار مصطفى الى الرجل :

ـ من هذا الرجل . . إننى أرى كثيرين مثله يحملون أسلحة وطلقات ولكنهم ليسوا من رجال الشرطة . .

ضحك صالح وهو يقول :

ـ بدوى . . مظهره مخيف والمفروض أن يكون كذلك . . إنه كلب شيخ . .

ـ ماذا . . ؟ . .

ـ الحرس الخصوصى للشيوخ . . « بودى جارد » . . نحن نطلق ، عليهم « كلب شيخ » هتف مصطفى . .

ـ أى نوع من الشيوخ . .

ـ الشيوخ المهمون بطبيعة الحال . . وأهمية الشيخ تبدو من مدى تقدم السلاح الموجود فى يد حارسه . .

صمت مصطفى . إنها هاربة إذن من قبضة أحد الشيوخ المهمين . يبدو ذلك واضحاً من منظر كلاب الصيد الذين كانوا

يحاصرون المنطقة . ليتها تكون قد رحلت . بلع مصطفى ريقه وهو يعاود السؤال . .

ـ كم شيخاً فى البلدة . ؟

ضحك صالح . .

ـ لقد بدأت تتحدث فى السياسة الداخلية لأول مرة فى حياتك . . الشيوخ كثيرون ولكن المهمون منهم قليلون . .

وصلا إلى البيت . هبط مصطفى ولوح بيده لصالح . ظل واقفاً حتى انصرفت السيارة وظل متردداً فى الدخول . ألقى على نفسه السؤال الذى كان يؤجله طوال اليوم . . هل غادرت البيت حقاً . . ؟ تخيل عينيها الباكيتين وهى تؤكد له أنها ستنصرف . . وساقيها المتورمتين وهما تؤكدان على العكس . خرج من باب البيت مجموعة من الهنود الذين يسكنون فوقه . يرتدون العمائم الملونة ويربطونها بالسيور حول لحاهم الطويلة غير المشذبة . انحنوا له واشتم رائحة الكارى والقرنفل المنبعثة منهم . كان من السخف أن يبقى واقفاً هكذا . صعد السلم وفتح الباب . كانت هناك نائمة فوق الفراش . ظل واقفاً تتدافع داخله مشاعر الغضب والخوف . . نظرت إليه بعينين عاجزتين . وجهها الأصفر محتقن بحمرة داكنة وشفتاها الجافتان شديدتا البياض . هتفت فى صوت واهن :

ـ لم أستطع . .

انحدرت . عيناه إلى ساقيها . إنها بحاجة إلى طبيب ولكن كيف يمكن أن يفعل ذلك . جلس محبطاً على أحد المقاعد وهو يتمتم :

ـ ألا يمكنك الذهاب إلى أحد المستشفيات . . ؟

ظلت تحدق فيه . ابتسمت فى استعطاف أن يبادلها الابتسام . . سألها فجأة :

ـ ما اسمه . . أعنى ذلك الشيخ الذى هربت منه ؟ . .

نظرت إليه فى فزع ثم أشاحت بوجهها إلى الناحية الأخرى . كانت خائفة من أن يشى بها . هو نفسه لا يدرى لماذا سألها هذا السؤال . تذكر ابتسامة صالح المحذرة وهو يقول له إنه يتدخل فى السياسة الداخلية . لقد أصبح فى مأزق حقيقى . نهض فجأة متجهاً إلى الباب وقبل أن يغادر الغرفة رأى عينيها وهما تتبعانه فى فزع حقيقى . .

كان القيظ رهيباً فى الخارج . ولم يستطع أن يفتح عينيه من شدة الضوء . والتقط أنفاسه بصعوبة . هل يذهب إلى المكان الذى رأى فيه هذا « الكلب شيخ » حتى ولو كان كلب شيخ مختلف فيمكنه بلاشك التفاهم مع كلاب الشيوخ الآخرين .

ولكن كيف يبرر قضاءها لليل كله فى غرفته . سار إلى شارع جانبى . دخل « صيدلية » كانت تستعد للإغلاق . اشترى قطناً وشاشاً ومطهرات ومضادا حيويا ومخفضات للحرارة . وضع الأشياء فى كيس بإحكام وتلفت فى حذر وهو متجه إلى الباب وعندما صعد السلم ودخل الغرفة أدرك أنه قد أصبح شريكاً بإرادته . .

حدقت فيه وهو يدخل . ظلت غير مصدقة أنه ليس هناك من يتبعه . ابتسمت فى راحة عندما شاهدته يخرج علب الدواء . وهو يزيح الثوب عن ساقيها وينظف آثار الجرح ويلفه بالشاش وهو يساعدها على النهوض ويعطيها جرعة من الأدوية . قالت بامتنان حقيقى :

ـ شكراً . . أنت أخ أكبر .

قال لها . . ما اسمك . .

قالت . . ماتيلدا . . أنا فلبينية . .

كان من العبث أن يشرح لها لماذا يفعل معها هذا . هو نفسه لم يكن يعرف . هناك شخص آخر بداخله يتصرف ضد العقل وضد المنطق . . قال :

ـ هل أنت جائعة ؟ . .

هزت رأسها فى نفى :

ـ لا أستطيع الأكل . . لا أقدر على ذلك . .

من الصعب أن يتصرف بطبيعته فى حدود هذا المكان الضيق وهاتان العينان تراقبانه . لم يرتح إلا عندما أغمضت عينيها . غرقت فى النوم . ربما لأنها أحست بالأمان وأن أوان الوشاية بها قد فات .

غير ملابسه وتناول قليلاً من الطعام . وقرأ قليلاً فى إحدى الروايات الإنجليزية المليئة بالحركة ثم غفى على الأريكة المستطيلة المواجهة لها . وعندما استيقظ كان المساء قد أقبل . وهى راقدة أمامه مفتوحة العينين . ابتسمت فبادلها الابتسام للمرة الأولى قالت فى همس .

ـ أخ أكبر . .

قال . . اسمى مصطفى . .

حاولت أن تردد الاسم ولكنه كان صعباً عليها . . وعندما نجحت نطقته بطريقة مضحكة . تحسنت حالتها . أكلت قليلاً وتناولت الدواء وظلت تحدق صامتة فى شاشة التلفزيون . وجلس مصطفى بجانب النافذة . . أطبق الظلام على المدينة ولم تكن فى الشارع حركة غير عادية . نفس الأشخاص الذين يمرون كل ليلة . فى طريقهم إلى لحظات وحدتهم الطويلة خلف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجدران . بعد ذلك لا يبقى من أصوات الليل إلا أصوات السيارات المارقة وهدير المكيفات . تأملته ماتيلدا طويلاً قبل أن تقول :

ـ أخ أكبر . .

قال . . مصطفى . .

ـ موستافى . . أود أن أقول شيئاً . . لقد سألتنى عن اسم ذلك الشيخ . .

ـ لا يهم . .

ـ إننى أثق بك أخ أكبر موستافى . . إنه الشيخ بن غانم . .

نطقت الاسم أكثر من مرة حتى استطاع التعرف على النطق الصحيح . . وفى النهاية لم يكن الاسم يعنى لديه شيئا . . قال . .

ـ لا أعرفه

صمت قليلا ثم قالت بتردد . .

ـ هل أقص عليك كل شىء . . ؟

لم يكن يريد أن يعرف أى شىء . . يكفى ذلك القدر من التورط . قال بتردد هو أيضا :

ـ ربما لن أستطيع أن أفهم . .

ـ إننى خادمته الخاصة . .

وصمتت قليلا كأنها تبحث عن الكلمة المناسبة :

ـ وعشيقته المفضلة

كان وجهها صغيراً لا مبالياً بينما احمر وجهه بشدة :

ـ كنت عشيقته المفضلة . . أه لعلنى كنت أحسب ذلك . .

لم يكن هناك أى خجل من الاعتراف . . وقاوم مصطفى فضوله قليلا ثم قال :

ـ لماذا هربت منه إذن . . ؟ . .

طال صمتها . وظل وجهها جامداً . . كانت تستجمع من داخلها صور الكلمات . . ثم هتفت . .

ـ أوه أخ أكبر . . لقد كان سيداً قاسيا . .

كان صوتها مرتعداً مليئا بالألم . . كان الحديث قد أيقظ عذاباتها الداخلية . . سألها :

ـ عندما جئت إلى هنا . . ألم تكونى تعرفين أنك سوف تصبحين عشيقته . .

ـ هذا لا يهم أخ أكبر . أنا أحب ممارسة الجنس . هذا أفضل من الأعمال المنزلية الشاقة مثل التنظيف أو الغسيل أو رعاية الأطفال . . هذا أكثر راحة ويعطيك إحساساً بالأفضلية . إنه نفس الأجر أخ اكبر . .

كانت كلماتها الغريبة مليئة بالمنطق المرعب . خارج الحدود كل شىء مباح . قالها له أحد الأصدقاء الذين يحترقون السفر الى كل الموانىء . . قال :

ـ هذا الشيخ ألم يكن متزوجاً . .

ـ بالطبع كان متزوجاً أخ أكبر والسيدة تعرف كل شىء . إنها تفضل أن يتم كل شىء بمعرفتها . المشكلة كانت مع الشيخ نفسه . . طريقته كانت فى غاية الرعب . .

لم يكن يدرى إلى أى مدى يمكن أن تصل فى صراحتها . ولكنها كانت قد بدأت ولم تستطع التوقف . كأن كل التفاصيل الماضية قد تجمعت حولها . مدت أصابعها المرتعدة وأخذت تفك أزرار ثوبها . بدا جسدها الضئيل ناصعاً . لم تكن ترتدى شيئاً تحت الثوب صدرها صغير مثل طفلة . ووسط البياض تنتشر بقع سوداء . بقع صغيرة داكنة فوق الصدر والثدى والبطن . . هتف :

ـ ما هذا . . ؟ . .

كانت ترتعد ولكنها ظلت تعرض جسدها كله عليه

ـ إنها آثار الشيخ أخ أكبر . كان يطفىء سجائره فى لحمى . لم يكن يبلغ الذروة إلا بعد أن يشم رائحة لحمى المحترق . .

بقع صغيرة محترقة . بعضها قديم بدأ يتحول إلى اللون الداكن وبعضها مازال حديثاً . أسود اللون متفحماً حتى خيل إليه أن الرائحة مازالت تنبعث منه . تمتمت :

ـ هل تريد أن ترى المزيد ؟ . .

أخفض عينيه وبدأت تعيد تزرير ثوبها . . سألها :

ـ وساقك . .

ـ هذا شىء آخر . إنها من آثار كلابه . كان يتخيل أن الكلاب يمكنها أن تضاجعنى بينما يكتفى هو بالتأمل . .

صرخ فى وجهها . .

ـ هل تقولين الحقيقة . . ألست تكذبين . . ؟ . .

ـ أقسم أن هذا هو ما حدث . .

كان من المستحيل عليه أن يصدق . وهى تواصل الكلام فى إصرار . بالعربية والانجليزية والفلبينية لم يكن يستطيع متابعتها ولكنها كانت ترتعد من الحمى والانفعال . كلامها ينفذ إليه دون أن يفهمه بتفاصيله . أحس أنه فى حاجة إلى الهواء النقى البقع السوداء تتراقص أمام عينيه . رائحتها تنبعث من هواء المكيف . فتح ستار النافذة قليلاً فوجدهم فى وسط الشارع . كلاب الصيد بأحزمة الرصاص المتقاطعة والبنادق . . كانت رائحة الفريسة قد قادتهم إلى المكان مرة أخرى . أشار إليها أن تصمت . أطفأ النور والتلفزيون وأحكم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غلق الباب . سمعها تبكى فى صوت خافت مقهور وهى تقول :

ـ أخ أكبر . . لا تتركنى لهم . .

جلس بجوارها على الفراش . اهتز جسدها فى رعدة متواصلة . أمسك يدها المبللة بالعرق البارد وهمس :

ـ لا تبكى . .

ولكنها واصلت البكاء فى صوت مكتوم . .

ولم يخل الشارع من الناس والحرس إلا بعد ساعتين مخيفتين . كان جسدها ملتصقاً به مثل طفل يطلب الحماية . وأخيراً استطاع أن يشعل الضوء وأن يهتف بها :

ـ ماذا أفعل . . وجودك هنا غاية فى الخطر . إنهم يعرفون أنك تختبئين فى المنطقة . .

قالت وهى تجفف دموعها . .

ـ بعض الأصدقاء سوف يساعدوننى . سوف أعطيك رقم تليفونهم أخ أكبر . اتصل بهم وسوف يأتون لأخذى . .

ـ هل هم عرب . . ؟ . .

ـ كلا . . فلبينيين مثلى . إخوتى تقريباً . . نحن فى الغربة نكون إخوة . .

ـ هل يمكن الثقة بهم . .

ـ يجب أن أثق بهم أخ أكبر . إنهم خلاصى الوحيد . لقد تقاسمنا الأرز سوياً وتعاهدنا على ذلك . .

كانت متشبثة بذراعه كأنها على وشك الغرق . ظلت تحدق فيه بعيونها المتوسلة حتى قال :

ـ حسناً . . سوف أتصل بهم . .

وجلسا هادئين وظل هو يراقب الطريق . .

فى الصباح كانت أحسن حالاً . استيقظ فى ميعاده المبكر فوجدها مستيقظة . أكلا سوياً وتبادلا كلمات سريعة وأحس بنوع ودود من المشاركة . كتبت له الرقم واسم الشخص الذى سيتصل به على ورقة صغيرة فدسه فى أسفل جيبه . كانت ملامحها أكثر رقة ولكنه لم يستطع أن ينسى جسدها الملىء بالحروق . .

قالت وهو يستعد للخروج :

ـ أوه . . أخ أكبر . . أنا طاهية ماهرة . أود لو أستطيع الوقوف . .

رفع أصبعه محذراً . .

ـ أنا أيضاً طاه ماهر . . ولكن ليس لدينا ما يمكن طهيه . . كلها معلبات . . تذكرى . . لا صوت . . لا تلفزيون . .

رفعت يدها وهى تقول . .

ـ أعدك أخ أكبر . .

ـ مصطفى

ـ موستافى . .

وهو يهبط السلم ضبط نفسه مبتسماً . كيف يمكن أن يداخله هذا الشعور المريح وهو على حافة الخطر . هل الإحساس بالوحدة هو أكثر سوءاً . اكتشف أنه لأول مرة فى الليلة الفائتة لم يسمع صوت الفئران . سمع فقط صوت تنفس ماتيلدا وتأوهاتها الخفية وكلماتها الغامضة . كان النهار مازال رمادياً والشمس لم تكشر عن أنيابها بعد . وجد صالح فى انتظاره أمام باب البيت فى سيارته . قال مبتسماً وهو يفتح الباب :

ـ كنت ماراً . . قلت أنتظرك بدلاً من أن تذهب متأخراً كالأمس وتغضب مديرنا الهمام . . كيف حالك . . ؟ . .

أخبره مصطفى أنه بخير . . أضاف صالح :

ـ يبدو هذا واضحاً . . بالأمس كان منظرك مروعاً . .

رغم بساطة الموقف كان مصطفى متوجساً . يحاول أن يفهم ما هو خلف كل كلمة من هذه الكلمات قرر أن يباغته هو بالهجوم . أن يكشف بعضاً من أوراقه . ولكن كيف يمكن أن يتم ذلك دون خسائر . . قال :

ـ هل تعرف الشيخ بن غانم . .

رفع صالح حاجبه وهو يقول :

ـ ومن لا يعرفه . . إنه أهم شخصية فى البلدة . . قصره هو المطل على خور الخليج . . إبنه عندنا فى المدرسة . .

لم يستطع مصطفى أن يخفى دهشته :

ـ ماذا . . ؟

ـ أجل . . اسمه جاسم على ما أظن . . كنت أظنك تعرف ذلك . لعله فى أحد الفصول التى تقوم بالتدريس فيها . . ولكن . . لماذا تسأل عنه ؟ . .

ـ لا شىء . . سمعتهم يتحدثون عنه فى المدرسه . .

ـ عن مجلسه بلاشك . . له مجلس مشهور يحضره الجميع . .

وبنفس البساطة والعفوية انتقل صالح إلى موضوع آخر . وصلت السيارة إلى المدرسة . كانت صفوف التلاميذ طويلة ومتشابهة . المدير واقف فى صرامة يوجه نظرات التهديد للمدرسين ترى ما هو شكل ابن الشيخ هذا ؟ . . لابد وأنه سمين بالغ القسوة يدخن بشراهة ويلسع زملاءه بأعقاب السجائر . انتهز فرصة غفلة المدير وتسلل إلى غرفة المدرسين . أخرج قوائم الفصول التى يقوم بالتدريس فيها وأخذ يراجع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأسماء . فى الصف الثالث وجد الاسم . جاسم بن غانم . بلا ألقاب . جاهد حتى يستحضر صورته فى ذهنه . كان الاسم شائعاً لدرجة كبيرة . . سوف يراه اليوم فى الحصة الرابعة . . ولكن ما جدوى ذلك . . ؟ . .

كان إحساسه بالذنب قد تناقص كثيراً . لم يعد بنفس الحدة الماضية . عاد إلى الطابور حدجه المدير بنفس النظرة القاسية . انسحب الجميع إلى الفصول . كان مصطفى يتحدث بسرعة لعل إحساسه بمرور الوقت يكون أقل . نصف الطلبة على الأقل لم يكونوا يتابعونه . آثار السهر الطويل أمام أجهزة الفيديو كانت واضحة فى عيونهم . كانوا يتثاءبون فى صوت مسموع ويعلنون عن رفضهم بإيماءات واضحة . ولكنه ظل يواصل الشرح كأنه يلهث . وجاءت الحصة الثانية والثالثة وهو يشعر أنه غائب عن وعيه . يتحدث بلغة لا يفهمها أحد . كان الإنهاك قد تسلل إلى روحه . وفى غرفة المدرسين أثناء فترة الاستراحة جلس صالح بجانبه وهو يقول :

ــ ما رأيك أن نخرج فى نزهة بالسيارة الليلة . إنها ليلة مقمرة . .

ــ أين نذهب . . ؟ . .

ــ إلى أى مكان . . ربما ذهبنا إلى الخور . . هل رأيته من قبل ؟ . .

لم يكن قد رآه . لذلك وافق على أن يأتى صالح ويقف تحت نافذته ويطلق بوق سيارته . أراد أن يتصرف بصورة طبيعية . كان يريد أن يؤكد له أنه لا يوجد ما يخفيه . كان متعباً وعليه أن يمضى الآن إلى الحصة الرابعة . حاول أن يكون طبيعياً وهو يدخل الصف الثالث الذى دخله قبل الآن عشرات المرات . الطلبة متشابهون . ولا يوجد غرباء فى هذا الفصل بالذات . من أول وهلة عرفه على الفور . أدرك أنه كان يعرفه من البداية . يحس بهالة القوة التى تحيط به فى جلسته المنعزلة . فى الطريقة التى يتحدث بها مع الآخرين . لابد وأن للقوة صفات تنتقل بها عبر اللحم والدم . كان يجلس هادئاً . يحدق من ظلال النافذة القريبة منه . لم يكن مكترثا بصفة خاصة ولا يذكر مصطفى أنه احتك به . ثوبه الأبيض أكثر نصاعة . لعل هذا من انعكاس الضوء أو من الوهم . . كيف يمكن أن تتداخل الخيوط فى مثل هذه المدينة الصغيرة بمثل هذا التعقيد . كان مدرساً بسيطاً منذ برهة وهو الآن يدخل بيت العنكبوت دون أن يستطيع الإفلات .

شرح درساً قديماً . كرر نفس الكلمات تقريباً . ولم يفطن أحد من التلاميذ إلى ذلك . اكتشف أنه طوال الوقت كان متوجهاً إلى هذا التلميذ . يحاول أن يؤكد له أنه مدرس جيد . وظل التلميذ على نفس الدرجة من اللامبالاه وقلة الاكتراث . أخذ مصطفى يسأل التلاميذ واحداً واحداً . كان حاداً فى سخريته لا يغفر خطأ . . وكان قاسياً حتى على الطلبة المجدين . وعندما وصل إليه أدرك أنه فعل هذا من أجل أن يسأله هذا السؤال . من أجل أن يجعله يقف أمامه ويختبر مدى قوته . ولكن جاسم قال فى بساطة :

ــ لا أعرف . .

لم يكن هناك أى إحساس بالتغابى وتوقفت كلمات السخرية فى فم مصطفى وقال فى بلاهة :

ــ لماذا . .

قال جاسم فى حزم . . لأننى لا أعرف . .

وبدأ يستعد للجلوس . وأسرع مصطفى يحدثه . يلقنه بدايات الإجابة . لا يطلب منه فقط غير إيماءات الموافقة . يحاول أن يضع على فمه إجابة وهمية لم ينطق بها وحتى هذا لم يفعله جاسم . وقال مصطفى فى النهاية :

ــ أنت طالب ذكى ولكنك فى حاجة إلى قليل من التركيز . .

وانسحب من الحصة مهزوماً . .

ظل جالساً وحيداً فى غرفة المدرسين . كان جدوله خالياً فى هذه الحصة ولم يستدعه المدير لشغل أية حصة احتياطية . حاول أن يشغل نفسه بتصحيح الكراسات ولكن بصره وقع على التليفون الأخضر . كان موجوداً على حافة المنضدة أمامه مباشرة . وبحث فى أعماق جيبه حتى أخرج الرقم . وظل متردداً قليلاً ولكنه أدرك أنه لا يوجد أمامه إلا أن يتحدث فى هذا التليفون أو يخبر الغلام أن طريدة أبيه ترقد فى حجرته .

أدار الرقم ورن جرس التليفون طويلاً قبل أن يرفع أحدهم السماعة من الجهة الأخرى . وجاء الصوت بنفس اللكنة الأسيوية . ونظر مصطفى حوله ليتأكد من أن الغرفة خالية ثم هتف :

ــ أنا أتحدث بخصوص ماتيلدا . .

قال الصوت الآخر مدهوشاً . .

ــ من أنت . . هل أنت من طرف الشيخ بن غانم . .

وفى كلمات سريعة أخبره مصطفى بقصة هروبها . وصمت الصوت الآخر تماماً حتى خيل إلى مصطفى أنه غير موجود . وبعد برهة قال متردداً . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ إنها الآن هاربة . . وتريد منا أن نعاونها . .
ـ أجل . . ويجب أن يتم ذلك سريعاً . .

وساد الصمت المطبق من جديد . . ثم هتف . . لحظة واحدة . . وسمع مصطفى غمغمات كثيرة متداخلة . سمع صرخة امرأة . وحديثا خشنا يتبادله رجال متوترون . . ثم عاد الصوت يقول :

ـ هل يمكن أن تصف لنا المكان ؟ . .

كانت معظم شوارع المدينة تخلو من الأسماء . . وصف البيت والميدان الواقع أمامه والحى الذى يحيط به . وكان الوصف صعباً إلا من يعرف تضاريس المدينة جيداً . . وقال الرجل أخيراً :

ـ لقد عرفت المكان . . ولكن . . لماذا فعلت ذلك ؟ .
ـ لا أدرى . . كل ما أريده هو أن تأتوا لتأخذوها . . إنها عاجزة تقريبا عن السير . .
ـ سوف نأتى غدا . . مساء .

قال مصطفى فى ضيق :
ـ وماذا عن اليوم ؟ . .

هتف الصوت الآخر :
ـ هذه الفتاة الحمقاء وضعتنا فى ورطة حقيقية . . يجب أن ندبر أمر نقلها سراً وهذه مسألة صعبة .

وحاول أن يتحكم فى انفعاله وهو يضيف :
ـ أنا آسف . . هل يعرف أحد غيرك بالأمر . .
ـ كلا . .
ـ لا تخبر أحداً أرجوك . . سوف نأتى لنأخذها . . غدا . .

وأغلق الخط قبل أن يغلقه مصطفى . أحس بالراحة الشديدة . يوم واحد وينزاح هذا الكابوس يخرج من بيت العنكبوت ويعود إلى وحدته الخالية من المشاكل . .

فى نهاية اليوم أوصله صالح . وتواعدا على اللقاء فى المساء . واشترى مصطفى بعضا من الأطعمة والفواكه . وتلفت فى حذر وهو يدخل المنزل . وعندما دخل الغرفة كانت جالسة على الأريكة المستطيلة . وجهها أكثر إشراقاً وطفولية . وابتسامتها صغيرة وعذبة . قالت ضاحكة :

ـ أخ أكبر موستافى . . كنت أراقبك من خلف الستار . . قال فزعاً . . هل رآك أحد . .
ـ كلا . . مجرد شق صغير يكفى دودة صغيرة . . أنا متأكدة أن أحداً لم يرنى . . وضع الطعام داخل الثلاجة . ألقى نظرة على ساقيها قالت على الفور :
ـ لقد سرت قليلا . . أنظر . .

وحاولت النهوض ولكن جسمها مال فى حركة مفاجئة وأوشكت على السقوط . أسرع يسندها وهى تقول ضاحكة :
ـ أنا بخير . . أخ أكبر . .
وساعدها على الجلوس . .
ـ لقد اتصلت بأصدقائك وسوف يأتون لأخذك غدا فى المساء . .
وضحكت فى سعادة . وأكلت بشهية وتحدثت بانطلاق . وتناولت الدواء . وفكر مصطفى . . لو أنه تعرف عليها فى ظروف أخرى . . قال :
ـ سوف أخرج هذا المساء فى نزهة مع صديق . . أرجو أن تأخذى احتياطك حتى لا يلحظك أحد . .

أومأت برأسها فى امتنان ثم قفزت فجأة وقبلته فى خده بامتنان حقيقى وهى تقول :
ـ أخ أكبر . . شكراً لك . . نحن غرباء حقا . . ولكننى لن أنسى لك ذلك أبداً . .

أصرت أن تترك له السرير ليتمدد فوقه قليلا وبقيت هى جالسة فوق الأريكة المستطيلة تتأمله . نام على ظهره ، كان الطلاء المتساقط من سقف الغرفة يكون أشكالا غريبة . خرائط لبلاد مجهولة . كلمات غامضة . جسد مصاب بالعطب . ترى لماذا تحملت كل هذا العدد من الندوب السوداء لماذا قضت كل هذه الليالى فى انتظاره وهى تعلم أن جسدها سوف يكون مطفأة سيجارته الأخيرة . . قال فى صوت خافت :

ـ ما أمر أن نكون غرباء والأشد غرابة أن نتكالب على هذه الغربة نخرج أسوأ ما فينا حتى يأخذ المرء مكانه على الطائرة لقد فعلت أشياء كثيرة كذبت على كل الأصدقاء الذين كانوا . يسبقوننى فى الأقدمية . . وتخليت عن خطيبتى التى كانت تحدثنى عن فضائل الفقر وأخلاق الفقراء . نافقت حضرة الناظر . وغازلت ابنته العانس وطأطأت رأسى أمام المفتش وتزلفت لهم فى المنطقة التعليمية . كان البيت الذى أعيش فيه رطبا مليئا بالوجوه الشاحبة . ومات أبى وترك لى العديد من الأفواه الفاغرة التى كان يجيد إنجابها . كان نساجاً علمنى بالاستدانة وتخرجت عاجزاً عن سداد حتى أبسط الديون . . عشت غريبا فى نفس المكان الذى فيه ولدت . . فقراء يتصارعون مع فقراء على الفتات .

حدقت فيه بعيون براقة تحاول عبثا أن تتابعه كان يتحدث بالعربية جاء دوره هو أيضا فى الهذيان . أغمض عينيه وأخذ يستمع إلى صوت تنفسه كان صدره ثقيلا عشرات من

الذكريات القديمة تربض فوق صدره . الشارع القديم والليل يهبط فوق البيوت الفقيرة أسرع مما يهبط على بقية المدينة . النسوة يلقين بماء الغسيل أمام البيوت ثم يجلسن على الأعتاب بعد أن يهدأ التراب قليلا لعل هناك نسمة باردة من الهواء تهب عليهن . .

ولابد أنه قد غفا طويلا . . فقد استيقظ وما تيلدا تهتف مذعورة :

ـ هناك سيارة تحت النافذة . . إنها تدوى فى إلحاح . .

سيارة صالح أشار له أنه سوف يهبط كان ما يزال مخدراً من أثر النوم . القى عليها التحذيرات المعتادة وهبط السلم فتح له صالح باب السيارة وهو يسأله :

ـ هل كان معك أحد فى الغرفة . .

طارت بقايا النوم من رأس مصطفى وهو يهتف :

ـ كلا . .

قال صالح ببساطة وقد تقبل إنكاره :

ـ خيل إلى أن أحدا ينظر من خلف الستارة قبل . أن تنظر أنت . . ربما كان هواء المكيف هو الذى جعل الستارة تتراقص . .

ومضت السيارة بهما . غاصا معاً فى الشوارع التى بدأت تخلو إلا من السيارات المسرعة كانت الأضواء تحاول انتزاع هذه البقعة من الأرض من ظلام الصحراء العربية المترامية والخليج محاصر من كل ناحية بالإنشاءات المختلفة . ساكن مستسلم بلا صوت . والسيارة تمضى بهما مسرعة لاتكاد تلامس الأرض كأن صالح يهرب من شىء ما . يترك المدينة خلف ظهره ويمضى مبتعداً . قال مصطفى وهو يرقب عداد السرعة :

ـ إلى أين سنذهب ؟ . .

قال صالح :

ـ ألم أقل . . سوف نذهب إلى خور الشيخ بن غانم . . إنها ليلة مقمرة . .

هل يعرف صالح أم أنها المصادفة مرة أخرى ؟ صالح جزء منهم من أسرارهم الخفية من الخارج تبدو المدينة ساكنة هادئة ولكن النفايات تضطرم فى داخلها مثل كل المدن . ترى هل يشارك صالح فى صنع حلقة ما سوف تلتف حول عنقه ؟ . .

تركت السيارة المدينة ودخلت فى ليل الصحراء الكثيف الظلمة . وما لبث الأسفلت أن انتهى وانحرفت السيارة إلى رمدك صخرى وأخذت تسير فيه بصعوبة .

صالح يعرف الطريق جيداً . بداخله بوصلة صحراوية .

وبعد سير طويل توقفت السيارة . أحس مصطفى أن كل شىء قد تغير . تبددت رطوبة المدينة الخانقة . وأصبح صوت الخليج هادراً مفعما بالحياة تخلى عن استكانته وأخذ يلاطم الصخر كما تفعل كل بحار العالم غير المستأنسة . أحس مصطفى أنه قد عبر الحدود إلى عالم أخر . . أقل اختناقا وأكثر حيوية . . هتف مدهوشا . .

ـ ما هذا المكان ؟

ـ هذا هو الخور . . أنظر إلى أعلى . .

كان هناك تل مرتفع فوق سطح البحر . حيوان صخرى رابض على الشاطىء فى مواجهة الأمواج وعلى قمته كانت هناك دائرة من الأضواء الكثيرة المتألقة . . قال صالح :

ـ هذا هو قصر الشيخ بن غانم . .

أحس مصطفى أنه سوف يظل مطارداً حتى ولو غادرت ماتيلدا مسكنه . كان صالح هو الذى تحدث متبرما . .

ـ هيا نبتعد قليلا . . لا أريد أن أرى ضوءاً من أضوائهم . .

أعطيا ظهرهما للقصر وسارا مبتعدين خاضا فى ظلام الشاطىء المبلل . كانت الأمواج تتمطى تحت ضوء القمر تغمر كثبان الرمل المطفأة وتمنحها نوعا من التألق الداخلى كان هناك سحر خافت يتلبس من يقف فى هذا المكان . . هذا التواصل الحار والفريد بينه . وبين الطبيعة دون حاجز أو وسيط فى الصمت تتحدث عشرات الأصوات . ومن الظلمة تتولد آلاف الشموس . قال مصطفى مأخوذاً بسحر المكان :

ـ لماذا لم يقيموا المدينة فى هذا المكان . . ؟

تمتم صالح بصوت خافت ومع ذلك سمعه مصطفى :

ـ إنهم يقيمون لنا المدن فى الأماكن التى لا نحبها ويختارون لنا نمط الحياة التى نكرهها ويدفعون لنا أجراً مضاعفاً حتى ننام أكثر ونفكر أقل ونكف نهائيا عن الاعتراض . .

اندفع الموج بارداً تحت أقدامهما وبدت قناديل البحر ملقاة على الشاطىء بلا حول تتألق بوهن فى ضوء القمر . واستدار صالح وهو يقول له :

ـ هل تصدق أننى حتى الآن لم ألمس امرأة . . ؟ . .

ضحك مصطفى وهو يقول :

ـ وماذا عن مغامراتك النسائية فى سنوات الدراسة . . لم تبد لى متزمتا إلى هذه الدرجة :

نظر صالح إلى الموج وقال فى همس :

ـ لم أكن متزمتا كنت خائفا طوال السنوات التى عشتها فى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القاهرة كنت سعيداً وخائفا أيضا . أنا أخاف من المدن أعتقد أننا جميعا نخاف من المدن إننا نعيش فيها لكى نقنع الآخرين وربما أنفسنا بأننا دولة حقيقية . .

قال مصطفى :

ـ أنتم تملكون كل شىء . .

ـ هذا ما يخيل إليكم . . أنتم خارجنا . . بعيدون عنا . . رغم أنكم تتحدثون نفس اللغة . نحن نتقاضى مثلكم مرتبا لاحقاً . . ونؤدى الدور المطلوب منا الخليج هو عدة أدوار مقسمة ببراعة

ولم يفهم مصطفى شيئا وصلا إلى لسان من اليابسة ممتد فى وسط الموج . ميناء قديم مهجور بدت أيضا أشباح بيوت صغيرة متباعدة قال مصطفى :

ـ ما هذا ؟ . .

ـ إنها إحد قرى الصيد القديمة لقد هجرها الجميع كانت ماضيا جميلا لم يعد يسكنه سوى الفئران .

قرية صامتة يملأها وشيش الخليج . دون أن تتجاوب معه . والقمر يلقى عليها ضوءاشاحبا يجعلها أكثر حزنا . أبواب مخلوعة جدران نصف مهدمة بقايا أثاث فقير أوان فخارية مكسورة رسوم ساذجة على الجدران كأنها بخوضان مدينة أثرية لم تعد تنتمى لأى عالم . قال صالح كأنه يحلم :

ـ كنا نبنى هذه البيوت دون حاجة لذرة من الأسمنت ونصنع السفن دون مسمار واحد . . ونعيش حياتنا دون أن يرغمنا أحد عليها . .

كان جلال القرية الأفل قد أحاط بهما . احتواهما فى طرقاتها ومساربها . كانت واضحة ومرسومة كخطوط الكف . لا أسوار ولا موانع . أناسها يتحدثون من خلال الصمت المطبق . يقصون قصص الشقاء اليومية التى يعرف مصطفى تفاصيلها كان قد رأى هذه البيوت من قبل ترى فى واحد منها . حلم أحلامها المنكسرة ولو رأى وجوه أهلها المعروقة فسوف يتعرف عليها فوراً سوف يردد معهم كل أغانى الفرح وكل مراثى الموت . . وقال مصطفى لنفسه فى صوت مسموع :

ـ يخيل إلى أننى عشت فى هذا المكان . .

همس صالح أيضا . .

ـ إنه عالم الفقراء الذى ننتمى إليه جميعا . .

امتلأت نفوسهما بالوحشة كانت القرية هى الصلة الوحيدة بين هدير الموج وصمت الصحراء ساحة اللعب المقهى القديم مازالت به بعض المقاعد . البئر الوحيدة التى كانت مصدراً للحياة والهواء يمرق وسط البيوت يدخل الكواة المفتوحة والأبواب ويصدر أصواتا تشبه غمغمات الذين رحلوا . أصواتهم وهم يتواعدون على الخروج للصيد وأصوات النسوة . . رنة الشجن فى أيام الانتظار وأغاريد الفرح . عند العودة وتأوهات الحزن عند الافتقاد . سمع مصطفى صوت إنسان يتأوه لم يكن هذا صوت الريح لأن صالحا سمع الصوت أيضا . كان آتيا من مكان ماخلف الجدران المهدمة . جريا سويا . كان هناك شبح ما يجلس بجانب أحد الجدران ويحدق فى مياه الخليج . ذائب فى الوشيش المتصل . تتردد أنفاسه مع إيقاع الموج . هتف صالح فى ذهول . . كيف جاء إلى هنا . . لم أر أية سيارة . جلس أمامه على الرمل وسأله . . عم . إيش جابك هنا . . التفت الرجل اليه وابتسم ابتسامة واسعة وقال فى صوت واهن . . الله هداك يامعاود . . إننى أنتظر عودة الرجال . قال صالح . . أى رجال لم يعد هناك رجال . قال الشيخ . . الرجال فى البحر وسوف يعودون . الله هداك يا معاود . لابد أن يكون هناك من ينتظرهم قال صالح فى إلحاح . كان هذا منذ زمن بعيد أنت شيبة لا تجلس وحيداً . . قال الرجل . . كلنا شيبة يا معاود . . الخليج شيبة والخور شيبة والجبل شيبة وكل شىء باق فى مكانه . نهض صالح واقفا كان يرتعد وهو يهمس فى أذن مصطفى أنه ليس شخصاً حقيقيا . أنا متأكد من ذلك . وانحنى مصطفى لمس كتف الرجل الذى أدار وجهه ناحيته وهو يبتسم قال الرجل . . غريب . تكاثر الغرباء والله يا معاود . . سيدنا الخضر كان غريبا . . كان حقيقيا بلا شك . ولكن صالح ظل مرعوبا أكثر مما ينبغى أخذ يلح عليه . . هيا نبتعد عنه . . هيا نبتعد من هنا . . وجذب مصطفى بعيداً . قال محتجا لماذا تخاف منه إنه شيخ وديع . ربما كان فى حاجة إلى المعاونة . قال صالح فى عصبية إنه ليس حقيقيا . ربما كانت روحاً هائمة . روح هذه القرية . روح الغواصين الذين ماتوا بلا قبور . قال مصطفى أنت تخرف بلا شك لا تكون الروح بهذه الواقعية الشديدة . هتف صالح أنت لا تعرف حكايات الخليج . إن كل شىء فى مثل هذه الصحراء يمكن أن يتحول إلى حقيقة . ربما كنت أنا وأنت تحت تأثير قوى خفية إنهم الأسلاف يستيقظون دائما فى الليالى المقمرة . كان يتحدث وهو يعدو وجهد مصطفى حتى يلحق به . كان يخشى أن يشردان بعيداً عن السيارة جلس صالح مجهداً فوق الرمل وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة أمسك قبضة منه وهو يصيح أنظر الرمل ملىء بالأصداف الفارغة فلماذا لا تمتلىء قرى الصيد المهجورة بأرواح الأسلاف . قال مصطفى فى إصرار أبله كان رجلا حقيقياً وأقسم على ذلك لقد لمست كتفه وشممت رائحة التبغ فى فمه صرخ صالح كلا . . لقد جئت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إلى هذا المكان عشرات المرات ، ولم يكن موجوداً ، ولو عدنا إلى نفس المكان فلن نجده هنا . . ولكن . . ولكن لن أكرر المحاولة . لن أكررها ، كان القصر العالى المتلألئى الأنوار يطل عليهما كأنه يسخر من مخاوفهما الصبيانية يعلن هيمنته على الليل والخليج والصحراء والأرواح الضائعة . أحس مصطفى بحصاره داخل نفسه . لماذا جاء به صالح إلى هنا ، ولماذا كل هذا الخوف من صياد عاجز بينما فوق قمة التل يرقد الخوف الأعظم . .

وجاء صوت صالح كأنه يستيقظ من النوم :

ـ هل تدرى لماذا لم أتزوج حتى الآن . . ؟ . .

هز مصطفى رأسه فى نفى قال صالح :

ـ أخشى أن نفيق من الحلم . أخشى أن يأتى أولادى إلى الحياة بعد أن ينتهى كل شىء . .

قال مصطفى . . لا شىء ينتهى .

هتف صالح فى إصرار :

ـ الحلم ينتهى . الأحلام كلها قصيرة الأجل . ونحن الآن نعيش فى حلم إنهم يصرون على أن يبقى الأمر بالنسبة لنا مجرد حلم .

ونهض واقفا وسار إلى الخليج أخذ يخوض فى المياه حتى وصل إلى منتصفه وقال دون أن يستدير :

ـ الخنازير تطهر نفسها فى الأوحال ، والطيور فى التراب ، أما الإنسان وحده هو الذى يتطهر بالماء . .

وظل مصطفى واقفا صامتا واستدار صالح إليه وهو يقول :

ـ الجميع هنا يحتاجون إلى النفط لا أحد يحتاج لماء الخليج .

هتف مصطفى فى ضيق :

ـ صالح . . لماذا جئت بى إلى هذا المكان . . ؟ . .

قال صالح فى غموض :

ـ ربما كنت أنت أيضا فى حاجة إلى ماء الخليج . .

ركبا السيارة صامتين «ظلت أضواء القصر تلاحقهما كأنه كان يغير موقعه باستمرار . يمتد مع الطريق ويستدير مع الريح . كان مصطفى يحس أنه لن يستطيع الابتعاد طويلا عن قبضته . هل يجب عليه أن يعترف لصالح بكل شىء ويطلب مساعدته . . كان ما حدث الليلة قد مس مصطفى من الداخل رأى صالحاً من جديد . العذابات الداخلية خلف أقنعة الصمت ، والثراء . . هناك نوع من سوء الفهم المتبادل بين الجميع رغم أنهم فى نفس المأزق . يدفعون الدراهم فى مقابل الصمت ويبرمون كل الصفقات المشبوهة بقطرات من النقط .

اختفى القصر أخيراً وظهرت المدينة ، وتنهد مصطفى فى ارتياح وظل وجه صالح شاحبا كانت رعدته قد ازدادت من أثر البلل فى ثيابه . ولم يكن مصطفى يستطيع دعوته لمسكنه ففضل تجاهل الأمر كانا قد أصبحا أكثر قربا وأكثر بعداً فى نفس الوقت . . عاشا معا تلك اللحظة النادرة من التواصل الإنسانى حتى أنهما رأيا سويا نفس القصر العالى . . ونفس الشبح القديم . .

أنزله صالح أمام باب البيت وتبادلا تحية قصيرة . عندما أضاء مصطفى مصباح الغرفة وجدها جالسة على الأريكة تحدق فيه مثل قطة كبيرة الحجم تبتسم فى سعادة . كان يفهم سر هذا الإحساس الذى يبدو عليها بالسعادة فى كل مرة يعود فيها وحيداً دون كلاب الصيد . كان هو نفسه يستغرب لماذا يعود وحيداً كل مرة . . قالت . .

ـ أخ أكبر . . لقد غفوت قليلا وأنا أنتظرك . .

قال فى حذر :

ـ هل ظهر أحد من هؤلاء الرجال . .

مرت على وجهها سحابة من القلق وهى تقول :

ـ لا أعرف . . لم أرفع الستار ولم أضىء النور . .

جلس مجهداً . . حدقت فيه وهى تقول :

ـ أتدرى . . كنت أحلم بحقول الأرز الواسعة . . المرة الأولى التى أحلم بها منذ أن جئت إلى هذا المكان . .

استعاد وجهها كثيرا من الصفاء أصبحت آدمية أخيراً وليست مجرد حيوان أصفر اللون مليئا بالحروق . . قال لها . .

ـ وهل تعنى حقول الأرز الكثير لديك . . ؟ . .

قالت فى سعادة بالغة :

ـ إن روح الأرز قد صفحت عنى . سوف تسمح لى بالعودة إلى بلدتى . . هناك سوف آكل قليلا وأمارس الحب كثيرا ولكن مع من أختار لن أختار النقود بعد ذلك أخ أكبر .

لم يفهم ماذا تعنى «روح الأرز» هذه ولكنه كان يعلم جيداً أن النقود ليست اختباراً . إنها قدر . . لا أحزان ماتيلدا ، ولا أحلام صالح يمكنها أن تصنع بديلا أفضل . الأحلام وهى تموت . . . النزوات وهى تتحول إلى هم ثقيل . . لا يوجد هناك بديل أفضل . . كانت تحدق فيه باسمة تريد منه أى نوع من المشاركة ولكن ما حدث فى خور الخليج جعله مرهف الأعصاب . . مشحوذ النفس لذلك قال دون أن يدرى . .

ـ أنا خائف . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صمتت ،تبددت بقايا الأحلام وحاولت أن تكون حارة وصادقة :

ـ سوف أمضى غداً أخ أكبر . . سواء جاءوا أم لا . . سوف أرحل . . وسرعان ما امتلأت عيناها بالدموع . . قال متأثرا . .

ـ لا تسيىء فهمى . . إننى لا أستطيع أن أوفر الحماية لك هنا . . إننى عاجز عن حماية نفسى وضعت يدها فوق ذراعه وهمست :

ـ أخ كبر . . لقد قدمت لى ما فيه الكفاية . . أنقذت حياتى ومالت على خده ووضعت شفتيها عليه فى ابتهال صامت . أحس بأنفاسها الساخنة وهى تهب على وجهه وألصقت جسدها به وهى ترتعد . .

ـ إذا أردتنى أخ أكبر . . إذا رغبت فى ذلك . . كانت تريد أن تدفع له ولم تكن تملك غير هذا الجسد الصغير الملىء بالحروق . لم يكن يريدها أية امرأة . أى شىء يمكن من أن يزيد من ضعفه ولم يكن يريد أيضا أن يكون واحداً من الذين يقايضونها على جسدها . قال وهو يبتعد عنها :

ـ لا أريد ثمنا . . حياتك ملكك . . وجسدك أيضا . .

قالت فى حرارة :

ـ صدقنى أخ أكبر موستافى . . أنا أريد ذلك .

انزوت على الأريكة كأنها تريد أن تختفى من أمام عينيه وجلس هو على حافة السرير . قال فى صوت جاف :

ـ يجب أن ننام . . لقد تأخر الوقت كثيراً . .

واستلقى على السرير فى مواجهة السقف ذى الطلاء المتساقط . نهضت هى وأطفأت النور ثم عادت مرة أخرى لتتكوم فوق الأريكة كان يعرف أنها لن تنام ، وكان ماء الخليج ينساب بارداً فى عروقه يحس طعم الملح على شفتيه . . أجل . . ربما كان هو أيضا فى حاجة إلى ماء الخليج . .

واستيقظ مبكراً مع صوت الفجر لم يدر أى أذان هو . . هناك أذانان دائما . . أذان مبكر ينطلق من مساجد الشيعة . ثم يتلوه أذان آخر من مساجد السنة وظل جالساً فى الفراش بلا حركة حتى تسللت أول خيوط الضوء . كانت نائمة وصوت أنفاسها يتردد فى هدوء كانت آمنة تماما وهى التى نزعت من نفسه أى إحساس بالأمن . ارتدى ملابسه وتسلل فى هدوء إلى الخارج كانت المدينة لا تزال ندية من أنفاس الفجر . والشوارع تدب فيها حركة العواجيز العائدين من الصلاة والعمال «الأفغان» بلحاهم المصبوغة بالحناء وهم يسعون إلى أطراف المدينة حيث توجد الأعمال الشاقة فى انتظارهم . كان الخليج رماديا ساكنا ينتظر ولادة الضوء . والنهار يصعد ببطء من خلف الجزر الصخرية المتناثرة يلونها فى كل لحظة بلون جديد والطيور البيضاء تحوم فى رقة حول البنايات البعيدة ثم تعود إلى مياه الخليج فتغمس أجنحتها ثم تنثر ما عليها من رذاذ الماء فى قطرات متألقة وتعاود التحليق من جديد . قوارب الصيد عائدة بعد رحلة الصيد الطويلة . المدينة كلها تعيش لحظات من الرقة الحزينة والتفرد المطلق ، سار على الشاطىء وهو يحس أن هذا النهار يحمل له خلاصا جديداً . كان الصيادون الإيرانيون يخرجون شباك الصيد وهم يرددون فى صوت منغم :

ـ الله كريم . . الله كريم . .

خيل له أنه يلمح بينهم شيخ القرية المهجورة . . كان يردد معهم الكلمات بنفس الحرارة ولكنه كان واهما . .

أكل بضعاً من «البسكويت» وسار إلى المدرسة كان الفراش الهندى قد فتح الباب لتوه وألقى التحية على مصطفى وهو يهز رأسه . كان مصطفى يتضايق من حركة هز الرأس هذه . ثم عرف أن هذه طريقة الهنود فى إظهار الاحترام كانوا أكثر فقراً مما ينبغى وأكثر أدبا من المتوقع . . ظل مصطفى واقفا يأكل «البسكويت» على مهل ويتأمل فناء المدرسة الخالى حتى بدأ الجميع فى التوافد . .

المدير متجهم . وصالح شاحب الوجه . والطلبة يقفون فى نصف الصفوف ببلادة ، وصوت الطبلة يدق عاليا . . وعندما أراد أن يتوجه إلى الحصة الأولى فوجىء بالمدير وهو يقف أمامه ويقول له :

ـ هل تحدثت مع جاسم . . ؟ . .

ـ ماذا . . ؟ . .

ـ إبن الشيخ بن غانم

فوجىء مصطفى بحدة السؤال . . هتف مبرراً . .

ـ كنت أسأله فى الدرس . .

ـ لا شأن لك به . . لا تسأله فى أى موضوع . .

وانصرف قبل أن يسمع منه أى رد . وانتفض مصطفى من الغضب كان سحر الصباح قد تبدد وبدأت ساعات القيظ والرطوبة . شعر أنه كان محقا لأنه خبأ الفتاة أتاح لها المأوى والراحة لقد أزعجهم قليلا وضرب قبضتهم الحديدية المحكمة . مرت الحصة الأولى . ورأى ابن الشيخ فى الحصة الثانية . جالساً غير مكترث بأى شىء . بدأ يسأل الطلبة الآخرين . ولكنه حين وصل إليه توقف وحول دفة الموضوع .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفى فترة الراحة تبادل بضع كلمات مع صالح وانتهى اليوم الدراسى فركب معه سيارته . أحس أن حياته يمكن أن تعود إلى وتيرتها الطبيعية ، وعزم بينه وبين نفسه أنه فور رحيلها سوف يدعو صالحا إلى غرفته للغذاء .

وعندما فتح الباب اشتم رائحة طيبة . كانت واقفة فى أحد الأركان عند الموقد وهى تطهو وحين رأته هتفت :

ـ أخ أكبر . . لقد أعددت لك وجبة فلبينية . . ثلاجتك لم تسعفنى ولكنى أعددت لك إحدى وجبات الأرز . . أرجو أن تعجبك . .

وضعت على المائدة طبقا من الأرز لونه أحمر قانيا . . ولم يعرف بقية المواد التى تشترك مع الأرز . . ولكن منظره كان بهيجا . . قالت :

ـ هذا «أرز ـ جايو»

كان لذيذاً رغم مذاقه اللاذع . . نفس الطعام الفاتر الذى كان يتناوله كل يوم وقد تحول تحت أناملها إلى شىء مختلف ممتع . . قالت :

ـ إنها الوجبة الأولى والأخيرة . . أخ موستافى . .

أكلا بشهية وتبادلا تعليقات ضاحكة وحكى لها عن الأرز المعمر . وعن إخوته فى مصر وبراعتهن فى الطهى . وتحدثت عن بلدها وعن أصدقائها هنا . . وعن سعادتها بالخلاص أخيراً . . وسألها فجأة

ـ هل تعرفين جاسما ؟

قالت فى توجس :

ـ إبن الشيخ . .

ـ أجل . . مصادفة غريبة . إنه تلميذ عندى فى المدرسة

قالت فى توتر :

ـ كان يكرهنى كثيراً . كان يكرهنا جميعا . .

ـ هل أنتن كثيرات . . ؟ . .

ـ لا أدرى . . القصر واسع وغير مسموح لنا بالحديث مع بعضنا . . هناك حرس البدو . . يمنعنا من ذلك . .

رفعت الطعام . وتحدثا قليلا ولم يبق إلا ساعات الانتظار جلسا واجمين أمام التليفزيون وكانت اللحظات تمر وأحس فجأة أنه سوف يفتقدها . لقد ملأت حياته خلال هذه الفترة بالتفاصيل . ودون أن يقصد صنع جزءاً من خلاص روح إنسانية بعد برهة لم يعد للتلفزيون معنى . وأصبح للصمت السائد بينهما أكثر من معنى . جلس بجانب النافذة وأزاح الستار قليلا حتى يرى مقدمهم ..قال لها :

ـ ألم تحدثينى عن روح الأرز . .

قالت :

ـ أجل أخ موستافى . . كانت غاضبة على وهذا هو سبب ما حدث لى . . كان على أن أجمع أول أعواد الأرز من رأس الحقل أضمها سويا فى حزمة واحدة وأضم الحزمة إلى صدرى . وقالت لى أمى إن روح الأرز موجودة داخل هذه الحزمة كان الجميع يحسدوننى لأننى جمعت أولى هذه العيدان . ولكن الحزمة انقرطت منى . سقطت فى الطين وطارت منى روح الأرز . رأيتها وهى تمرق فى الفضاء مثل طائر أبيض حزين . من لحظتها فارقنى الحظ الحسن . . وعندما يجيئون سوف يكون هذا بداية خلاصى . .

وهبط المساء رقيقا فوق المدينة . بدأت الأضواء تشع فى عذوبة . كانت هناك بقايا من قمر الأمس الغريب . وكان وجهها قد أصبح مستديراً ومضيئا مثله . ومد يده يربت على شعرها . كانت طفلة وحيدة ضائعة . والسيارات تمرق سريعا والشوارع تخلو . كل شىء يهيىء نفسه للحظة الرحيل . لم يعودا يتكلمان . كانا ينتظران فقط . يرقبان أى سيارة تأتى حتى تقف فى الفناء المواجه للبيت . . ولكن هذا لم يحدث . . لم تقف سيارة واحدة ولا حتى بفعل المصادفة . كان وجهها جامداً . بلا اختلاج ولا دمعة واحدة . حتى صوت تنفسها لم يعد مسموعاً . خاف أن يتكلم . أن يحطم ذلك السكون الهش المتماسك الذى تقف خلفه . ولكن الساعات الطويلة تواصلت وأصبحت الظلمة أكثر كثافة وغابت بقايا القمر وساد صمت موحش فوق المدينة وقال مصطفى أخيراً :

ـ لعلهم ضلوا الطريق . .

لم ترد . . لم تتحرك . حاول أن يطمئنها :

ـ سوف يأتون غدا بالتأكيد . .

نهضت . سارت بعرج خفيف إلى الباب وفتحت المزلاج وقالت فى صوت خافت مستسلم :

ـ أخ أكبر موستافى . . أنا راحلة . .

أسرع يعبر الغرفة . أمسك بذراعها وهو يقول :

ـ ليس قبل أن يأتوا . .

قالت :

ـ لن يأتوا أخ أكبر . . إذا لم يأتوا فى المرة الأولى فلن يأتوا أبدا . .

ـ سوف أعاود الاتصال بهم . .

ـ وإذا لم يأتوا . . لا ذنب لك . . يكفى ما قدمته لى . .

أمسكها بشدة . قال فى تصميم . لن تذهبى . قالت . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وماذا على أن أفعل . كانت ضائعة نحيلة . عظامها صغيرة وجلدها رقيق . واليأس قد تسرب إليها . . قالت . . لو أنهم أرادوا أن يساعدونى لجاءوا . ولكنهم يريدون منى العودة الى قصر الشيخ . حاول أن يجذبها بعيداً عن الباب ولكنها تشبثت به . فتحته قليلا وهى تهتف . . دعنى أخ أكبر . . أنا إنسانة مشئومة . وقفت الفئران فى الخارج تراقب الصراع . كان جسد ما تيلدا بين يديه . حملها مثل طفلة . تشبثت بعنقه . أدخلت رأسها بين عنقه وكتفه فأحس دموعها الساخنة تلسع رقبته . أدار وجهه وقبل خدها المبلل . حركت وجهها وأدخلت شفتيها بين شفتيه . تأوهت وهى تهتف . يجب أن ترغب فى حقا . . أرجوك . . كن راغبا فى . . كان خائفا . . وجعله هذا الخوف أكثر جوعاً . هذه هى المرة الأولى التى يمتلك فيها امراة بكل هذه الرغبة . احتضنها حتى دخل جسدها النحيف بين أضلاعه . تذكر جروحها الصغيرة فى ومضة فأرخى ذراعيه . هتف بها . . هل تتألمين . ولكنها احتضنته بقوة أكبر وهى تتمتم . . لا ألم . . لا ألم . . هل يمكن أن يختفى الألم حقا أمام هذا الجوع . ؟ . . كان لسانها داخل فمه كأنها تحاول النفاذ إلى أعماقه . هتفت . . ياسيدى . . أنا عبدتك الصغيرة . . لم يكن يستطيع أن يجاريها فى الكلام . جسدها الصغير تحول إلى كتلة من اللهب . كيف خرجت كل هذه الطاقة من مرارة الإحباط ؟ . . تخلصت من ذراعيه . حسب أنها تريد أن توقف هذا الجنون . ولكنها أخذت تلتقط أنفاسها فى صعوبة وهى تقول . . استلق على فراشك . أنت إلهى الصغير . بوذا موستافى . دع عبدتك تقوم بكل العمل . لم يفهم ماذا تقول بالضبط ولكنها ظلت تدفعه حتى استلقى على السرير . هتفت وهى تقف أمامه . . ليس هذا ثمنا لشىء . ولكننى أريدك بالفعل . جلست على ركبتيها بجانب السرير . وضعت يدها على رأسها وأخذت تحرك شفتيها . كأنها تتلو صلاة جنسية خاصة ثم نهضت سعيدة ومشرقة كأنها قد تلقت إحدى الإشارات . فكت أزرار ثوبها ببطء . كان جسدها قد استرد شيئا من حيويته وبدت البقع التى كانت تعذبه أقل وضوحاً هتفت . الآن أخلع لسيدى ملابسه حتى يدخل مملكته . وبدأت تخلع ملابسه . أشارت له ألا يساعدها.كانت تقوم وحدها بكل العمل فى تبتل غريب . تدس أنفسها فى كل قطعة من الثياب . تدخل رائحته بداخلها حتى تتشبع بها . لعل هذا الانكسار والذوبان فى ممارسة الحب هو الذى دفع بالسيد الشيخ إلى شهوة جنونه . هذا التفانى الجسدى هو الذى جعله يصنع من جسدها مطفأة لسجائره . أصبح عاريا أمامها وهى تهتف . أوه بوذا موستافى . . إن جسدك رائع . وأخذت تتحسسه بيدها . تحفظ تفاصيله عن طريق اللمس . أثارته لهجتها ولمساتها . . حاول أن يمد يده ويأخذها إلى صدره ولكنها هزت رأسها وهى تقول . كلا دعنى أتلوّى فوقك كالثعبان . . وابق أنت ساكنا كالعشب النضر . مازال الأمر غامضا رغم أنهما عاريان . يرى ثدييها الصغيرين وبطنها الضامرة . ورغبتها الحارة تنبعث من داخلها مباشرة . جسد حى تعود على العطاء رغم ما فيه من جروح . تحول كله إلى موجة دافئة تغمره فى رقة وتنحسر عنه فى وداعة . احتوته فى جسدها . حولت كل خلية من خلايا جسده الى نقط بالغة الرهافة تتشرب المتعة . كانت تهتف . . بوذا موستافى . كن رقيقا معى . كأنها تقوم برقصة وثنية لإله شره . تقبل أصابع قدميه وأطراف شعر رأسه فى آن واحد . تجمع كل أحاسيسه فى نقطة واحدة ثم تنفرط منها على جسده كله . تداخلت المسافات والعوالم ورحلت القارات وجفت البحار فيما بينها . عندما قبض على جسدها أحس كأنه قد أوقف النجوم عن حركتها . وعندما عادت للحركة كانت قد طوعت جسده كله لإيقاعها الخاص . ينتفض ويتلوى معها . ويتلو من خلال عرقهما المشترك صلاتها الخاصة لإلّه المتعة فى سهوب آسيا البعيدة . ذابت اللغة . وأصبح الجسدان يتبادلان حوارهما المشترك . قال لها . أنت تقومين بكل شىء . أين متعتك الخاصة . قالت . علمتنى أمى أن الرجل إلّه صغير . كل الرجال آلهة صغيرة . لم يدر أين هى بالضبط تحته . فوقه . أم بداخله . قالت أخبرتنى أمى أن الحب بارد كحقول الأرز . لاسع كنيران التنين . قالت له أمه . . إبعد عن الغواية وتذكر الأفواه التى تنتظرك . أمسك ثدييها يتشبث بهما . يحاول أن يوقفها قليلا . كان يريد قليلا من الراحة لخلاياه التى لا تكف عن الانتفاض . كانت تمحو بداخله الماضى والحاضر والمستقبل . ولكنها أفلتت منه . راوغته . التفت حول جسده . سألته ـ هل مازلت خائفا . . قد يقتلوننى ولكننى لست خائفة . وقالت له أمه . . من خاف سلم . كان أوان السلامة قد فات . ولم يعد لنا إلا حياة واحدة فقامر بها لقاء لحظة من المتعة . تذكر صالح والمدير وجاسم وقصر الشيخ العالى . أحس أنه قادر على مواجهتهم جميعا . غاصت فيه . كأنها قد أعادت الوئام للضلع الناقص وأشعره ذلك بنوع من الكمال الذى لا نقصان فيه . قالت . . الآن حانت لحظتك . . وتركته ينهض ويمارس الوهيته الصغيرة . بوذا موستافى . اسمر اللون . اكتسب الحكمة من الجوع . والعنف من الغضب والرغبة من عدم الغفران . قالت . . كن هادئا كالنهر . كانت تريد لطقوس المتعة أن تتواصل . تقوده بأناة ومهل . دون عهر أو براءة . ولم تفقد وعيها بما يحدث أبداً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شاركته فى نفس اللحظة . غرست أظافرها فى ظهره فاختلطت المتعة مع الألم . التحما فى توقيت نادر ثم استرخيا معا وأصبح لهما نفس الجسد ونفس الرائحة . وكان الليل هادئا والنجوم متألقة والمدينة مليئة بالوعود الغامضة . قالت . . بوذا موستافى . . أنت رائع . . قال . . هذا شىء مدهش . لم أحس بمثل هذه المتعة من قبل . قالت ضاحكة . . حتى المعلم فى حاجة لمن يعلمه . وظلا راقدين ناظرين للسماء البعيدة وغلبهما النعاس ولحمهما العارى متلامس ولعلهما حلما سويا نفس الحلم . . . .

وجاء النهار أسرع مما يتوقعه أحد . تسلل الضوء كحد السكين . وحين استيقظ وجدها مستكينة بجانبه . مفتوحة العينين . . ماذا نفعل . . ماذا علينا أن نفعل ؟ أحاط صدرها العارى بذراعه فاستكانت عليه وقالت بأسى :

ـ موستافى . .

كانت تناديه بروحها المتنائية رغم لحمهما المتداخل . . وظلا يتأملان سويا السماء وهى تزدحم بألوان الشروق وقالت :

ـ ستتأخر . .

كان يعرفان أنهما قد تأخرا سويا أكثر مما ينبغى . . قال :

ـ أنا لا أهتم . .

ابتسمت فى حزن وهى تقول :

ـ أوه موستافى . . أنا أهتم . .

زحفت على يدها وركبتها وهى تحضر له حذاءه وملابسه . وهى تعد طعامه . وهى تجلس بين يديه عارية تماما . وظلت تحدق وهو متجه إلى باب الخروج . . وعندما استدار نهضت واقفة حتى تسمح له برؤية كل جزء من أجزاء جسدها . .

لم يحس بقيظ الشارع . لم ير الخليج . ولا الأشجار اليابسة القصيرة العمر . رأى طيوراً تحلق بعيداً . ورأى قطعاً من السحب التى لا يمكن لأحد اصطيادها . وعاد السؤال يلح عليه كالذنب . ماذا على أن أفعل . وصلا معاً الى موقف مستحيل وتصاعد إيقاع كل شىء . اكتشف أنها المرأة الوحيدة التى كان يرغبها طوال حياته . . ومن أجل أن يصل إلى هذه النتيجة كان قد أتلف كل شىء . .

فى المدرسة لم يبال بطابور الصباح . ولا بالمدير المتجهم . توجه إلى غرفة المدرسين . كانت خالية . وكان هو بحاجة إلى هذه اللحظات القليلة من الوحدة . ظل جالساً يحدق فى الجدران . تناهت إليه أصوات الطبول والأناشيد والأوامر المدرسية كأنها أصداء من عالم بعيد . كان يريد أن يبحث فى أعماق نفسه الحائرة عن حل . مد يده إلى التليفون الذى كان يرقد أمامه . أدار الرقم بأصبع مرتعد . رن الجرس قليلا ثم سمع الصوت من الطرف الا . نفس الصوت الذى تحدث إليه فى المرة السابقة . قال مصطفى :

ـ أنا أتحدث بخصوص ما تيلدا . .

قال الرجل بلهجة جافة باترة :

نحن لا نعرف أحداً بهذا الإسم . .

وأغلق الخط فى عنف . عاد مصطفى يدير الرقم من جديد بلا فائدة . كان الرجل قد رفع السماعة من الناحية الأخرى وترك له الطنين المستمر

انسحبت طوابير الطلاب إلى الفصول . وخفتت كل الأصوات . وساد المدرسة صمت موحش . ولم يأت أحد من المدرسين إلى الغرفة . وظل مصطفى جالساً . . كانت الحصة الأولى عنده مشغولة والفصل الخالى ينتظره ولكنه لم يكن قادراً على النهوض . لم يكن قادراً على مواجهة أحد حتى صغار الطلبة . ضائعا وسط الحجرة الخالية . وسط المدرسة الصامتة .

دق الجرس يعلن انتهاء الحصة الأولى . وهلل التلاميذ فى صخب ثم دق يعلن بداية الثانية وعاد الصمت ولم يأت أحد الى غرفة المدرسين . . وفتح الباب أخيراً ودخل الفراش الهندى ووقف أمامه وهو يهز رأسه قائلا :

ـ معلم . . المدير صاحب يبغيك فى مكتبه . .

رفع رأسه ببطء وتأمل الفراش الذى أخذ يشير فى اتجاه مكتب المدير . فكر فى الانصراف نهائيا من المدرسة . ولكنه قرر أن يبادل المدير الحوار العنيف الذى سيقوله له . سار فى الممر الخالى . فى الفناء المترب . خيل له أن عشرات العيون تبحلق فيه من خلف زجاج النوافذ . وأن أجهزة التكييف تطن نكاية فيه . وصل إلى حجرة المدير . . كان الممر كله مفروشا بالسجاد فلم يسمع وقع أقدامه . كأنه يسير فى الفراغ . المدير يجلس خلف مكتبه وصالح يجلس فى المقعد المقابل .

التفت صالح حين دخل مصطفى . رأى كل واحد منهما الآخر بإمعان منذ أن افترقا فى تلك الليلة . كانت عينا صالح مليئتين بالرثاء . وشعر مصطفى أنه فى غير حاجة لمن يرثى له . كان قويا لذلك ظل واقفا . رفع المدير رأسه وظل الصمت يسود المكان هنيهة قصيرة ثم قال المدير وهو يحدق فى ورقة أمامه :

ـ الشيخ بن غانم يريد أن يراك . .

آخر جملة كان مصطفى يود سماعها . حتى هذه اللحظة كان هناك أمل ضئيل يراوده فى النجاة من الفخ الذى أحاط به . كان قد تخبط كثيراً بين الخيوط المتشابكة وحانت لحظة الوقوع أمام العنكبوت . عليه أن يدفع ثمن المتعة مضاعفاً . كأن الشيخ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طوال هذه المدة كان يعرف وكان يمد لهما طرف الحبل حتى يسيران إلى الفراش ويختلسان تلك اللحظات ثم يجذب طرف الحبل . لعله وجد فى ذلك نفس المتعة التى أحس بها حين أرادها أن تضاجع كلابه . قال المدير حين لاحظ صمته الطويل :

ـ إنها دعوة عادية بلاشك . . لقد دعى العديد من مدرسى المدرسة قبل ذلك . .

وفجأة قال صالح فى نبرات حازمة :

ـ سوف أذهب معه . .

قال المدير فى تردد وهو يرمق مصطفى . .

ـ أستاذ صالح . . جدولك مشغول اليوم . . و . .

أعاد صالح نفس الجملة :

ـ سوف أذهب معه . .

وأضاف فى صوت خافت . خافت جداً لم يسمعه سوى مصطفى . أو ربما لم يقل صالح شيئا على الإطلاق . أو أن هذا الهمس كان من بقايا صدى ليلة الخور البعيدة . .

ـ إنه فى حاجة الى شاهد . .

كأنه لا يوجد مفر من الذهاب . كل الطرق تؤدى للخليج . والخليج يصب فى الخور . والخور يحيط القصر ويكسبه هذا التفرد الموحش . وقف صالح أمامه وحاول عبثا أن يبحث عن ابتسامة ثم قال له :

ـ هيا بنا . .

واكتشف مصطفى أنه ليس خائفا إلى هذه الدرجة . .

سار إلى خارج المدرسة حيث كانت سيارة صالح . ركبا فى صمت . وهدر المحرك يعلن بداية الرحلة . بدت المدينة هادئة . والخليج صافى الزرقة . رحلت الطيور وذابت السحب . وسارا فى نفس الطريق الذى رحلا فيه من قبل ليلا . كان يشعر بامتنان حقيقى نحو صالح ولكنه لم يجد كلمات مناسبة ليعبر له عن ذلك . كل شىء يمضى فى نعومة وسرعان ما تنتهى المدينة وتبدأ الصحراء والرمل ينزاح من عليها كرغبة عابرة . والصخور المتجهمة . شذرات من أزمنة الجدب القديمة . والطريق الأسفلتى يشق وجه الصحراء مثل جرح غائر . .

هدأ صالح سرعة السيارة فجأة . كان القصر ما زال بعيداً . . ولكن كان هناك أحد الجمال . لونه أصفر مترب . قادم من جوف الصحراء ومتجه إلى الأسفلت . وعندما وضع عليه خفه أوقف صالح السيارة تماما ، وأطفأ محركها . لم يكن يريد أن يحدث أى خدش للسكون السائد . لم يبق إلا صوت الصحراء وقانونها الأبدى كل شىء موجود هنا منذ الآف السنين حتى الجمال . وعبر الجمل الأسفلت ببطء شديد وظلا يرقبانه سويا مثل شبح أسطورى قديم . قادم من لا مكان وذاهب إلى لا مكان . وعندما ابتعد تماما تنهد صالح وأدار المحرك وواصلا السير من جديد وقال مصطفى فجأة :

ـ لماذا قلت إننى فى حاجة إلى شاهد . .

قال صالح :

ـ لا تكن مكابراً . . أنت فى حاجة إلى أحد بجانبك . .

وسكت صالح قليلا ثم قال بنفس الهمس المسموع :

ـ أنت لا تعرف الشيوخ . .

قال مصطفى فى ضيق :

ـ ولماذا على أن أذهب ؟ . .

قال صالح بغموض :

ـ لأنه لا مفر من الذهاب . .

ـ هل تعودتم أن تطيعوا أوامرهم دائما . .

اهتزت السيارة تحت يدى صالح . ولم يتصور مصطفى أن يكون جارحاً لهذه الدرجة . . قال :

ـ أنا آسف . . لم أقصد . .

تمهل صالح فى السير وقال فى صوت هادىء :

ـ أتعرف ماذا كان يعمل أبى . كان غواصاً . الجميع يعتقدون أن البحث عن اللؤلؤ مهنة براقة . ولكنها كانت أشق مهنة عرفها الإنسان بعد الرق . لاأحد يرحم الغواص . لا مسارب المياه الخادعة فى الخليج ولا أسماك القرش . ولا حتى « النواخذة » ربان المركب . على البرّ كان الجوع . وفى البر كان الموت . وفى اليوم الأخير غاص أبى وعاد ومعه سلة من المحار الفارغ إلا من الرمل . كانت ديونه كثيرة والموسم يوشك على الانتهاء . وأمره « النواخذة » أن يغوص مرة أخرى حتى قبل أن يتناول بضعا من « التمر » أو يشرب كوبا من الشاى . وغاص أبى ثم عاد بسلة أخرى من المحار الفارغ وغاص مرة ثالثة فلم يجد إلا الأحجار والطحالب . حاول الجميع أن يمنعوه . توسلوا للنواخذة . ولكن أبى لم يتوسل ولم يرض بتوسلاتهم . . كان يريد أن يوفى كل ديونه . . ودفع حياته ثمنا غاليا من أجل دين لم يسدد . . وعندما طفت جثته كان قد مر عليها وقت طويل . .

ـ زسكت صالح قليلا وزاد من سرعته وهو يقول :

ـ هذا العالم ليس رحيما . .

ـ خفتت أصوات الصحراء وبدأت مياه الخليج فى الهدير . ظهرت الصخور التى تشكل ملامح الخور . وفوق التل المرتفع ظهر القصر يواجه البحر والريح والسحب . كان طريق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأسفلت ممتداً إلى أعلى والخليج متناهى الزرقة بالغ الصفاء وحجم القصر يكبر حتى أصبح يسد حافة الأفق . توقفت السيارة أمام الباب الضخم والسور العالى وسمع مصطفى نباح الكلاب . فتح الباب قبل أن يدق أى جرس . وخرج رجل ضخم « كلب شيخ » بالأحزمة المتقاطعة والسلاح ، اتجه ببصره نحو صالح الذى قال : نحن من المدرسة ، الشيخ يريد مقابلتنا . .

ـ وأشار لهما الرجل أن يدخلا وأن يتركا السيارة فى الخارج . .

ـ وما إن تخطى مصطفى الباب الخارجى حتى أدرك أنه فى دخل فى عالم آخر . كانت قمة التل الصخرية قد تحولت إلى مساحة شاسعة مكسوة بالعشب الزاهى الخضرة والأشجار ساقطة لايبدو عليها أى أثر للذبول . وكان القصر يبدو وسط هذه الخضرة فردوس مفقود يختلط فيه هدى البحر بعواء الكلاب . سارا معاً إبن النساج المسكين وابن الغواص المسكين وخلفهما الحارس المتجهم . .

ـ كان القصر مرتفعا عن الأرض بعدة درجات من المرمر الأبيض . أشبه بحلم أندلسى قديم . الزخارف العربية والآيات القرآنية حول الواجهة . الباب منقوش بالصدف والفضة ومقبضه الضخم من الذهب الخالص . وعندما دخلا الممر وسارا فوق الطنافس الحمراء أحسا أنهما يدخلان فى زمن غريب لاينتمى لأى من أزمنة التاريخ . . زمن يفرض نفسه من خلال هذا البذخ الزائد . . أضواء خافتة . مرايا عريضة . روائح طيبة تختلط بالهواء الرطب . الأوانى . التحف . . ووقف الحارس بهما أمام باب فخم آخر وهو يقول . .

ـ الشيخ فى المجلس يجب أن أستأذنه . .

ـ ودخل وأغلق الباب خلفه وظلا واقفين . يتأملان الزخارف والنقوش . عشرات الأيدى التى قضت عشرات الليالى كى تحور كل قطعة من الفضة وترصعها فوق هذا الباب الصامت الذى يخفى خلفه عالم الشيوخ الغامض . طالت وقفتهما . لم يفتح الباب ولم يمر بهما أحد . أصبحا منسيين على حافة لحظة زمنية لاتنتهى . ولم يجرؤ أى واحد منهما على الكلام .

ـ كان يحوطهما صمت مهيب متولد من هذه الفخامة المخيفة . وأخيراً فتح الباب وظهر الحارس وهو يقول :

ـ تفضلا . .

ـ وأدخلهما وأغلق الباب . .

ـ القاعة واسعة كأرض الصيد والطراد . الصيادون نائمون والفريسة مستيقظة . واسعة ومضيئة والطنافس تشع لون الدم . . فى مثل هذا الجو . . وسط هذا المكان لم يكن صالحاً يصلح شاهداً بأى حال من الأحوال . كان يرتعد نفس ارتعادة الفريسة . والقاعة مليئة بالناس . عشرون . . ثلاثون . . متشابهو الثياب والملامح . . من الصعب تمييز الشيخ من بينهم إذا لم يكونو جميعا شيوخاً . . كانوا جالسين مستندين على امتداد الجدران الأربعة للقاعة . مربعا أبيض اللون من الأجسام المسترخية شبه النائمة أو المخدرة . فى صدر القاعة كان هناك جهاز ضخم للفديو فوقه شاشة واسعة وعريضة تكاد تقارب شاشة السينما . تعرض مشهداً غريبا من أجل الأفلام وفى الوسط كانت هناك عدة مناضد متتابعة عليها كل شىء تقريبا . أطعمة وسجائر وخمور وعطور ومناديل ورق ومزيلات للرائحة وربما مخدرات أيضا . وظلا واقفين دون أن يبالى أحد بهما . بعضهم ألقوا عليهما نظرة عابرة ثم أداروا وجوههم إلى الناحية الأخرى . والبعض بقى نائما أو مغشيا عليه .

ـ وآخيرا نهض أحدهم . قصير القامة . ضئيل الجسم لحد ملحوظ . يرتدى الثوب الأبيض دون غطاء للرأس ويسير فوق الطنافس حافى القدمين وقف أمامهما وهو يقول مبتسما :

ـ مرحبا . .

ـ وتنفس مصطفى الصعداء . كانت اليد الممدودة إليه صغيرة وآدمية ناعمة بعض الشىء . هتف وهو يشير إلى صدر المجلس :

ـ تفضلا . .

ـ وانتظر صالح حتى يسير هو أولا . فانتظر مصطفى ثم سارا خلفه . لم يتحرك أحد من الرجال المستندين للجدران . أشار لهما ليجلسا فوق بعض الوسائد المتناثرة وانتظرا أيضا حتى جلس هو أولا . وحين رأى نظرة الدهشة فى عيونهما قال وهو يشير لبقية من فى المجلس :

ـ الإخوان متعبون قليلا . . لقد سهرنا طوال الليلة الماضية . لم ينم أحد حتى الآن . . كنا نشاهد الفيديو ونتسامر . .

ـ وحدق فى عين مصطفى فجأه وهو يقول :

ـ يبدو أنك أيضا لم تنم جيدا فى الليلة الماضية . .

ـ وفوجىء مصطفى بالهجوم المباغت ففقد الجزء الضئيل الباقى من شجاعته . كان وجه الشيخ فى وجهه تماما وعليه ابتسامه باردة . أدار عينيه بسرعة وتظاهر أنه يشاهد شاشة الفيديو الضخمة . كانت هناك امرأه عارية الصدر تصدر أصواتا غريبة مسعورة . وآدار وجهه مرة أخرى ليرى عينى الشيخ فى انتظاره . . قال . .

ـ يبدو أننى متعب قليلا . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ مصرى . .
ـ أجل . .
ـ أنتم تحبون السهر . .
ـ أجل . . ولكنى متعب . .
ـ والتفت الشيخ التفاته سريعة إلى صالح وهو يسأله :
ـ إبن من ؟
ـ ذكر صالح اسم أسرته كاملا . لم يبد على الشيخ أنه يعرفه . . قال :
ـ وماذا كان يعمل ؟ . .
ـ غيص . .
ـ فقد اهتمامه به . .

ـ تقدم رجل أسود اللون يمسك « دالة القهوه » فى يد وفى اليد الأخرى صفا من الفناجين أعطى كل واحد منهم فنجانا . كان من الذهب الخالص . صب فى كل واحد قليلا من القهوة التى يشع منها رائحة « الهيل » ثم دار على بقية الجالسين . بعضهم استيقظ وبعضهم شرب القهوة وهو مغمض العينين . وتأمل مصطفى فنجان الذهب فى يده . . كانت هناك شراهة غريبة ورغبة حارة لرؤية الذهب وملامسته فى أى وقت وبأية وسيلة . كأن هذه هى الوسيلة الوحيدة للإحساس بالأمان . شرب الشيخ القهوة على مهل وبدا كأنه منشغل بالفيلم كان هناك رجل يجلد المرأه المسعورة . وكانت هى تتأوه . . لامن الألم ولكن من فرط اللذة التفت إليه بغتة وهو يقول له :

ـ منذ متى وأنت فى الخليج . . ؟ . .
ـ قال مصطفى . . بضعة شهور . .
ـ آه . لاتزال طازجا . .
ـ وضحك مصطفى . . حاول أن يفهم مغزى الكلمات . . أهو يجامله . . يستدرجه . . أم يحقق معه .

قال الشيخ فى اهتمام مفاجيء . لقد حدثنى جاسم عنك . التفت اليه مصطفى مدهوشاً . . قال الشيخ . . لعلك لا تعرف أن جاسم هو ابنى الوحيد . وأنا أهتم كثيراً بكل ما يخصه . فكر مصطفى . . هل يقف الأمر عند هذا الحد أم أن جاسم هو مدخله البعيد . قال مصطفى الكلمات التى لم يكن يقدر أن يقول غيرها . . إنه طالب ذكى . . قال الشيخ بتأكيد . . أعرف ذلك وصمت قليلاً . نظر مصطفى إلى صالح . كان قد جلس بعيداً . ترك لهما الحرية لكى يمارسا معاً لعبة القط والفأر . كان هو أيضاً فأراً مسكينا لم يتصور أن المصيدة بمثل هذه الفخامة . قال الشيخ . . إننى أفكر فى أن تعطيه بعضاً من الدروس الخصوصية . هل يسمح وقتك بذلك . . ؟ . . ما أشد أدب السؤال ورقته . كان ينظر فى عينيه مباشرة . ملامحه دقيقة . عيناه براقتان . أنفه مدبب كالصقر . وكذلك ذقنه . تساءل مصطفى . . هل تقف الصفقة عند هذا الحد ؟ . . قال . . أمرك . . رغم أننى أرى أنه ليس فى حاجة إلى دروس . مستواه الدراسى جيد بما يكفى . كان يكذب وكان ينافقه . وقال الشيخ بتحديد أكثر . . كم هو ثمنك . . أعنى كم تطلب ؟ دخل الرجل الأسود مرة أخرى . كان يحمل زجاجة كبيرة من العطر وأخذ ينثرها على الموجودين . بعضهم كان يمد يده . يتلقف القطرات ثم يمسح بها وجهه والبعض الآخر استسلم للقطرات الباردة دون أى إحساس . مد الشيخ يده ومسح وجهه بالعطر . ومد مصطفى يده فأحسن بقليل من الانتعاش . أحد النائمين كان يحلم حلما كئيبا . تأوه فى صمت خافت . قال مصطفى فى تبرم . . لا أهمية للنقود . قال الشيخ . . ألا تأتون إلى هنا من أجل النقود . أحس مصطفى وقبضة حصار الإهانات تفرض من حوله . تململ فى جلسته كأنه على وشك النهوض . كان صالح قد ابتعد كثيرا . . كلما نظر إليه وجده قد ازداد ابتعاداً . . قال الشيخ . . لا تغضب لا أحد يكره النقود ولكن يجب ألا تشغلنا أشياء أخرى عنها . ارتفع صوت موسيقى الفيديو . كانت هناك مطاردة بين رجل وامرأة

الرجل يجرى عاريا . والمرأة عارية أيضا . تمسك فى يدها رمحاً طويلا . تطارده فى شراسة وفى عدوانية خالصة . مال أحد الرجال انزلق من فوق الحشية التى يستند إليها . . انطرح على الأرض فجأة فى صوت مكتوم . . لم يكن يتنفس تقريبا . . دخل اثنين من الخدم السود . حملاه فى صمت وأسرعا الى الخارج . قال الشيخ . . كم تبلغ مدة إعارتك . قال مصطفى أربعة أعوام . قال الشيخ . . هل تعتقد أنها كافية لتكوين نفسك . قال مصطفى . الأمر ليس بيدى . قال الشيخ . . الأمور بأيدينا هنا . الشيوخ هم استثناء كل القوانين فى الخليج . . ألم يخبرك أحد بذلك ؟ . . صمت قليلا . لم يكن ينتظر إجابة منه . وأضاف فى برود قاطع . . ومع ذلك فالبعض لا يكمل بيننا عاماً واحداً . . ربما بضعة أشهر . . ارتبك مصطفى . كان الشيخ يدور حوله كأنه مصارع أسبانى . يرشق جسده بسهام الوعود الملونة والتهديدات الباترة . لو أنه يفهم أصول هذه اللعبة الغريبة . . لو أنه يعرف لماذا تدور أصلا . . قال الشيخ . . أستطيع أن أضاعف مدة إعارتك لو أردت . . ولكن هذا يعتمد على . . وصمت . . فانزلق مصطفى إلى السؤال . . على ماذا ؟ . . سكت الشيخ ثم قال فى سخرية . . على مستوى جاسم الدراسى بطبيعة الحال . كان الشيخ مستمتعاً بهذه المراوغة . ودخل الرجل الأسود وهو يحمل مبخرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يتصاعد منها الدخان . أخذ يطوف على الجالسين . يضع المبخرة فى مواجهة أنوفهم . بعضهم كان يستيقظ مذعوراً ويحرك الهواء دافعاً الدخان إلى أنفه ووجهه والبعض كالعادة لم يبد عليه أى إحساس . هل يضعون فى هذا البخور أيضا قطعاً من اللحم المحترق . . ؟ . . كانت المرأة قد نجحت فى اللحاق بالرجل ولكنها لم تستعمل الرمح . قال الشيخ وهو يومىء ناحية صالح فى احتقار . . لماذا جئت به معك ؟ . . قال مصطفى . . لم أكن أعرف الطريق . . قلب الشيخ شفتيه وهو يقول . . لا يوجد طريق آخر . . وصمت قليلا ثم قال . . سوف تأتى لإعطائه الدروس هنا بطبيعة الحال . قال مصطفى . . أمرك . . قال الشيخ . . ولكن للبيوت أسرارها وأنت تعرف ذلك . قال مصطفى . . أعرف . . قال الشيخ . . حسنا . . ربما كان على أن أمهد من الآن لإطالة مدة إعارتك . كان لا يزال يبتسم نفس الابتسامة غير المريحة . والتفت مصطفى إلى الشاشة ليهرب منها ولكنه فوجىء بما تيلدا على الشاشة . كانت تخلع ثيابها قطعة قطعة ببطء شديد . بنفس المتعة والانسيابية التى يعرفها . أصبحت عارية تماما وجسدها خال من البقع السوداء . جسدها الضئيل كان ضخما على الشاشة . يكاد يملأ فراغ القاعة . كانت تتلوى فوق جسد رجل لم يكن شكله واضحاً فى الصورة . أهو الشيخ أم أحد أصدقائه . . أم يكون هو نفسه مصطفى . . قالت نفس الكلمات . وضع وجهها بنفس الشهوة . ونزت نفس حبات العرق . كأنها تضاجع كل الموجودين فى القاعة حتى القائمين منهم . والكاميرا تغوص داخل جسدها . .

كانت شهوة ما تيلدا عارمة حتى إن المنظر كان يصبح ضبابيا من أثر الصهد المنبعث من جسدها . أحس مصطفى بالخوف والرغبة والاختناق . حتى النائمين استيقظوا . كلهم ينظرون إليه . يحاصرونه . يرصدون اختلاجات وجهه وزفرات أنفاسه . لم يستطع أن يحول عينيه عنها . كان يريد أن يعرف من صاحب هذا اللحم الآخر الذى يمتزج مع لحمها . كان يعرفه ولا يعرفه فى الوقت نفسه . يعرف هذه الانتفاضة . وهذا الإحساس الغامر بالمتعة . والشعور الطاغى بامتلاك مالا يمتلك . بالألم والفرح والخوف والانبهار . وكان صوتها يدوى فى جنبات القاعة يختلط بصدى أروقة القصر الخالية وهدير الخليج وصمت الصحراء . . خيل إليه أنه لمح معالم غرفته . . ولكن ذلك لم يكن صحيحا . . أو هكذا أكد لنفسه . . نظر ناحية صالح . كان يراقب الفيلم والعرق يغمر وجهه . ونظر إلى الخلف فوجد الشيخ يحدق فى وجهه بنفس الابتسامة الباردة المخيفة . . قال له :

ـ هل أعجبك الفيلم ؟ . .

كان العرق يغمر وجه مصطفى . . وشعر بجفاف ريقه . . قال متوتراً :

ـ أنا . . أنا . .

قال الشيخ . .

ـ عندما تدخل قصرى . . لا أريد منك أقل من الولاء الكامل . .

كان صوته غريبا . . كأنه صوت قوى خفية . . تملك الوعد الغامض والتهديد الكامن . تخاذل مصطفى . . تمتم فى صوت هامس حاول كل جهده ألا يسمعه صالح :

ـ ربما كان على أن أقول شيئاً . .

قال الشيخ فى اهتمام :

ـ ماذا ؟

تردد مصطفى ليخرج الكلمات من أعماقه . ليقرر مصيره . لينقذ نفسه الضائعة . شىء أشبه بفصد الدم . . بالقتل العمد . . قال فى صوت خافت :

ـ أعتقد أننى أعرف شيئا عن مكان هذه الفتاة . .

وابتسم الشيخ ابتسامة غاية فى الغموض . وأشاح بيده بلا مبالاة وهو يقول :

ـ لا أهمية لذلك . . أصدقاؤها الأ سيوبون قد وشوا بها . .

القاهرة : محمد المنسى قنديل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة: أنت تمسك النار، طوبى لك

أخيراً سلّم أمره لطبيب الأسنان ، عندما ألقى رأسه على مسند المقعد ، وتحت نظر الطبيب كان وجهه شاحباً كالموتى ، وهالتان زرقاوان واسعتان حول عينيه ، وعندما قال له وهو يشير إلى ضرسه المنخورة «أنقذنى . . أرجوك» فإن المرء يستطيع أن يرى وراء رباطة جأشه شخصاً ضعيفاً ، يتماسك لئلا يئن كحيوان جريح ، وهو يمدّ يد العون لإنقاذ نفسه ، وهو على استعداد تام لتنفيذ كل ما يراه الطبيب مناسباً لشفائه . كان واضحاً : لو نتف أحد ريشه فإنه لن يجد إلاّ دجاجة عادية لا تثير انتباه أحد .

هذا هو خلاصه الأخير ، لم يعد يفكر أن لكل شيء قيمة تذكر لو تعرضت للتلف كما هو الحال مع ضرسه ، الذى أصبح عبئاً لعيناً ، ولأنه على استعداد لتنفيذ كل ما يراه الطبيب مناسباً ، فهو لا يعارضه لو شاء أن يعرج على لسانه ويقطعه ، المهم هو التخلص من الألم ، فلم يعد قادراً على تحمله ، هكذا تغيّرت الأمور ، كان على استعداد لأن يُسمع الطبيب أرقّ الكلمات وأعذبها ، لكن لسانه ــ هذه الكتلة المتحجرة التى فى فمه ــ لا يتحرك ، فماذا بوسعه أن يفعل ؟

فى السابق أرجأ الذهاب إلى طبيب الأسنان إلى أبعد ما يستطيع ، فازداد ورم فكه تضخماً مع مرور الأيام ، وازدادت معه الآلام المبرحة التى كانت تزحف مع الورم إلى أعلى عنقه فتصل إلى الأذن ، لكنه مع ذلك لم يصل إلى هذه الدرجة من الكآبة وتدهور المعنويات إلاّ عندما بدأ لسانه يخونه ، لسانه الذى كان طوع إرادته طوال حياته ، وخير معين له فى تمشية الأمور طوال أربعين سنة ، بواسطته كان قادراً على القيام بالمعجزات ، وبفضل تدخله يحصل على أمور لم يستحقها قط ، يكذب أو يقنع الآخرين أنه يمكن أن يضع يده فى النار دون أن تحترق . لم يره أحد يضع يده فى النار ، ولم يقل له أنت تكذب .

كان منافقاً ، والويل من سلاطة لسانه لمن قال له أنت تنافق ، بفضل لسانه يقسم أنه أنجز أعمالاً لم يكن حقيقة قد قام بها ، ويدعى الفضل له فى الأعمال التى قام بها غيره ، وينسب لنفسه أشياء لا يعرف عنها شيئاً ، ويهول على رؤسائه فى العمل ، ويكيل الشتائم لزملائه ، أو يقذف بلسانه أكداس القاذورات على من يحاول أن يقف فى طريقه ، ساعده لسانه على الثرثرة ، راويا حكايات لا أصل لها ، أو حكايات قام بها غيره ونسبها لنفسه ، مخادعاً من يعرفون خداعه ، ولتجنب لسانه يقبلون بالخديعة . ولكن نتيجة للورم ، بدأ بشكل تدريجى يشعر بلسانه متضخماً ، وقد ضاق فمه به ، مسببا له أفظع الآلام أثناء احتكاكه بالأسنان ، فكلما أراد الشروع بالكلام شعر أن كتلة لحمية يضيق بها فمه وتحبس أنفاسه ، مسببة له مزيداً من الوجع ، فى البداية ظل مستخفاً بهذا الذى يحصل داخل فمه ، منطلقا على لسانه الجامح فوق السهول المفتوحة ، ولكن صورة الجواد لم تعد كما هى ، وأصبح فى النهاية مجرد لسان يتعثر ، ولذلك لم تعد له القدرة على مواصلة الجرى ، ثم لم تعد له القدرة على الوقوف ، كان يقول لكل من

سأله عن سرّ تغيّر الألفاظ التى يلوكها بأنه «لا يرهبه شيء» وهو يضبط نفسه . وكانوا يردون عليه قائلين «صحيح ، أنت تملك قوة إرادة لا مثيل لها» فيعرض ريشه ، ريش الطاووس الزاهى ، فى البداية تعوّد أن يغمض عينيه ويتنشق ألمه حتى يشحب لونه من الرعشة الغامضة ، لا ليست الرعشة بل الخوف والمستقبل المجهول ، وفى الليل يدخل بجواده غابة خطرة ومعتمة جداً ، لقد كان الألم ينبض الليل بطوله مثل شظية أو دمّلة بحجم الورم ، لم يكن يعلم كيف يتصرف ، وظل يتظاهر كأن لا شيء قد حدث ، ولكى لا يظهر عليه ما يوحى للآخرين بشيء ، عليه ألاّ يتكلم ، أما ألم الضرس والورم فلابد أن يأتى اليوم الذى يخف فيه ولم يتكلم لكنه ينصت للناس الذين يقابلهم فى طريقه أو الذين معه فى العمل ، وهم يطرون بطولته وقوة تحمله . فى البداية كان يجد فى ذلك لذة تشبع أحاسيسه بالتفوق حتى بتحمله للألم ، وعندما وجد أن ما يعانى منه خاص به ، وأن كل الناس لا يكابدون ما يكابد ، بدأ فى محاولة لإيجاد التعزية لنفسه ، مجبراً على الكلام رغم كل شيء لإقناع كل من يراهم ، بأنهم هم أيضاً لهم أضراس منخورة ، وقد يظهر على فك كل منهم الورم فى أية لحظة ، وإذا تصادف أن يكون أمامه من الناس الذين لا يمكن بأى حال من الأحوال الشك فى سلامة أضراسهم ، فلا يتراجع بل يقول بأن أحداً لا يمكن أن ينجو من ذلك ، ومع أنه يجد هذا السرور الخفى فى تخويف الآخرين ، إلا أنه يعوّض بشكل ما عن سلاطة لسانه التى خبت ، ولكن ربحه بالنوايا اللئيمة هذه لا يمكن أن يقارن بخسارته ، تلك التى فضحتها كلماته الثقيلة ، كان ينطقها كما لو كان يتعثر ، فمتد له الأيدى محاولة انتشاله ، وفى كل مرة لا تغيب عنه ــ بحساسيته المريضة ــ رائحة الضعف والتدنى ، وعندما تقدم له الكلمات على شكل عطف وهم ينظرون إلى ما طرأ على حاله ، أو عندما يقول له أحدهم «ما أنت أول من يحدث له ذلك» لا على سبيل تهدئة خاطره وبعث الطمأنينة فى نفسه ، ولكن بنوع من مساواته بالآخرين ، أو بنوع من تجاهل مصيره حتى ليبدو مفرطاً فى العادية ، ولكن ماذا بوسعه أن يفعل ؟ وهو يعتبر ذلك جزءاً من محاولة الإطاحة به ، أين كان مثل اولئك الأشخاص أمام لسانه ؟ أليست مثل هذه الكلمات أنياباً يكشرون عنها ؟ ألا يعنى ذلك أن المقابل هو الأقوى وأنه أقل مقدرة من كل الأشخاص الذين لا توجّه لهم مثل هذه الكلمات ؟ لهذا كاد يجن ، ليس من شدة الألم وحده ، وإنما من كل المحاولات التى نتفت له ريشه ، وعندما فقد كل ما يمكنه على التحمل ذهب إلى طبيب الأسنان وسلّمه أمره بقناعة تامة ، وعندما ألقى برأسه على مسند المقعد ، كان يملك فقط آخر ما تبقى له فى السيطرة على قوة إرادته ، وأن ألم الورم وغمّ النفس قد وصلا إلى أعلى مرحلة ، وهما يشددان الضغط عليه أكثر فأكثر ، وإنما فى حاجة إلى من يبحث معه كل التغييرات التى طرأت ، أو يشكو إليه حاله ، أو يكشف له عن مكنون قلبه ، اللعنه ، لماذا يحتك لسانه بأسنانه ؟ لماذا أصبحت الأيام طويلة أكثر مما ينبغى ؟ فجلبت معها الشحوب ، وأحنت له أعلى الظهر ، وكان رأسه لا يستند على أعلى المقعد ، ولكنه ملقى .

ولم يسأله الطبيب عن الذى يريده بالضبط ، هل هو التخلص من الضرس أم إنقاذ ما يمكن إنقاذه من لسانه .

بعد أيام من أخذ المهدئات التى أعطاها طبيب الأسنان ، لإعادة شكل الفك إلى ما كان عليه ، أجرى عملية قلع الضرس بمهارة كما وعده ، وكان كل شيء يخضع لحظة مسبقة ، ومع أن قطعة القطن التى وضعت فى الفراغ الذى خلفه الضرس المقلوع تملأ فمه ، الاّ أنه كرّر الشكر لطبيب الأسنان كما لو أنه أنقذه من حبل المشنقة ، فقضى ليلته هانئاً هذه المرة ، وفى الصباح وجد الاستقامة تعود لأعلى ظهره ، فوقف بكامل طوله ينظر من خلال شباك غرفته إلى لون الحديقة فى الصباح ، لقد تحول إلى ملاك أهيف يرتدى ثوباً أبيض ، ويعقد يديه وهو يرفعهما أمام صدره ، بشكل يوحى بتقديم الشكر والاعتراف بالجميل ، وكان كل ذلك مدعاة إلى فرحه ، لم ينسه كيف أنهكه الداء وأقعده ، وكيف يزداد لجوؤه فى الليل إلى جعل رأسه يتدلى فى حافة السرير ، من الحسرة والألم .

ولم يمض أكثر من أسبوع واحد لمن وجد لنفسه فرصة وتجرأ طيلة الفترة الماضية ، فى توجيه اللوم له ، أو الحديث عنه بما لا يرضى دون أن يخشى بأس لسانه ، مثل هذا الشخص وجد نفسه يتراجع عارفاً حدوده التى يجب أن يلتزم بها ، بدافع من قناعة تامة ، لم يفرضها أحد عليه .

هذه هى الحياة الجميلة ، عندما استقبلها اختفت الشماتة من كل الوجوه ، وانمحت وهى تتسرّب من القسمات ، كان يشعر بالاعتزاز فى نفسه ، وبالزهو وهو يتطلع إلى ريشه ، وبالفخر من أنه لن يكابد من أجل أحد ، لأنهم ــ فى الماضى ــ لم يكابدوا من أجله ، وكان يحرص وهو يفتح فمه أن تبدو أسنانه التى فى المقدمة نظيفة ، وأنيابه لامعة ، وهو يقذف بلسانه أكداس القاذورات ، أكثر من ذى قبل ، على كل من تسوّل له نفسه ويعترض طريقه الصاعدة المستقبل يفتح ذراعيه مرّحبا ، وليس هناك ما يعكر صفو الحياة التى هى ملكه قبل أن تكون ملك أى شخص آخر ، وفتح فمه على اتساعه .

بغداد : عائد خصباك

عبد الوهاب الأسوانى

قصة الغبار

التقينا فى قطار المجرى المتجه إلى أسوان ، هو فى طريقه إلى سوهاج وأنا إلى نهاية الخطّ . تآلفنا بسرعة على طريقة الصعايدة عندما يخلون إلى بعضهم وتلذّ لهم المبالغة فى ذكر محاسنهم . .

قال إن مظاهر الحضارة الغربية طغت بقيمها الدخيلة على القاهرة والوجه البحرى ، وأن الأمل الوحيد فى مقاومتها ينعقد على الصعيد الذى لا يزال يحافظ على أصالتنا ، وافقته على ذلك صادقا ، فقال إن الصعيد هو الذى يسترد مصر كلما تعرضت لاحتلال أجنبى أو غزو ثقافى ، واستشهد بالهكسوس الذين أغرق طوفانهم البلاد فهبّ الصعيد لطردهم . . سألنى إن كان لى أولاد ، فقلت ولد واحد اسمه (محمود) ، قال إن لديه ولدين بأسماء « بشاى » و« بشارة » ، ثم ضحك وقال إنه تعمد أن يبدأ أسماهما بحرف الباء تيمنا باسم والدتهما ، وإنه ينوى إرسالهما الى الصعيد لينشآ فى بلاد الرجولة الحقّة ، بعد أن لاحظ تقليدهما لأبناء سكان العمارة التى يقيم فيها بحى الزمالك ، حيث لم يعد المرء يفرق ــ كما قال ــ بين الولد والبنت . .

قلت إننى لم أزر الصعيد منذ عشر سنوات ، فقال إنه أيضا لم يره منذ سبع سنوات ، وهذا خطأ عظيم ، إذ لا يصح أن يُقتلع الإنسان من جذوره ، وهذا هو سبب سفره الآن ، إذ ينوى إقامة بيت فى قطعة أرض سكنية آلت إليه بالميراث ، وإنه فكّر فى هذا المشروع حينما فوجىء بولده الأكبر ـ الذى لا يزال فى المرحلة الثانوية ـ يشعل سيجارة أمامه . .

قلت إننى اقتربت من الأربعين ، ولم أجرؤ حتى هذه اللحظة على إشعال سيجارة أمام أبى ، فقال إنه لم يجلس بجوار أبيه ـ أو أحد أعمامه ـ فوق الدكّة أبدا ، وإن مكانه الطبيعى ـ هو وأبناء أعمامه ـ هو الحصيرة ، طالما كان أحد كبار السن فى العائلة موجودا ، وحتى بعد أن أصبح مديرا عاما لم يخرق هذا التقليد .

قلت إن المؤرخ اليونانى (هيرودوت) الذى زار مصر فى أواخر العصر الفرعونى ، ذكر فى كتابه ، أن الشبان الذين يجلسون فى الطريق العام ، يقفون فى الحال كلما مرّ عليهم رجل كبير السن ، ولا يجلسون إلاّ بعد أن يتجاوزهم ، فقال فى حماس إنه يحمد الله لأن هذا الذى ذكره « هيرودوت » لا يزال حقيقة واقعة فى الصعيد العظيم . .

فى بداية العربة ظهر عامل عربة الطعام ، فقلت سأطلب عشاء لكلينا ، اعترض رافعا كفه تجاه وجهى وقال إن طعامهم لا طعم له ، مسلوق على طريقة الإنجليز فى بلادهم ، ثم ابتسم للعامل وناوله ورقة مالية صغيرة وطلب منه إحضار مائدة لنأكل عليها فاستجاب فى الحال . .

وقف وتناول من الرف حقيبة من البلاستيك ، أخرج منها ورقة بيضاء نظيفة فرشها على المائدة ، ثم أخرج كيسا شفافا امتلأ بالبيض المسلوق ، وكيسا آخر به خبز بلدى ، فضلا عن أكياس كبيرة وصغيرة حفلت بالجبن الرومى والبسطرمة والطرشى والملح والفلفل والشطة ، وانهمكنا فى الأكل بشهية عظيمة .

عاد عامل عربة الطعام وسألنا ان كنا نريد شايا أو قهوة ، فقال له ضاحكا (مهمتك انتهت) ثم أخرج من الحقيبة (ترموس) وكوبين صغيرين صبّ فيهما شايا أسود ثقيلا فى لون الحبر ، وقال ضاحكا إن (الترموس) يذكره بالكوز الذى كان يشرب فيه الشاى مع أعمامه فى الحقل أيام التلمذة . .

بعد بزوغ الفجر دخل القطار حدود سوهاج ، فذهب الى دورة المياه ، وعاد منتعشا بعد أن غسل وجهه وحلق ذقنه ومشط شعره الأكرت . . تصافحنا بحرارة ، بعد أن تبادلنا العناوين ، وهبط ، وبقيت وحدى أغفو قليلا ثم أفيق إلى أن هبطت فى محطتى ، قبل مدينة اسوان بحوالى نصف الساعة . .

للوهلة الأولى خيل إلى أننى هبطت فى محطة أخرى . . سيارات من مختلف الأنواع والأحجام كأننى فى أحد الأحياء الشعبية القاهرية بما فى ذلك الحفر والمطبات وأكوام النفايات وموجات الغبار . .

وقفت أتلفت حولى حائرا للحظات ، ولولا المسجد والكنيسة والمعبد الفرعونى ، التى تعرفنى وأعرفها ، لما صدقت أننى فى « البندر » الذى تتبعه قريتى . .

اختفت المساحات الخضراء على يسار الهابط من رصيف المحطة ، وحلّت مكانها عشرات المشارب والمطاعم وورش إصلاح السيارات ، فضلا عن البوتيكات التى تعرض أحدث أنواع الأجهزة الكهربائية . .

ميدان المحطة يعج بالسابلة يرتدون البنطلونات والقمصان التى تمثل كل فئة ، وكاد الجلباب أن يختفى ، أما العمامة التقليدية ، فقد انقرضت وتركت الرؤوس عارية . .

تقدم منى شاب نحيل ، طويل القامة ، شديد السمرة ، فى السابعة عشرة تقريبا ، له سوالف طويلة على طريقة شباب « الهيبز » ، قدّم لى نفسه باسما على أنه (عصمت) ابن أختى (كوثر) فتعانقنا . .

قلت له إننى لم أكن لأعرفه لولا أن ذكر لى اسمه إذ لم أره منذ كان فى السابعة ، فقال إنه عرفنى فى الحال ، لكنه تردد حين رأى المشيب يغلب على شعر رأسى . .

حمل حقيبتى الصغيرة وهو يرحب بى ، وهبطنا درجات سلم المحطة ، فى طريقنا الى موقف السيارات المتجهة إلى بلدنا . .

سألته عن أبيه وعن أمه ، فقال إن والده كان يود المجىء لمقابلتى لولا أنه أصيب بوعكة ، وإن أمه سعيدة جدا بوصولى ، وسألته عن حاله فقال إنه ينتظر نتيجة الثانوية العامة ، فتمنيت له التوفيق .

أثناء سيرنا رأيت قرية (الفواطم) من بعيد ، ما زالت كما هى ، ببيوتها الطينية البدائية ، أكثرها آيل للسقوط ، على سقوفها غابات من هوائيات التليفزيون . .

حين انحنى ابن أختى ليضع حقيبتى الصغيرة فى حقيبة السيارة الخلفية ، رأيت على جيب بنطلونه (الجينز) مستطيلا أزرق يمثل العلم الأمريكى بنجومه المتراصة . .

ركبنا السيارة ، فى انتظار اكتمال عدد الركاب ، ومضى يرحب بى ، ثم أخرج من جيب قميصه علبة سجائر أجنبية ، ناولنى سيجارة ، ووضع أخرى فى زاوية فمه اليمنى ، بعد أن اتكأ إلى الوراء ومدد ساقيه ، ومضى ينفث الدخان فى استرخاء . .

القاهرة : عبد الوهاب الأسوانى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أحمد نوح

قصة

أبدع الحوادث

برقت عيناه لما تلقى الخبر مفصلا ووضع سماعة التليفون بيد واختطف بالأخرى قلمه (البركر) وبعض الورق . ورعدت داخل رأسه رعود العناوين و (المانشتات) التى سيستهل بها مقالته وهو يجرى إلى قسم التصوير ليأخذ المصور الباقى قبل أن يختطفه أحد . يسأله عن حادث عجب . يا له من حادث ! والحكماء قالوا (اتق شر من أحسنت إليه) فلم يتعظ أحد صاحبنا هذا (حمّال) عض اليد التى أحسنت إليه فقاده عزرائيل إلى موتة لها العجب ! . هذا هو الخبر ، وفيه مع التسلية مقدار مليح من العظات والعبر . .

- وقع الحادث منذ ساعة فهيا قبل أن يسبقنا أحد .

دفع المصور إلى سيارة تخص إدارة التوزيع ــ فسيارته هو عند الميكانيكى المتعب ــ واندفع بجسمه اللحيم خلفه . . تمنع السائق ، فأخرج حافظة نقوده ، وأقنعه .

- هيا واسمع الكلام ، شارع نوال من ناحية الكورنيش ، ولك بقشيش كبير إن أسرعت . .

ثم توتر بعد ذلك فى مقعده وكأنه جالس على لهب ، مستسلما لصنوف الرعود والبروق التى انطلقت تبرق وترعد داخل جمجمته . مال على أذن صاحبه بعد دقائق وسأل :

- الغيت مواعيدك ؟

قال باستهانة :

- معك إلى الصباح .

- جميل . الحادث لذيذ جدا ومثير إلى أقصى حد . وصديقى فى مركز الشرطة اختصنى به لأنى أفضل من يغطى الحوادث الكبيرة .

قال المصور مؤمنا متنهدا :

- أعرف أنت فعلا أفضل من يصوغ الحوادث بأسلوب لذيذ ومشوق !

قال بلهجة عتاب :

- لذيذ ومشوق فقط ؟

قال المصور بحيرة :

- وماذا أكثر ؟

أجاب بفخار :

- قل لذيذ ومشوق ومليء بالعظات والعبر .

كاد السائق ينسى مركزه ويشترك فى الحديث لكنه خاف العاقبة فلزم الصمت .

- سنقضى أطول فترة فى الحى الذى آوى المجرم . هو بالمناسبة صعيدى . ألم أقل لك إنه صعيدى ؟ من الصعب جدا ومن النادر أيضاً أن تجد بين أفراد هذه الفئة المكافحة (هجّام) يسطو على البيوت .

أفلت لسان السائق الصعيدى بسؤال رغما عنه :

- ولكن ما هو الموضوع بالضبط ؟

كاد المحرر المشهور يلزمه السكوت بخشونة ، لولا أن تذكر أنه ليس سائقه الخاص ، وأنه فى مسيس الحاجة إليه فلو أنه امتنع عن توصيله رغم الجنيهات التى منحها له من حرّ ماله

لحدثت كارثة وطنية . . فمن ذا الذى سيغطى عندئذ بكفاءة حادثا رائعا كهذا ؟

أجابه برقة أدهشت المصور الذى كان خبيرا بطباعه الشرسة :

- الموضوع ياحبة عينى باختصار شديد هو أن سيدا محترما عائدا من الخارج ، من أوربا بطريق البحر ، أشفق على حمال طاعن فى السن التقى به فى محطة مصر ، فصحبه فى سيارته إلى بيته . انتبه إلى ما أقول يا سيد وحيد . . اصطحبه إلى بيته حيث أطعمه وأكرمه ومنحه أضعاف أضعاف أجره ، وفوق ذلك منحه ملابسه القديمة . . ثم صرفه . لكن الحمال العجوز الخبيث سرق مفاتيح الهانم ، زوج السيد المحترم ، قبل انصرافه . ثم اقتحم الشقة بعد أيام ليسرقها . وفوجىء بعودة أصحاب الشقة وهو يجمع ما خف حمله وغلا ثمنه فحاول الهروب بحمله من النافذة . . مجوهرات ومسجلات وساعة حائط وتلفزيون ملون وفديو وأنبوبة بوتاجاز . .

- ياه !

كلمةتعجب أفلتت من فم المصور والسائق معا لكنه لم يسمعها . رمق المصور صاحبه فوجده سابحا فى الخيال وهو يحكى . . مستسلما على ما يبدو لشطحات خياله . فهم أنه (ينسج)المقال وهو يحكى لهم الحكاية ، حاشيا هيكلها الذى أخبره به (الصول) من القسم بالتفاصيل الضرورية . فتضاعفت دهشته وترقبه . رآه يكتب فى أوراقه ، قائلا :

- لم تتحمله المواسير فوقع . بل قل (لم تتحمل ذراعاه الضعيفتان) . . لا.قف ، فالأفضل هنا القول (لم تتحمل ذراعاه القويتان ثقل جسمه وثقل المسروقات فهوى من حالق . من الدور السادس إلى الشارع) . . إحمْ ! هذا ما خدث باختصار شديد يا أسطى باشا .

ضحك السائق وقال بعبط :

- ولكن كيف يستطيع كهل كهذا حمل كل هذه التشكيلة ثم النزول متسلقا المواسير ؟

وقال السائق مؤيدا :

- فعلا كيف يستطيع ؟ هناك شىء غير عادى فى هذه المسألة .

اربدّ وجه المحرر وإن كان فى دخيلة نفسه قد وافق على ملاحظات الاثنين . أمسك قلمه وأدناه من الورق ، شطب ثم كتب ثم زمجر :

- حمال يا حبيبى أنت وهو . مهنته (شيّال) . أى خبير فى تنسيق ورص وحمل ما لا يستطيع من هو مثلى ومثلك رصه وتنسيقه وحمله . فهمت ؟

سعل السائق فى يده وتجنب النظر إلى المحرر الكبير . نبح المحرر الكبير ناثرا ريقه فى قفاه :

- أتتهمنى بالاختلاق والكذب ؟

قال السائق باضطراب :

- أنا ؟ وما مصلحتى فى هذا ؟ بل إنى على العكس والله ، أوافقك !

وقال المصور اللبق :

- وأنا أيضاً أوافقك .

ثم أردف مشيحا بوجهه إلى النافذة :

- ولابد أن أنبوبة البوتاجاز هذه انفجرت بشكل فظيع عندما خبطت الأرض !

فزمجر المحرر الكبير وله منطق لا يقاوم :

- إلا إذا كانت فارغة !

وكتب بضعة أسطر . كفاً عن مجادلته فاعتدل مزاجه . واعتمل فى نفس السائق شوق شديد لرؤية مسرح الحادث ، الجثة والمسروقات والأنبوبة المنفجرة ، ولعن فى سره كزدحام المواصلات الذى يعطله عن الوصول بسرعة . خرج من وسط البلد أخيرا ووصل إلى كورنيش النيل ، بينما كان المحرر الكبير قابعا فى ركنه ناظرا إلى الشارع . كان الكورنيش هادئا ساكنا جميلا كعادته . أضيئت أنواره فبدا رائعا . قصور وعمارات شاهقة فى ناحية ، وشاطىء النيل بـ (عواماته) (وذهبياته) وبخوته من ناحية . وهواء يوليو حلو ، وأنغام بيانو تتصاعد من مكان قريب . . من (الفيلا) التى أوقفتهم إشارة المرور قربها ، حسان كالغزلان يتبخترن وهن متعلقات بأذرع شبان فى عمر الزهور ، سيدات مسنات ومربيات أطفال وأسر بكاملها يأكلون المشويات والترمس . ياللحظ الحسن ! انظر ، الجثة مازالت فى مكانها وليس بجوارها إلا شرطى يعض طرف شاربه من فرط الملل . وبعض الفضوليين أيضاً . انزاح عن كاهلنا مشوار المشرحة . ولكن ، يا للعجب ! يبدو أن المعاينة والتحقيق قد انتهيا ، فلا مسروقات حول الجثة ولا . . ، رفعوها بالتأكيد . ولكن أين أنبوبة البوتاجاز ؟

- أترى أى أثر لانفجار قرب الجثة يا وحيد ؟

أجابه وحيد وهو يفحص المكان بعينين يقظتين :

- لا ، ولا أرى حتى أية مواسير على واجهة العمارة .

قال المحرر وهو يفحص العمارة بنظراته :

- يا للعجب ! انتظرنا يا أسطى من فضلك . بضع صور

سريعة للجثة ثم نستجوب الشرطى وسكان العمارة . ثم إلى القسم لنصور المسروقات . . ، اسمع يا وحيد ، لم يعد معى (فكه) للشرطى فكُل عقله أنت بمعرفتك .

- أمرك . مساء الخير يا حضرة (الصول) ، نحن الصحافة ، ارفع الجرائد عن الجثة وقف بجوارها لتظهر صورتك فى المجلة . .

كان الشرطى شابا من أصل ريفى فأعجبته (حضرة الصول) وكلمة (صحافة) ، وبهرته الكاميرا . أزاح الغطاء عن الجثة ولما قالا له قف وقفة رسمية رفع بندقيته (كتفا سلاح) . برقت آلة التصوير وهى متجهة إلى الأرض وهو بعيد عن بؤرتها .

حلاوتك ، عسكرى أبهة فعلا .

تغلب السائق على تردده واقترب . بدت الجثة لعينيه لكهل طويل القامة ، فى السبعين . نحيف جدا لكن ضخامة عظامه تشى بما كان عليه من قوة فى شبابه ، ذى جلباب أزرق قديم وعلى ذراعه ربطت رخصة معدنية تسمح لحاملها بالعمل كحمّال ، بينما تمنطق حول خصره بحبل من الليف المجدول ، كان منبطحا على وجهه كأنما يستمع باستغراق لحوار يدور فى باطن الأرض بينما أحاطته بركة من الدماء .

كان منظره مثيرا للشفقة بشكل غلاب .

- ارفع رأسه بيدك يا حضرة الصول ولا تخش الدم . ياه ! نافوخه وجمجمته . . ، أنا دخت ، أتركه بلا قرف . زعق المحرر بغضب :

- لا ، صوّر . إمسكه يا أخينا مرة أخرى ، صوّر يا رجل . تقلصت معدة السائق فابتعد . جلس شاحب الوجه فى السيارة معطيا وجهه لنسيم النيل الرطب وقد أحس بدوار وبعض غثيان . عجب كيف ينسج إنسان من مثل هذه البشاعات حكايات مسلية .

- الديك يا حضرة الصول معلومات عن الحادث ؟

قال الشرطى السعيد بسذاجة :

- تمت المعاينة وجارى استجواب الشهود فى القسم بمعرفة السيد المأمور والسيد وكيل النيابة ، وهذا كل شىء . .

- بارك الله فى معلوماتك المهمة . والمسروقات التى كانت حوله متى رفعت ؟

قال الشرطى باستغراب :

- أى مسروقات ؟

- المجوهرات والمسجلات والفديو والتلفزيون الملون وساعة الحائط ؟

- لا أعرف شيئا عن هذا .

- وأنبوبة البوتاجاز ؟

تفحصهما الشرطى بدهشة ثم قال مؤكدا :

- لا يوجد أى أنابيب أو مسروقات أو ساعات حائط ، وما سمعته أن هذا الغلبان جاء إلى ناس فى هذه العمارة ــ فى تلك الشرفة هناك . . آخر دور ــ «ليعطوه» كما اعتادوا فى كل موسم . فاتهموه بسرقة (المشّاية) من أمام باب الشقة . فلما دفع التهمة عن نفسه قامت مشادة انتهت بأن ضربته الهانم على رأسه بالشبشب . صعبت عليه نفسه وبكى من الإهانه وقلة الحيلة . وأخيرا اندفع يجرى إلى سطح العمارة ، وألقى نفسه من حالق .

- ألقى نفسه من حالق ؟!

- هذا ما حدث بكل أمانة فمن أخبركم بكل هذه التخريفات ؟

لم تهتز شعرة من جسم المحرر ولم ينتبه شعور الإحباط الذى أصاب المصور . دعك ذقنه بكفه وقرر أن ينشر الحادث كما تخيله بغض النظر عن أقوال العسكرى السخيف . ثم جابه المصور بوجه صفيق :

- هيا بنا يا وحيد . لا داعى لباقى المشاوير . ستجد فى أرشيف المجلة أكثر من صورة لمسروقات مضبوطة ، وسنختار منها ما يلائم الموضوع . أين ذلك السائق اللعين ؟

كان السائق «اللعين» جالسا فى مكانه لا يزال ، شاحب الوجه راعش اليدين شاعرا بالمزيد من الغثيان والدوخة والقرف .

القاهرة : أحمد نوح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة

"ديسمبر".. عشقاً ونساؤلاً

أترقبه بحذر . . أستيقظ ـ على غير المعتاد ـ قبيل الفجر . . أتلفت حولى فى دهشة شاردة تدهشنى . . أندفع إلى طعام لا مكان له فى معدتى ، لا شهية له فى نفسى . . أظل فى حركة لا مبرر ولا مساحة لها . . أضيق بالجدران . . أضيق بحدود جسدى .

كآبة مفاجئة ذات مرارة خاصة ، تدخلنى دون استئذان ، دون تفسير . . وتجبرنى على تذوقها حتى الثمالة . . وتوقع متوتر لشىء يأبى الإفصاح عن هويته .

يحدث لى هذا بانتظام كل يوم خميس .

لم تنجح محاولاتى رغم تنوعها . . رغم ذكائها ، أن تقاوم هذا الأمر المتكرر نهاية كل أسبوع . لم ينجح عقلى رغم كثرة تأملاته ، فى أن يفهم لماذا يحدث ولماذا بالتحديد يوم الخميس دون سواه .

هذا الأسبوع ، قررت أن يكون فقط ستة أيام . قررت ألا يحدث يوم الخميس . قررت أكثر من المرات السابقة . ولا أدرى سبب هذا الإصرار . هل هو التعب من تكرار الفشل ؟ هل هو التحدى الحتمى بعد تراكمات العجز ؟ هل لأننى ـ بعد . . لم أفقد ثقتى بعقلى ؟ أم لأن الليلة الخميس الأخير من « ديسمبر » ، ويأبى عشقى لهذا الشهر أن أجعله يمر هكذا كبقية الأشهر ، دون أن أثبت مدى العشق . . دون أن أثبت أن العشق قادر على فعل التغيير ؟ أم لأننى لا أريد استقبال عام جديد بإحساس قديم ؟

أخذت أفكر فى إمكانات المقاومة التى يتيحها العالم حولى . فكرت كثيراً ولم أهتد بعد . فكل ما يمر بخاطرى جربته من قبل . وكل ما لم أجربه ، لا يحرك إلا قشور انفعالاتى . . لا يثير إلا كلمات المجاملة ولا ينتزع من ملامحى إلا ابتسامة مغتربة أو هدوء نظرة أصابها الملل .

« شىء غير عادى » ، هذا ما أبحث عنه . . هذا ما لا أجده . للحظات أحسست بنفسى تسخر منى . وجاءنى صوتها « يبدو أنك ساذجة أو غريبة عن هذا الوجود . كيف تريدين شيئا غير عادى . . كيف تتوقعين هذا الوهم المتفائل ! »

يمر وقت طويل . . يأتى المساء ، وأنا ـ بعد ـ عاجزة عن ترجمة قرارى إلى فعل .

وفجأة ، أنتفض . . تبرق مقلتاى . . ابتسامة مرتعشة تهتدى إلى ملامحى . . ودقات قلبى لم تعد قانعة بمكانها فى قلبى .

« شىء غير عادى » ، الآن يداعب ذاكرتى . بل الشىء الوحيد الذى استطاع أن يستمر « غير عادى » منذ بدايته . فجأة ، أحس به يتخللنى برقة . . بعمق . . يسألنى دون صوت . . يناديني دون نداء . . هل أجيب ؟ وهل ألبى النداء ؟

فجأة . . تذكرتك .

نعم تذكرتك أيها الحبيب القديم ، قدم معرفتى بالحب . لم يتغير شىء عنك . كنت دائماً ـ وما زلت ـ مفاجأة . تفاجىء

بذكراك حين لا أتوقع ، تماما كما فاجأتنى بأول لقاء ، وكما فاجأتنى بآخر لقاء .

عام عشناه معا .

كنت فى العشرين من عمرى ، أكبرك بعامين . . وانطلقنا بسنوات عمرينا الصغيرة نكتشف الدنيا الكبيرة . عرفتك بعد تجربة لم تدخل أحلامى فى الحب ، فابتعدت . وكان الابتعاد ضرورياً « للاقتراب منك . معك ، عرفت أول حب حقيقى أسعد قلبى . أما أنت ، فلم تعرف امرأة قبلى . ولا تتصور كم أسعدنى هذا الأمر . شعرت أننى مسؤولة عنك وأمامك . مسؤولة عنك ، لأننى أكبرك . مسؤولة أمامك لأننى أعطيك لأول مرة صورة الحب مع المرأة وأتحمل وحدى تشكيل رغباتك الأولى . وأدهشتنى استجابتك ، وكأن ماضيك لم يكن إلا تاريخ حبك لى .

والآن يدهشنى تغير علاقتنا .

تدهشنى قدرتنا ـ بعد تذوق الحب ـ على الاكتفاء بالصداقة . يقولون : « قد تتحول الصداقة إلى حب ، لكن الحب لا يتحول إلى صداقة !! أعود متسائلة ، لم الدهشة ؟ . كنا منذ البداية استثناء ، فلم يدهشنى استثناء النهاية .

هل أعترف لك بشىء الآن ؟

فى كل مرة أفكر فى زيارتك ، تشملنى حالة انتشاء مقبل على الحياة . . وأستعد لرؤيتك كأول الحب بيننا . . الفرحة الطفولية فى خطواتى ، وبريق له كل الألوان فى عيونى .

شىء غريب حقا . فأنا مقتنعة بأن حبنا كان جزءاً من دورة التاريخ ، لن يعود . وسعيدة جداً بصداقتنا الجديدة . كما أننى بعدك أحببت . لكننى فى كل مرة لقاء ، أشعر بالحرارة نفسها التى احتوت حبى لك لم تتغير . . لم تخمد . كما أننى لا أزال أشعر بمسؤولية تجاهك . وأنت تعرف هذا ، فلا تتردد فى الاتصال كلما احتجت شيئا . ويسعدنى صوتك المنساب بين الحين والآخر : « دائماً ، فى أشد لحظات أزماتى لا أجد سواك يعطينى دون مقابل !!

زالت الحيرة بتذكرك . سأزورك الليلة . أعرف أنه وقت طويل منذ آخر لقاء ، لكننى لن أسمح لنفسى بلحظة تردد . لابد أن أراك الليلة .

أجرى إلى حجرتى لأرتدى ملابسى . وإذا بنفسى توقفنى وتسألنى : « ولم لا تزورين مَنْ تحبين ؟ لم لا تلجئين إلى ما يمثل لك الآن العشق والفهم ؟»

سؤال وجيه يا نفسى ، وأكثر وجاهة منه التوقيت . أنا لا أنكر أنه حبيب رائع . . متفهم . هو شاطىء ظللت طول عمرى أسبح ضد التيار بحثا عن رقة شمسه ونعومة رماله .

لكننى أبتعد حين يختل توازنى ولا أندم حين أقع دون أن يعلم . فى البداية أدهشنى ابتعادى . فالحب كما أراه مشاركة فى لحظة اغتراب أكثر منه مشاركة فى لحظة انسجام . كما أننى أربط بين الحب والمعرفة . لكن كل ما أفعله مع مَنْ أحب ، يناقض ما أؤمن به . . يناقض ما عشت أنتظره من الحب .

وقد أخذ الأمر وقتا طويلا ، حتى تلاشت الفجوة بين عقلى وسلوكى . اكتشفت أننى فى لحظات أزماتى ، أتعمد الابتعاد . لا أريد أن أخلق إدمان الاحتياج لأحد ، حتى لو كان مَنْ يعشقه قلبى ، بل بالذات معه . قد أتعب أكثر . . قد تستغرق الأزمة وقتا أطول . . قد أفقد أعصابى وحيويتى أكثر مما يلزم وقد تشل حركتى تماما . لكن كل هذا أهون عندى ألف مرة حين يختل توازنى ولا أجده . . أو أجده لكنه مشغول . . أو غير مشغول ولكن حالته أو مزاجه لا يسمح لاحتواء أزمتى .

هل باسم الحب أفرض عليه التفرغ لحالاتى الاستثنائية ؟ أيضا ، يخالجنى إحساس قوى أننى مهما أحببت ، سأعيش دون شريك . لذلك أنا حريصة على تدريب نفسى أن تكون ملجئى الأول والأخير . وفعلا لاحظت أننى اكتسبت مناعة داخلية ، أستطيع بها ـ أكثر مما مضى ـ عبور أزماتى وحدى .

شىء آخر يسعدنى فى هذا الحرص . اكتشفت أن ابتعادى فى لحظات أزمتى ، لا يبعدنا . بل أعود إليه أكثر اشتياقا . . أكثر ثقة فى نفسى . . وأكثر قدرة على الحب .

باكتمال ردّى على تساؤل نفسى المتكرر ، أكملت ارتداء ملابسى .

وبينما أستعد للنزول ، رن جرس الباب . توقفت ، ترى مَنْ يكون؟ مَنْ يزورنى دون موعد ؟ مَنْ يزورنى مساء الخميس ؟ لا أتصور أن يفسد أحد ماقررته الليلة . . لكن لم لا ؟ اليوم الخميس . . إذن كل احتمالات الدنيا واردة .

فتحت الباب وتجمدت للمفاجأة .

إنه هو . هو أمامى فى اللحظة التى تريده . . هو ، أمامى مساء الخميس . . هو ـ كعادته ، يفاجئنى . ما الأمر ؟ هل يشعر مثلى بكآبة غامضة ويحتاج وجودى لحل الغموض ؟ أهو الحنين إلى صداقة قديمة تعطيه لمجرد لذة العطاء ؟ أهى صدفة أن يتواجد قريبا من بيتى ؟ هل تكون زيارته الليلة بداية تغير إحساسى بيوم الخميس ؟ هل أحس أننى الليلة أحتاج صديقا ، فجاء يتأكد من إحساسه ؟ هل . . وهل . . تساؤلات سريعة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تنتقل من دهشة ملامحى إلى عينيه وتوقفت قبل أن تهتدى . . فهو لم يكن بمفرده .

بصوته الغائب عنى طويلا قال : « معى ضيفة » .

دعوتهما إلى الدخول . جلسا متقاربين بشكل يفهم منه أنها أكثر من ضيفة . قال : « أولا أعتذر عن المجىء دون موعد ، خاصة أن الليلة الخميس . لكننى حاولت الاتصال عدة مرات ويبدو أن . . قاطعته قائلة : « معك حق ، فالتليفون معطل منذ أيام » . نظر إلى الضيفة وبابتسامة رقيقة قال : « زوجتى . . مفاجأة ، أليس كذلك ؟» . فى الحقيقة فوجئت . ليس لأنه تزوج ولكن لأن زوجته تحمل اسمى .

أكمل حديثه : « تم الزواج منذ أسبوعين وكل شىء حدث بسرعة ، لم تكن هناك فرصة لإخبارك » .

قلت : « إنه حظى السيىء ، كنت أود الاحتفال بكما . . على كل حال مبروك » .

تكلمت الضيفة الحاملة اسمى ، وهى ترسل نظرة مشتاقة إلى صديقى : « هل تعرفين أنه كثيراً ما يتحدث عنك ؟ يقول إنك الوحيدة التى لا تسىء فهم كل ما يقول وما يفعل . لقد أصر على أن نزورك الليلة رغم أننا ما زلنا فى شهر العسل . لا أخفى عليك أننى شعرت بالغيرة » .

نظرت إلى الخاتم الذهبى اللامع فى يدها اليسرى وبابتسامة قلت : « لا أعتقد أنك ما زلت تغارين حتى الآن !! ابتسمت وهى تنظر إلى صديقى .

صمت يتنقل بيننا ونحن نشرب الشاى . بادر صديقى بقطع الصمت : « سنسافر غدا إلى الإسكندرية لتمضية بقية شهر العسل !! قلت : « الإسكندرية جميلة جداً فى الشتاء » .

نهضت الضيفة وأخذت تتأمل محتويات الشقة .

أنظر إليه أحاول أن أقول شيئا . . عيناه العسليتان لا تزالان تحتويان صداقتنا القديمة . فأتوقف عن المحاولة .

سألنى : « ما أخبارك ؟ ما الجديد فى حياتك ؟ إننى أتابع كتابتك بحرص شديد ، ليس فقط لأننى أحبها ولكنها تصبح عزائى الوحيد حين تطول فترة ابتعادنا . هل ما زلت فى مكان العمل القديم ؟ أتذكر رغبتك فى تكملة الدكتوراه ، فهل بدأت ؟ هل أحببت ؟ هل سافرت ؟ أشعر أنه يبذل جهداً فى طرح الأسئلة . . أقدر رغبته فى اختصار الابتعاد الطويل فى لحظات . لكننى ــ لا أدرى ــ لماذا لا أجيب . يكمل : « ماذا بك ؟ آه . . إنه صمتك القديم المعتاد . أعرف أن وراءه الكثير . تكلمى ، ما الأمر . . هل نسيت أننا أصدقاء ؟ وفى اللحظة الوحيدة التى أردت عندها الرد ، تأتى زوجته وتقول : أحسدك على شقتك ، كم هى رائعة » .

« شكراً » . أرد بحياد وكأن الأمر لا يعنينى .

أتركهما وأذهب إلى حجرتى . أمام المرآة أقف شاردة . لحظتها تمنيت لو كان فى مقدور المرايا أن تعكس ملامح الداخل بدلا من ملامح الخارج . أشعر بارتباك وفوضى فى عقلى . . لا أستطيع تحديد إحساسى . . لا أعرف ماذا سأفعل . يوم الخميس لم ينته بعد ، ما زالت كآبته حاضرة . . « والشىء غير العادى » أصبح صعب المنال خاصة الليلة . وبسرعة لم أتوقعها ابتعدت عن المرآة . . التقطت بعض أشيائى . . وضعتها فى حقيبة سوداء صغيرة ، وخرجت إليهما .

رأيتهما فى وضع متقارب ، ينظران إلى النيل . . حالة احتضان رقيق يعلن عن أشواق شهر عسل غير منته بعد . بهدوء حتى لا يلحظانى ، ابتعدت وأدرت موسيقى هادئة . وجلست على مقعد فى الصالة يواجه الباب الخارجى . بعد لحظات ، جاءا مبتسمين . قلت : «أعتذر عن النزول الآن . كنت أستعد للخروج قبل مجيئكما بلحظات . رجائى أن تبقيا هنا الليلة ولا داعى لأى نوع من الكلفة » .

يسألنى صديقى : « أحقا مرتبطة بموعد ؟ هل . . » . . قبل أن يكمل أرد مرسلة نظرة إلى زوجته : « بالطبع مرتبطة . هل نسيت أن الليلة الخميس ، ليلة السهرات ؟ إنه عيد ميلاد إحدى صديقاتى وسأضطر لقضاء الليلة عندها ، فهى تسكن بعيداً وسيكون أمراً مرهقا أن أقود سيارتى بعد الحفل » .

ترد زوجته : « لقد أحببت شقتك جداً . . فى الحقيقة هى مغرية » قلت : « أرجو أن تستمتعا فيها بليلة شهر عسل مختلفة . هذا أبسط احتفال يمكن أن أقدمه الآن » .

صديقى فى حالة صمت ، يخاطب ملامحى بشىء لم أرد التفكير فيه . بفرحة تقول زوجته « نشكرك كثيراً » ، «بالطبع ستكون ليلة مختلفة » . أقول بنظرة تنتقل بينهما : « لا داعى للشكر . إننى أنا التى يجب أن تقدم الشكر » .

لم أدع الدهشة تكتمل على ملامحهما وأكملت : « هذه الجدران التى تحاصرنى كل ليلة ، دائما باردة ، دائما صامتة . والليلة سيعطيها حبكما فرصة نادرة لأن يتخللها الدفء وأن تحاول الكلام . أشكركما لأن بيتى اكتسب أهمية أكبر من مجرد مكان يحتوينى . . أصبح فى ليلة شتاء شاهداً على ليلة حب » « آه . . نسيت . . أنت تعرف البيت جيداً وكل شىء موجود » . أقول بسرعة موجهة كلامى إلى صديقى الذى ما زال مصراً على الصمت المخاطب ملامحى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بشيء من السـرعـة . . ومن الارتبـاك ، ألتقط حقيبتي السوداء الصغيرة وأترك المكان ، قبل أن أسمعه يناديها باسمها فأخطيء وأعود .

هذا أول مساء خميس ، أجد نفسي وحدي في طريق لا اسم ولا هدف له .

أهو يوم خميس ككل أيام الخميس الماضية ؟ هل حقا وحدي ؟ أليس لهذا الطريق اسم أو هدف ؟ لماذا أسرعت بالخروج ؟ لماذا ارتبكت ؟ أين سأقضي ليلتي ؟ هل نسيت مفتاح الشقة في غمرة تسرعي وارتباكي ؟ هل هما سعداء الآن ؟ وماذا عنه ؟ هل يقلقه إسراعي بالنزول ؟ هل كان عليّ البقاء ؟ هل . . وهل . . تساؤلات ترافق خطواتي ، تداعب فكري غير المرتب وتمتزج بقطرات المطر التي بدأت الآن في السقوط .

وفجأة . . أوقفت خطواتي وتذكرت شيئا .

أول ليلة حب معك ، كانت في ليلة شتاء ممطرة . . وبالتحديد في « ديسمبر » . والليلة ـ يا للصدفة ـ بعد فترة طويلة ـ « ديسمبر » يعود . . أنت موجود . . والمطر موجود لكن المرأة مختلفة .

كم تغير يوم الخميس ، وكم تتغير الدنيا .

ولكن هل تتغير كثيراً ، وهو الآن لا يستطيع أن يهمس لها بأي كلمة حب ، إلا وبين شفتيه اسمي ؟!

القاهرة : منى حلمي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فوزية رشيد

قصة البحر

لم يكن بحراً ، كان مملكة أحلام تلعب الجوارى على شطآنه ، تمتزج به ألوان الطيف فى انسياب بلّورى رائع وتلتمع رماله بالأسهم الضاربة بصدرها القرص الأحمر وكأنها خيوط حريرية لامعة ذات وهج غريب ، أو أنامل حسناء أسطورية الجمال تداعب رمال الشطآن بحنوٍّ بالغ .

كنا أنا وهى ، قريبتى تلك التى تأتى مع أمها من مكان بعيد . اسمها أمينة وأسميها (أمون) . نهرب معا من عيون الأهل ومن أحاديثهم والرقابة . نلتقى فى نفس المكان كل مرة . فى الجانب الشرقى للبحر . خطوتان ونواجه البوابة الكبيرة للبيت الكبير حيث يعيش حشد من الآباء وزوجاتهم والجدة والجد الأكبر وعدد لا يحصى من الأحفاد .

كنا نختلى بأنفسنا إلى ذلك الفناء الواسع والأعشاش المتناثرة هنا وهناك . تختلط أصواتنا بأصوات البقر والماعز والخرفان وتختلط ضحكاتنا بصياح الديوك والدجاج . نقلد مشية البط ويقبقتها مرة ، ومرة أخرى مشية الفراخ الصغيرة . أحيانا تسقط فى بركة الماء فنتحاشى رشق الطيور وأحيانا تتدلى أرجلنا فوق حواف عشة نبحث فيها عن البيض الدافىء وهو خارج لتوّه إلى الحياة .

كنا ننزوى مع أطفال صغار مثلنا ونخرج علبة قديمة تحوى أشكالاً من الخرز الملون وحبات اللؤلؤ ثم نبدأ لعبة الرمل أو (اللكفة) وبحركة دائرية تتحرك كومة رمل صغيرة ممتلئة بالكنز الملون وتقسم إلى دائرتين . يعلو صراخنا :

هذه . لا . . لا . . تلك ! للأسف خسرت (أمون) وخسرت اللعبة معها .

كنا معاً . وكنا ننسى مرارة الفشل سريعاً بمجرد أن نبدأ العابا أخرى : (المعكير) و (النيلة) أو (الحبل) . أشياء وأشياء تتلاحق ونحن متجهمون أو فرحون وكأننا فى معركة كبرى يتسابق الكل فيها لشرف الانتصار .

لم يكن بحراً كان مملكة أحلام .

أنا وهى أو هى وأنا . لا فرق . يمتزج الحضوران وتشع البراءة . تكبرنى بعامين أو أصغرها بعامين . لم تكن السنين مشكلة . أنظر إلى عينيها فأرى البحر والبحر واسع وزاخر وحلم . أتساءل بسذاجة :

ــ هل سيظل البحر كبيراً أم أنه سيهرم ويعمر مع الأيام مثل الجد الكبير .

تكتفى بالنظر إلى وجهى وتبتسم ثم تشير إلى أن ألحقها دون كلمة .

وأنا بدورى انسى السؤال ونبدأ نلاحق السراطين الصغيرة وهى تقاوم الأمواج أن تجرفها فتختلس الجزر المباغت وتختبىء سريعا فى جحورها الآمنة .

آنذاك نبحث عن شىء آخر . نمسك بنجمة بحر تهديها إلينا الأمواج ونبحر معها خلف أفق السماء المشتعلة ساعة الظهيرة .

الزوارق المنتشرة تمتطى أمواج البحر الواسع . تفتح أذرعها

تدعونا للرحيل إلى الموانىء الأسطورية أو البقاء . لكننا نبقى ونغطس وتغطس معنا كركراتنا الصغيرة ونحن نقطع مسافة الماء تحت الزروق . من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين . من يخرج أولاً يفوز . بماذا ؟ لا شيء غير الفرح الداخلي والسكون ومايو حي به البحر من كبرياء وجبروت .

في الجهة الشمالية تمتد غابات النخيل الداكنة الاخضرار ، تحيط بجزيرة نائية . قال أبي : الرحيل إليها لا يكون إلا بالزوارق الكبيرة .

كنا نعرف تلك الجزيرة ونسميها جزيرة الطيور المسحورة . بعدها عرفنا أنها مليئة بالسلاحف والطيور الملونة .

(أمون) قالت مرة :

ـ في يوم ما سنخترق حوافها وسنلهو حتى الشبع . رغم ذلك كنا نخاف أن نتجاوز المسافة إلى هناك . الزورق آخر المطاف بالنسبة لنا . نرى من فوقه صورنا المتهدجة بخيوط الحرير الأحمر وبأعشاب البحر الخضراء .

كنا نخاف على البحر ونخاف على فرحنا من شيء مبهم . ربما ذراع أمها الذي يأتي آخر النهار ليأخذها إلى المدينة البعيدة فأظل طوال الليل أنوح ألم الافتراق وأنوح الفرح الذي مضى سريعاً .

مغرمة بي . مغرم بها . مغرمان بالبحر وبالقطن الأبيض المشع في السماء .

وقبل أن أنام أتساءل بسذاجة :

« هل سيهرم البحر ويعمرّ مع الأيام كالجد الكبير ؟ » .

* * *

وقفت سيارة مرسيدس سوداء . خرج منها أربعة رجال . دخلوا البيت عنوة . كسروا الشبابيك . فتشوا الغرف واحدة تلو الأخرى وبعثروا الأوراق كلها . لم يجدوا سوى البحر وقرص أحمر يشق المياه كأيقونة قديسة تتجاوز به خوفها وسط المجهول . تسمرت أمي طويلا وهم يسألونها :

ـ أين ذهب ؟

ردت بخوف

ـ خرج ومعه علبة الخرز الملونة .

قالوا :

ـ بل علبة ألوان

ثم فتشوا مرة أخرى ولم يجدوا سوى أشجار النخيل المتعانقة ورسما طفوليا لبوابة كبيرة . قبل أن يخرجوا لم يفتهم أن يمزقوا كل الأوراق والبحر والنخيل وصورة البوابة .

مرة وقفت خلف الشاطىء المسحور بأسراب النوارس البيضاء . لا يزال البحر كبيراً ولكني هذه المرة أمشي وحيداً أبحث عن كنز الذكريات . (أمون) ليست معي . كبرنا ودخلت الأعراف بيننا . لم تعد أمها تأتي بها . اعتدت الآن أن أراها وحيدة وأن أرى وجهها الترابي يشيح .

صرت كل يوم أقف خلف البحر . هو يركض وأنا أركض خلفه والمباني الصغيرة والأخرى الشاهقة تركض خلفنا . صرت أركض والزوارق تركض أمامي والشواطىء تترك حدودها وترسم حدوداً بعيدة .

اختفى البيت الكبير . اختفت البوابة . لم أعد أرى الفناء الواسع ولا أعشاش الطيور الوديعة .

في الليل صرت أصعد إلى السطح تحيط بي أضواء العمارات الشاهقة وهي تلف المنطقة . لم أعد أسمع أمواج البحر . لم أعد أرى أمون .

أتمدد فوق فراشي وكابوس وحيد يتكرر .

كل شيء يكبر وأنا أصغر وأتلاشى وأركض خلف البحر الذي يركض بدوره أمامي .

لم يكن بحرا كان حجارة .

* * *

صرت أسير وحيدا أبحث عن طفولتي فتتساقط كل يوم نخلة . صرت أبحث عن (البحر والبحر) فلا أجد غير بيت كبير يطل من فوق رابية عالية . أشبه بقصر ساحرة يمتلىء بالأنوار المتلألئة ولا يعيش به سوى اثنين : رجل ورجل .

لم يعد بحرا ، كان يتضاءل .
لم يعد بيتا ، كان سجناً كبيراً .
لم تعد طفولة ، كان حلما ممنوعا .

* * *

تقف سيارة مرسيدس سوداء . يخرج منها أربعة رجال . يدخلون البيت عنوة . يكسرون الشبابيك . يفتشون الغرف واحدة تلو الأخرى . يبعثرون الأوراق كلها . لم يجدوا سوى البحر وقرصاً أحمر يشق المياه كأيقونة قديسة تتجاوز به خوفها وسط المجهول تسمرت أمي طويلا وهم يسألونها :

ـ أين ذهب ؟

ردت بخوف :

ـ خرج ومعه علبة الخرز الملونة .

قالوا :

ـ بل علبة ألوان !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يفتشون مرة أخرى . لم يجدوا سوى أشجار النخيل المتعانقة ورسما طفوليا لبوابة كبيرة . وقبل أن يخرجوا لم يفتهم أن يمزقوا كل الأوراق والبحر والنخيل وصورة البوابة ويرسموا مكانها بنوكا وأحفادا وعمارات ومخبرين .

* * *

فى الجهة الشمالية تمتد غابات النخيل الداكنة الاخضرار . تحيط بجزيرة نائية . أبى قال : إن الرحيل إليها لا يكون إلا بالزوارق الكبيرة .

كنا نحب تلك الجزيرة ونسميها جزيرة الطيور المسحورة .

(أمون) قالت مرة :

فى يوم ما سنخترق حوافها وسنلهو حتى الشبع .

اخترقت المسافة . كنت ، وحدى .

أمى خائفة ، وأنا فى الجهة المقابلة . فى تلك الجزيرة النائية أشير إليها وأضحك .

لازلت أرسم البحر والنخيل وأبحث عن وجه (أمون) .

لازلت أبحث عن البحر الذى كان بحراً وصار مملكة حجارة .

البحرين : فوزية رشيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبد الرؤف ثابت

قصة

العيون الخضر

القطار ينطلق مسرعاً . كل دقيقة تبعدنى عن فيفى . أشعر بالأمان ولا أزال ألعق جراحاً ساخنة . ربما هذه نفس المقصورة التى جئت بها من أسوان . من ثلاثة أشهر . تركت الرياسة قبل عودة جمال وفيفى .

سيمر صيف طويل وينقضى ، ويعقبه شتاء قصير وينتهى عام ، وقد أحظى بعد طول الانتظار بالترقية . غرمت فيها الكثير . هل أعود بالترقية إلى القاهرة ؟ لا . . أبداً . سأعارض فى نقلى حتى لو فقدت وظيفتى . الأعمال كثيرة لمن فى مثل سنى وخبرتى .

ستقول زينب عندما ترانى بالبدلة المستوردة « والكرافات » الحرير « السولكا » ؛ تغيرت . وأهمهم كعادتى فلا تسمعنى ؛ غيرتنى تجربة . .

إيقاع العجل على القضبان يهدهد حواسى . يعيدنى لذكرياتى

وهل أنسى أول لقائى بها . وقفت والمساء أنتظر المصعد من طابق الرياسة كان قد مر اسبوعان على انتدابى . عملت فيهما عملا شاقا متواصلا حتى تسلل الملل والتوتر والحرمان إلى نفسى . ترفقت بى القاهرة نهاراً ولكن لياليها أكثرت من وحدتى .

وأخيراً جاء المصعد وفيه فوقية (فيفى) . وضح أنها كانت تحتجزه . اعتذرت بلهجة تفيض رقة وعذوبة لا تجيدها إلا هى ؛ آسفة جداً والله .

تلاقت عيوننا وتراضت . خلتها فى معطفها الأدكن وقوامها الفارع « سوزى » عروس منى التى تحتفظ بها منذ طفولتها . أغلقت الباب وضغطت على زر الهبوط ، فهبطت بنا عربة الرغبة اثنى عشر طابقا .

لم نبتعد بعد أن غادرنا المصعد إلى البهو الرخامى الفسيح . سرت وكتفى فى كتفها أتنسم عطرها الخفى حتى مررنا من باب العمارة الموارب إلى برودة الطريق . تذكرت الليل الطويل فى انتظارى فلملمت شجاعتى وسألتها ،

ــ الهانم عندها سيارة ؟

علمت ونحن فى الطريق أنها السكرتيرة الخاصة لصاحب الشركة . تجيد ثلاث لغات وتكتب على الآلة . قالت :

ــ بسرعة ثمانين كلمة فى الدقيقة . وأحيانا مائة . . حسب المزاج . تقيم مع أنّا (جدتها) ، لطلاقها . وعندها علاء ، روح أمه ، فى البحرية التجارية . تذكرت مكانتى فى الشركة والغرض من وراء انتدابى فلزمت معها حدود الأدب والمجاملة .

ودّعتها أمام بيتها فى شارع البستان وأكملت طريقى مرحاً إلى ماسبيرو وأنا أدندن .

وكيف أنسى جمال خورشيد . إنه غاية فى الأناقة والظرف . اعتاد حياة الترف والأبهة . ليست المصرية فيه خالصة ، فهو أشقر ، متورد الخدين . أخضر العينين ، ناعم الشعر وقد تدلت خصلة منه على نصف جبينه فزادته بهاء . يجيد فن

الإصغاء وينتقى كلامه . خبير بعالم المال والأعمال ، عليم بأسرار شركات الاستثمار . أشعرنى من البداية أن علاقتنا شبه رسمية . هو المدير المالى للشركة . ولم ألبث أن تحققت من الفارق بينه وبينى . . وأنى لا أستطيع أن أعلو علوه .

كان مطلّقاً ، وكانت استراحة ماسبيرو كلها له إلا فى الفترات القليلة المتباعدة التى ينزل عليه فيها ضيف من ضيوف الشركة أو زميل مثل منتد ب فى الرياسة لذلك سُمح لجمال بالإقامة فى الاستراحة إقامة دائمة . وما كنت أراه فيها إلا نادراً . كان كل واحد منا فى شأنه وما يعنيه .

لم تكد فيفى تغيب عن خيالى حتى فوجئت بها تدخل علىّ مكتبى . اختلقت عذراً ، فأتيت بآخر لأبقيها قليلا . أخذت أدور وأوارى معها بالكلام حتى قبلت دعوتى للعشاء قالت وعيناها تشعان غزلاً ،

ــ هذه أشياء لا تشجع عليها الرياسة يا أحمد بيه !

ولكنها اقترحت أن يكون العشاء فى بيتها . . بعيداً عن العيون .

ذقت ليلتها طعم الكلاريت لأول مرة . أدار رأسى من الكأس الثانى . قالت فيفى إن النبيذ لزوجها . لا تحب شرب الخمر ولكنها شربت معى نخب تعارفنا . راحت تسألنى بعد العشاء عن حياتى وعملى فى أسوان حتى ردت إلى هدوئى واستعدت ثقتى بنفسى .

ثم فجأة غيرت مجرى الحديث وقالت ،

ــ وماذا تفعل بكل اللاتى توقعهن فى حبائلك ؟

أسقط فى يدى . فلم يتصيد ابن السابعة والثلاثين امرأة قط اللهم إلا زوجته ولكن عبارة سمعتها من جمال أسعفتنى ،

لا أسمح لامرأة بالتحكم فى عواطفى .

بدا أنى لم آت بجديد . قامت تحمل علىّ وجلست بجوارى على الأريكة ذات المكانين ، ثانية ساقها تحتها ومسندة ذراعها العارى على ظهر الأريكة .

احتوت كيانى . قالت .

ــ ما الذى يعجبك فى النساء ؟

فى هذه المرة نظرت إلى عينيها أستلهمهما الجواب . وجدتنى أسألها ،

ــ عيناك جميلتان . ترى ما لونهما ؟

ولابد أنى بدوت فى نظرها ساذجاً . ما أن سمعت سؤالى حتى أطلقت ضحكة طويلة مجلجلة رنت فى جنبات الصالون ونفذت إلى أعماقى . كادت تفقدها توازنها فتشبثت بى . قالت وهى تدنو بوجهها منى حتى كاد أنفينا أن يتلامسا ،

ــ خضرة . . عنيه خضرة . يعنى أنا بقه عمتك خضرة ،

القطار يتحرك من محطة الأقصر . أيقظنى صوت أحد المسافرين يصيح على ولد افتقده فى القطار ؛ يا واد يا شفيح . يذكرنى الفجر الذى يترأى لى فى الأفق البعيد عبر النافذة بميعاد خروجى من بيت فيفى . فى تلك الليلة خجل الفجر الناعم من فعلتى . تذكرت صوت زينب تقول لى وهى تودعنى فى أسوان ؛

لا تغوينك بنات القاهرة .

ما من خطيئة إلا ولها ما يبررها . لم أجد لخطيئتى مبرراً أو أوجدته أول وآخر مرة أقسمت ألا أعود لعمتى خضرة

ولكن توبتى لم تطل . طلبتنى على الخط الداخلى قبل عطلة نهاية الأسبوع دعتنى لزيارتها حتى تؤنس وحدتى وحدتها . ذهبت ليلتها . وليال بعدها حتى اعتدت على زيارتها . فهمت ألا أزورها إلا إذا دعتنى .

خلعت على فى أسابيع قليلة حبا وحنانا ما لم أتوقعه أو أحظ به طول حياتى . غيرت من مظهرى حتى أكون لائقا بدرجة المدير المرتقبة . كنت أحمل إليها مشاغلى ومتاعبى فتنصت إلى ولا تقترح حلولاً وأسخو بنصائحى ومعونتى . إلى أن تعلقت بها وطلبت أن أتزوجها . قالت ،

ــ لا تكن سخيفاً فتفسد كل شىء .

أبطأ القطار فى طريقه الضيق بين التلال . أشعر بالجوع يعتصر معدتى .

لا أذكر أنى تناولت وجبة منذ يومين . يحسن بى أن أقوم وأحلق ذقنى وأصلح من ملبسى وأذهب إلى عربة الأكل .

المناظر على الجانبين تتحرك من خلفى إلى أمامى عبر النافذة المنخفضة ، أدفع الحساب للجارسون بعد أن وضع أمامى فنجانا آخر من القهوة .

لا أدرى كيف كان جمال هناك دائما . فى الشركة . . فى ماسبيرو . . كما فى شقة فيفى . وكأن عينه كانت على تراقبنى . ألم أتمنَّ أن أعلو علوه !

كان الحديث بينى وبين فيفى يتطرف أحيانا إلى ذكر جمال ، كانت دائما تذكره بإعجاب . قالت إنه مطلق وله ولد يدعى علاء . أوجست أن تكون عين فيفى على جمال . ثم امتدت بى الهواجس حتى خيل لى أن عين الزملاء كلها علىّ .

وجاءت النهاية بغير توقع . قالت فيفى ،

ــ بعد يومين ، أول الشهر ، أسافر إلى الاسكندرية لأقضى مع علاء ابنى أسبوعاً أكبرت فيها أمومتها . وعدتنى أن تتصل بى بمجرد عودتها . لأنها لن تطيق فراقى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فى اليوم التالى لسفرها عدت إلى ماسبيرو مبكراً على غير عادتى . كنت أشعر بإجهاد . رأيت جمال فى الصالون فانضممت إليه . تبادلنا أحاديث مقتضبة . وفجأة قال جمال على طريقته ، وكأنه لا يعنى أحداً بما يقوله ،

ـ لا توجد درجة مدير شاغرة فى الوقت الحالى . ربما بعد عام عندما يتم الاتفاق على المشروع الجديد .

ولم يكد جمال ينهى عبارته حتى رن جرس التليفون رنينا متصلا زاد من انخفاضى . . أمس سافرت فيفى واليوم طارت الدرجة . ولم ينته الرنين فى أذنى حتى دخل علينا محمد الفراش يغالب ضحكه بين شدقيه . اتجه نحو جمال وقال له .

ـ جمال بيه . . فى واحدة ست طلباك من الإسكندرية . . بتقول إنها عمتك خضرة .

زوجتى والأولاد فى انتظارى على محطة أسوان .

تقول لما وقعت عيناها علىّ ،

تغيرت يا أحمد .

القاهرة : عبد الرؤوف ثابت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة

موت الأحد

نظر إلى سقف الغرفة ، وكان قد انتهى من إحداث شق طولى فى ملاءة السرير . لف قطعة القماش فى يده ، فبدت كدوبارة طويلة سميكة ، شدها بين يديه ليتأكد من قوتها ، ثم أدارها على شكل أنشوطة وربطها ليصنع منها مشنقة ، ثم أحضر كرسيا ووقف فوقه ، وربط طرف القماش فى السلسلة الحديدية المدلاة من السقف والتى تحمل اللمبة « الفلورسنت » . نزل من فوق الكرسى وتأمل ما فعل فى صمت وحزن بالغين ، فبدا كفنان تشكيلى يلقى نظرة على لوحة رسمها وهو يرتاب فى أن يفهمه الناس كل الفهم . وألقى نظرة الى صوان الكتب فى ركن الغرفه . ها هو غريب كامى يبتسم فى وجهه كأنه يشجعه . وكلب كافكا غارقاً تماماً فى الدفاع عن نفسه فى محاكمة غير مجدية . ألبير كامى يقف فى سلام بجانب سارتر . صورة الطيب صالح تذكره بملامح مصطفى سعيد . كتبه تجاوزت المائة بقليل ، أو أصدقاؤه كما يسميها . كل شىء لا يهم الآن فلا داعى للحزن . هو يعرف أن أيامه القادمة ليست خيرا من الفائتة . فلتكن النهاية . وما الحيلة فى مجتمع تبدأ به السفلة أعلى المناصب وبقى هو بلا دور ولا هدف . الانتحار جريمة ، ولكن انتظار الموت هو الموت نفسه . فليصل بحياته الى النهاية . لقد عاش بطريقة معوجة وأحرى به أن يموت بطريقة معوجة أيضا . لطالما تمنى أن يموت داخل مكتبه لكى يحس بتفاهة ما عاش من أجله . رجع قليلاً الى الوراء . الجامعة . الفلسفة دليلك إلى الثقافة ، وكلية الآداب منتهى أملك منذ كنت طفلاً . والأحلام التى راودت خياله عند باب الجامعة وانتهت بعد تجاوزه بقليل ، فضاق الصدر بما يحمله . ولم يبق الا الموت . ها هو وحده كما كان دائما ، فقدت أحلامه الماضية ظلالها الجميلة . قرأ كثيراً وفكر كثيراً ، ولكنه لم يكتب إلا ثلاث قصص قصيرة . وفى الدرج مشروع لمسرحية وإهداء لرواية لم تكتب (إلى عشاق الكلمة ، سعداء الأرض) . سوف يتخلص الآن من كل هذا ، كما تخلص من أحلامه بعد أن بعث بإحدى القصص الى إحدى المجلات فسرقها ساعى البريد ، ولم يكرّر المحاولة . ها هى « صفاء » لا تكاد تظهر عند باب الجامعة حتى يلتفت اليها الطلبة والطالبات للشبه الكبير بينها وبين مذيعة فى التلفزيون ، الشعر القصير والوجه المستدير وغمازتان بجانب الفم تظهران بوضوح عند الابتسام . تركها بعد المقابلة الأولى وهى تود أن تقتله وهو يود أن يقتلها إثر لقاء عاصف حول الفن والأدب .

قالت : فى رأسى الآن موضوع قصة شائق

قال : عن ماذا ؟

قالت : عن شاب أحب فتاة ثم . . . .

أوقفها بإشارة من يده وهو يقول : أما زال هناك شىء لم يكتب عن الحب ؟

قالت تستفزه : عن أى شىء تريدنى أن أكتب أيها الأديب ؟

قال بصدق : اكتبى عن الكره !

ثم كانت نزهات النيل وحديث السياسة والأدب والشعر والحب . آه يا رفيقة عمرى . سيمون دى بوفوار وسارتر .

صفاء وعبد الله . سارتر لا يعيش إلا ليكتب . عبد الله لا يعيش إلا ليقرأ . عبد الله طفل الرواية المدلل . عبد الله لقيط الرواية . الرواية الجديدة بدأت مع عبد الله . رواية يقرؤها علماء الاجتماع فيجدون فيها ضالتهم ، ويقرؤها علماء النفس فإذا بأبواب جديدة تفتح لهم ، ويقرؤها عامة الناس فيعيدون ترتيب أشيائهم . بقى هو مع أحلامه عن رواية لم تكتب من قبل ، وسبقته هي فى الدراسة وبالتالى الى التخرج والوظيفة . ثم جاءت يوماً لتسلم على الصحاب وفى يدها خطيبها . والحب الذى كان يستطيع تحطيم كل شىء ، أصبح عاجزاً حتى أن يعبر عن نفسه فى ظل وجه كوجه أنثى ، عينان عسليتان رائعتان ، وشعر أسود منسق وشفاه لم تعرف الجوع ، ونظراتها له من بين الصحاب تحمل الاعتذار لا الحب ، فلم يعرف الحب بعد ذلك . وضحك كثيراً وهو يضاجع امرأة ، فبصقت فى وجهه وطردته من البيت ، فبعثر ضحكاته على السلم ، السخرية التى احملها لكم يا نساء الأرض لا تطاق . الآن سوف ينتهى الألم . وسوف يتخلص نهائياً من سخافات الأب وحديث ممل عن الزواج والأولاد . وبكاء الأم الذى لا معنى له . وتحذيرات مدير المدرسة التى يعمل بها .

ـ أنت تكثر من الغياب كما أن الطلبة لا يفهمون حرفاً فى الفلسفة .

خمسة وعشرون جنيها لشرح الفلسفة ، سعر مناسب . انتهى بك المطاف لأن تكون مدرساً . أحلامك الآن لا تسطيع أن تنفذ . . . عبر سور المدرسة . وبقى تساؤل . « ما هى التعويضات التى تقدم لمثلى » . ومن خلال ضباب أفكاره تراءى له الأب فى ركن الغرفة ، بنفس الوجه الخالى من التعبير ، والذى لم يتغير على مر الزمن . لم يفهمه أبداً ، ولم يحبه أبداً . وكان الأب دائم السخرية من مشاريعه أو أوهامه كما دأب على تسميتها . وكان الإبن يردد دائماً بينه وبين نفسه « إن هذا الرجل حطم حياتى ، بتسلطه ، وبمحاولاته المستمرة أن يفكر لى » . تأملت عينا الأب الغرفه فى نظرة شاملة ، وتوقفت على ما تبقى من الملاءة المكومة على السرير ، ثم ارتفعت الى سقف الغرفة ، فأدرك الأب ما عزم عليه الإبن ، فابتسم جانب واحد من فمه . قال : ما الذى فعلته بالملاءة ؟

ـ هى كما ترى صنعت منها مشنقة .

ـ أو لم تجد غير الملاءة لتصنع بها ما صنعت ؟ ثم أردف قائلا : لو طلبت منى حبلاً قوياً لأحضرت لك .

فقال الإبن وهو يشير إلى صوان الكتب : سوف تجد هنا كتبا تستطيع أن تبيعها ، وتشترى ملاءة جديدة .

نظر الأب بتشكك إلى الكتب ثم تساءل : وهل سأجد لها مشترياً ؟

فرد الإبن يتأكد : بالطبع فمن يجمعونها كثيرون .

فانبسطت أسارير وجهه ، وتلاشت صورة الأب من ذهنه كما تلاشت ابتسامته الساخرة . صعد الإبن فوق الكرسى ، وأدخل رأسه فى الفتحة ، وشعر أنه قادم على خطوة مستقبلية ، فالموت بداية لأشياء جميلة جديدة وابتسم بمرارة ، وراوده خاطر أن يبصق قبل أن يموت ولكنه اثر أن يموت بلا ضوضاء .

وتمنى أن يرى الشمس لآخر مرة . ولكن الوقت كان ليلا .

سقط الكرسى على أرض الغرفة ، فأحدث صوتا خدش صمت الغرفة .

القاهرة : طلعت فهمى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمد محمود عثمان

قصة

الحكايات القديمة

(١) الحكاية الأولى :

كنا نجلس فوق السطح كعادتنا كل مساء . .

نرتقى درجات السلم القليلة بعد أن تمتص الأرضية الترابية المياه التى تحرص أختى الصغيرة على نثرها بعد الغروب لتلطف الوهج الذى خلقته الشمس . وكانت تقوم بذلك عندما تقع عيناها على أول نجم يظهر فى السماء . حينئذ تتأكد أن الليل قد حل . .

نشعل لمبة الجاز ونتاول عشاءنا . وتحت الضوء الواهن كانت تبدو حكايات أمى مثيرة . كنا نتمثل أحداثها فى خيال جامح .

وكانت أمى تنهى حكاياتها بكلمات فهمنا مغزاها على مر الليالى إذ كانت تقول « توتة توتة فرغت الحدوته ، حلوة ولا ملتوتة » . فإذا قلنا (ملتوتة) تقول : عليكم إذن حدوته . وإذا قلنا (حلوة) تقول : كفى وغدا أحكى لكم حكاية أخرى . وكانت تنضم إلينا فى بعض الليالى ابنتا الخالة . وكانتا تحفظان أيضا حكايات كثيرة . وكانت أمى تطلب منهما أن تحكيا لنا لتستريح هى قليلا . .

فى ذلك المساء . بعد أن فرغت أمى من حكاياتها رفعت يديها إلى السماء ، دعت لنا بالنجاح والستر وبينما هى تختم دعاءها بالصلاة على النبى برق فوقنا ضوء ذهبى شديد اللمعان ، أفزعنا فتصايحنا وتدافعنا وكل منا يحث الآخر على الجرى والاختباء . .

كانت أمى ترتعد وتتلعثم وهى تتحدث بعد أن هوت أجسادنا المرتجفة فوق أرضية الغرفة . تجمعنا حولها وبدأت الهواجس تتقافز إلى رؤوسنا والدموع تتجمع فى أعيننا وخلفها كانت تتوه النظرات . رفعت أمى يدها وأشارت إلى فمها . أسرعت أختى الصغيرة وأحضرت كوبا من الماء . التقطته أمى ورشفت منه ثم هدأت قليلا . سألناها متتابعين هل تحس ألما فى جسدها هزت رأسها بالنفى . اتكأت على ساعديها وزحفت إلى الخلف ثم أسندت ظهرها إلى الحائط وفى حزن بالغ قالت : « طاقة القدر » . صحنا جميعا وقد علت وجوهنا الدهشة : «طاقة القدر » ! . ردت أمى ونبرة الحزن مازالت تمتزج بكلماتها : « نعم طاقة القدر . جدتكم حكت لى عنها كثيرا وقالت إنها ضوء ذهبى يشع فى السماء بلا صوت . تظل فترة ليقول المرء لحظتها كل ما يتمنى . » . قلت لأمى بسرعة : « لكن كان لها صوت » . فى ضيق ردت أمى وهى تدور بعينيها علينا : « لا لم يكن لها صوت » . لم نتفوه حتى لا نغضبها وارتسمت على وجوهنا تعبيرات كثيرة . كان أقلها الدهشة وأكثرها وضوحا التوجس .

(٢) الحكاية الثانية :

فى البلدة المجاورة لنا سطع نفس الضوء الذهبى فأثار الأسطح والشوارع واخترق الفتحات والشقوق إلى مداخل البيوت الطينية . تدافع الناس إلى الخارج وهم يتصايحون رفعوا أبصارهم إلى السماء . كانت الأنوار مازالت تلمع : أشار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعضهم إلى شيء ضخم زاهى الألوان يتحرك باتجاه الأرض . خفقت القلوب بشدة وارتجفت الأجساد . وحين استقر الشيء الضخم بجوار البيوت المتلاصقة تبينوا أنه صندوق لم يروا مثله من قبل . بدأوا يحومون حوله فى قلق . همس أحدهم والارتعاش يهز جسده . « يبدو أنه من طاقة القدر . اتسعت الأعين ، ترنحت الرؤوس ثم صاح رجل آخر بأعلى صوته : نعم من طاقة القدر ، ألم تروا الضوء الذهبى ؟ » انفرجت الأسارير وتسارعت الأقدام إلى الصندوق ثم تدافعت الأجساد اللاهثة فوق الأقمشة التى تكسوه ، وبدأت الأيدى تنهش الأثواب الناعمة الملمس . هامت بالرؤوس التصورات المتواضعة . فستان . . قميص نوم . . وجه صديرى . . من بين الأجساد المتلاحمة امتدت أيد كثيرة لم تجد أثراللأقمشة . همَّ البعض بنزع السطح الخشبى ، فشلوا . أعادوا المحاولة كانت الأضواء قد خفتت وشيئا فشيئا اختفت تماما فوق الرؤوس مع آخر محاولاتهم المستميتة لفتح الصندوق . على البعد التقطت الآذان بصعوبة صوت شيخ الخفر وهو يقترب زاعقا : «أبعِدْ منك لُهْ» . اختلط بالحشد الذى بدأ يتذمر من حوله . صرخ ثانية : «عيب عليكم !» « زعق أحد الرجال » «ياشيخ الخفر ربنا أرسله لنامن طاقة القدر » انضم إلى رأيه آخرون . وقبل أن يعيدوا محاولة فتح الصندوق شهر شيخ الخفر بندقيته وأطلق عيارين ناريين فى الهواء ثم صاح «ابعِدْ انتَ وهوَّ» بدأ الناس أمام تهديدات شيخ الخفر ينسحبون ويتناثرون فى جموع قليلة بالقرب من الصندوق . تقدم شيخ الخفر بثبات وزهو إلى الصندوق جلس فوقه أمسك بندقيته بيد بينما راحت الأخرى تتحسس الصندوق . أخرج من جيبه كشافا كبيرا سلط ضوءه على السطح الخشبى ، رأى خطوطا متشابكة لم يستطع تفسيرها ، توقفت عيناه عند نقش صغير أسفل الخطوط ، انتعشت ذاكرته قليلا ، دقق النظر فى الشكل الذى أمامه ، قارنه بالذى ألف رؤيته . . كان للنجمة السوداء التى يراها ذيل زائد . . مرّ بأصبعه عليها ليتأكد من أن للنجمة ستة ذيول وليس خمسة . لوى شفتيه . أطفأ الكشاف ووضعه فى جيبه .

تأرجح شعوره بين التوجس والفرح . نظر إلى الجموع المترقبة قال بنبرة لينة « إن شاء الله خير » وأسر فى نفسه : ربما من طاقة القدر كما يقولون « بدأت الهمهمة تزداد حوله . صاح فيهم :

« كل واحد إن شاء الله له نصيب،الصغير قبل الكبير ، لكن بعد حضور البيه المأمور . . المهم النظام . . احنا فى خدمة النظام » . . . نادى على رجل قريب منه أمره أن يذهب إلى المأمور فى استراحته ويخبره أنه يقف حراسة على الصندوق . . وأن التمام سيكون أمام سيادته فى ذلك المكان . قبل أن يستدير الرجل دوت انفجارت هائلة وتوهجت السماء بألوان نارية وغطت المنطقة الأدخنة الكثيفة . فى نفس اللحظة تطايرت الشظايا المشتعلة فى كل اتجاه . حاملة معها الاشلاء ونتف الأقمشة الحريرية المحترقة التى ما لبثت أن استقرت متفحمة داخل الفجوة العميقة التى أحدثها انفجار الصندوق . . .

(٣) الحكاية الثالثة :

بعد خروج إخوتى لتحصيل دروسهم أحسست بضيق وهم مفاجيء . ألقيت بما فى يدى وأسلمت قدمى لدرجات السلم التى أحفظها جيدا . رأيت أمى تجلس على عتبة الدار وقد أمالت رأسها باستسلام كامل إلى الجدار . كانت تدندن بعض كلمات عن الصبر . حين أحست بوجودى صمتت . بينما كفها تلامس رأسها برفق . قلت لها لأقترب مما يجيش بداخلها « ماذا بك ياأمى ؟ » مصمصت شفتيها ، تنهدت ولم تتكلم . قبل أن أهم بالحديث مرة أخرى رأيتها قد رمت بنظراتها بعيدا ، حيث يتمدد ذلك العنيد بسطحه المتماوج قلت لها والماضى لغم لم تحط شظاياه بعد « ألم تنسى » . . أشارت ألا أكمل اقتربت منها وقلت : « وماذا بعد ؟ » . . هزت رأسها ثم قالت وعيناها تتغيبان : « النسيان صعب ياولدى » . قلت على الفور « تعذيب النفس أصعب ، ونحن نحتاجك » . قالت وشفتاها تتحركان ببطء : « ليلة أمس . . وقبل أمس رأيته . كان يرتدى جلبابا أبيض ويشق مياه النهر بيديه . . آه لا أصدق أنه ذهب بلا عودة » . اغرورقت عيناى . تدافع الماضى إلى ذاكرتى . . طرقاته فوق باب الدار كانت مميزة لى . كنت أول من يجرى اليه . يحمل عنه حزمة الجرجير وكيزان الأذرة الشامية . كنت أتلقفها وأمرق من بين إخوتى وقد أخذت نصيبى ، ولا أعبأ وإنما أتلذذ بمضغها بنداء أمى للغداء . وحين يفرغ من تناول الطعام ، وكنت أرقبه عن كثب ، يكون الشاى قد أعد له . كان يرشفه ويثنى على أمى وبعد أن يأتى على ما بالكوب يصيح بى . حينئذ أكون قد هيأت نفسى للخروج معه . واضعا تحت إبطى الشنطة المصنوعة من القماش . أما هو فكان يحمل الجاروف الصغير الذى يستعمله فى نبش الأرض اللينة للحصول على الديدان الصغيرة ، طعم الأسماك ، وعود الغاب الطويل الذى ينتهى خيطه بسنارة لم يغيرها منذ أسقطها أول مرة فى النهر . كان يهوى صيد الأسماك وكان يقول « السمك رزق » . .

مع الغروب كنا نعود وقد انتصفت الشنطة أو كادت . . برزق اليوم .

كانت أمى تجتهد فى تنظيف السمك وكانت تنهرنا عندما

نجلس بجوارها لاهين بمخلفاته وكانت تقول لا تعبثوا كثيرا فربما نجد فى بطنها رزقا آخر . كنا نعرف أنها تقصد (خاتم سليمان) . . فنتضاحك . ولا نكتفى بالترقب حين تغفل عنا .

كانت رحلتى معه إلى النهر لا تنقطع منذ بدأت أعى ما حولى إلى أن دق بابنا أولئك الذين يرتدون البدل الصفراء . وقد أحاطوا أوساطهم بأحزمة جلدية سوداء عريضة . أخبروه أنه مطلوب للسفر . نظروا إليه مليا ثم قالوا له : « لقد دعاك الواجب » . سألهم : « أين » قالوا : « أرضنا واسعة ولا غربة فى أرض الأهل . جدنا واحد » .

فى ذلك المساء خرج معهم . ومرت الأيام والشهور وآذاننا لكل متحدث وأعيننا على الطريق . انقضت سنة ، سنتان . . ثم جاءتنا الأخبار أنه استشهد ودفن فى أرض الله الواسعة . سألتنى أمى وعيناها تنفجران بما فى الجوف : « هل سقط عليه هو الآخر صندوق من السماء ؟ » . لم أجب أمى وبكيت .

قلت لها لكى ألجم جموح الماضى : « هو فى رحمة ياأمى . إنى أراه كثيرا فى أحلامى » . قالت بتطلع : « كيف تراه ياولدى » . قلت على الفور : آتٍ بملابسه الصافية يحمل جاروفا كبيرا ومن خلفه طوفان ضخم من حاملى السنابير القوية الحادة . . تجمعهم وهو معهم موجة عاتية لا تعرف المهادنة . . ومن تحتهم تتفجر المياه بالأسماك » ركزت أمى نظرتها باتجاه النهر ثم قالت والبشر قد بدأ يغير ملامحها العابسة : « نعم ياولدى هو آت ليضرب رصد الكنز ، الثعبان الذى فى بيتنا . .

إنى أسمع فحيحه وذلك دليل على صدق عودته . . ألم تسمع الفحيح ياولدى كنت أزدرد الريق فى حلقى وعيناى شاخصتان إلى ذلك المسجى الذى بدا أنه ألف الاستكانة داخل أخدوده . رفعت رأسى لأعلى . كانت البيوت العالية قد حجبت الشمس خلفها ، فبدا الضياء وكأنه ينسحب فى الأفق . ارتدت عيناى إلى النهر مرة أخرى . كان ثمة تماوج قد بدأ ينتشر ويغدو واضحا فى السطح الساكن .

محمد محمود عثمان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمد عبد الحليم غنيم

قصة

لن أقلع عن هذه العادة

(١) بطاقة بيانات شخصية جدا

اسمى موجود بالضبط : أنا موجود.موجود.وهو أيضا الاسم الثلاثى كاملا ، لى من العيون اثنان ومن الأقدام اثنان . وأيضا لى لسان ، وأتمتع فوق ذلك بحاسة شم قوية وإن كنت لا أستخدمها .

حاشية : تتمتع الكلاب بحاسة شم قوية جدا ، وهذا ما يجعلنى فى غاية الحرج .

(٢) لن أقلع عن هذه العادة . . التلصص

لجارتنا أم رفعت جسد امرأة . لن تمنعونى من التصريح باسمها قالت لى : افعل ذلك ولا تخش الحكومة . الطماطم أرخص ما فى قريتنا ويقولون بعد ذلك هناك أزمة ويطالبون بخفض الأسعار ، لن أفعل ذلك مطلقا . فخذاها يبدوان خلف الثوب الرقيق الذى « دابت » أزهاره الملونة الصغيرة بفعل الشمس والماء الغسيل،وهما ملفوفان كأنبوبتين ملئا بمعجون أسنان ذى رائحة نفاذة مثل عرق النساء المترفات . لم تعر لى فخذيها يوما ، ولكننى استطيع أن أرى ــ وقد رأيت بالفعل ــ من ثقب الباب ودون حاجة إلى نظارة مكبرة يفصلنى عن جارتى ــ أم رفعت ــ باب خشبى رقيق يتكون من ضلفتين غير سميكتين من خشب رخيص ولولا الثقب الكبير الذى بجوار حفرة المفتاح ــ والذى فى الباب دائما أجده ــ لما رأيت شيئا . ولجارتنا أم رفعت نهدان لم أرهما بارزين أبدا ، متدليان إلى الأسفل دائما فوق صدرها يمتدان . لم أر من جارتى أم رفعت ــ غير هذين : فخذيها ونهديها ، أما دون ذلك فقد سمعته من الناس والطرقات المظلمة ، وحدثتنى عنه الأسواق المزدحمة والقطارات وعربات الميكروباس التى تجوب شوارع قريتنا غير المرصوفة .

(٣) « لن أقلع عن هذه العادة . . « الثرثرة »

أتحدث كثيراً ــ عن كل الأشياء ــ عن السياسة والاقتصاد واجتماع القوى وافتراق الأمم وتعاطى المخدرات وحبوب الهلوسة . أنا لست ثرثارا . الناس كلهم يتكلمون ! أنا وزوجتى نتحدث فى السياسة بصوت مرتفع . مالى أنا وقلق الجيران ؟ هم أيضا يتحدثون فى السياسة . . لكن لماذا بصوت منخفض يتحدثون ؟ لماذا يهمسون ؟ . ورغم ذلك لن تمنعونى . سمكة صغيرة + سمكة صغيرة + سمكة صغيرة = أسماك صغيرة . وسمكة كبيرة + سمكة كبيرة = سمكتين كبيرتين وسمكة واحدة كبيرة تأكل أسماكا صغيرة وما يتبقى صفر .

(٤) لن أقلع عن هذه العادة . « السير على الأقدام »

ألف مدينة وألف قرية وألف نجع وألف عزبة . وحوارى وأزقة وميادين كثيرة دست فوقها وغصت فى عمقها . لاحظت أن اللافتات الكبيرة المضيئة ــ وهى كثيرة الوجود ــ تثيرنى ، تنفض العروق فى رقبتى وخلف أذنى ويعاود الدق القديم رأسى ، فأسير غيظا وأسير هربا وأسير وحدى . النساء فى السترات العالية بأذرعهن المليئة ورقابهن الغليظة وأحمر الشفاه

فوق شفاههن تلال يقفن وقد مال نصفهن الأعلى فوق رأسى ــ أنا ــ الذى أسير فى الشوارع حافى القدمين أزرق الشفتين لا أطيق أحمر الشفاه ، ألفّ رأسى بأعلام ملونة حمراى وخضراء وسوداء والساعة القديمة فى معصمى النحيل تدق فى صمت وخفوت أسمعها تئن ولن أقلع عن هذه العادة وسأطرق الأبواب إن توقفت ساعتى القديمة لأسأل عن الوقت والزمن ومواعيد العمل فى مصالح الحكومة .

لم أعد أملك غير الدموع فلأبك ، وأبك وأبك . دموعى قطرات دافئة سخينة كلبن الجاموسة ، دعوها ترويني ــ دعوها تروى صحراء امتدت عبر سنين عمرى المقتول بين فكى الزمن .

(٦) « لن أقلع عن هذه العادة الجديدة . « الضحك »

أنا لست مجنونا ، أقسم لكم أننى لست مجنونا ، وما الضير فى أن أضحك كثيرا ، الناس كلهم يضحكون فى الشرفات والطرقات والمقاهى والنوادى وفى مصالح الحكومة وبين أعواد الذرة وفى الشقق المفروشة وخلف المكاتب . وتحت المقاعد وفوق السحاب وعند المساء وعند الصباح وعند الظهيرة ووسط المقابر ولضحكهم رنين .

ههيا ــ محمد عبد الحليم غنيم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة

صحوة الغروب

* حينما قرر أبى بيع الجمل ضربت أمى على صدرها ضربات مفجوعة متوالية وملتاعة . . ظللنا أسبوعاً لا ينظر أحدنا فى عيون الآخرين . لم تشتعل فى الكانون نار . واكتفت أمى بتقديم الجبن القديم . . أو اللبن مكرهة صامتة .

* انقلب نباح الكلب ليلاً إلى عواء . . وانقبض وجه أمى . قالت من بين أسنانها : ياترى من سيموت ؟ ولما لم يمت أحد ، وعاود الكلب نباحه المجروح بالأنين وجه أبى إلى أمى اتهامه الساخر . وأكد على سذاجتها إذ تصدق الخرافات ولغة الكلاب .

* دخلت أختى الجامعة . ورفعت الحجاب عن وجهها . وجاءت يوم الخميس مهدودة الحيل ودامعة من المواصلات ، والزحام ، والمذكرات ، وطلبت خمسين جنيها . قضينا الليلة فى زوايا الحجرة ، يلتف كل منا بنفسه على نفسه . وبعد الإفطار قال أبى كلمته : سنبيع الغنم . ظلت أمى أسبوعاً صائمة لا تأكل . تغمغم بكلمات مقتضبة حزينة ، وطرف الطرحة السوداء بين أسنانها . قصرت المسافة بينها وبين الأرض كأنها شاخت فى ليال معدودة . كلما سارت خطوتين جلست مفعمة بالأسى ، وأخذت تهزج وتنوح . أسيانة مكلومة . . وأحس بوجع مجهول فى صدرى . حاولت كثيراً فهم شىء . لكنها لم تبح . كل ما سمعته . . باقى وتد .

* لما أصبحنا وحدنا نسكن الطين قكلت أختى المتعلمة . انظروا حولكم ، ولأجل خاطرها قرر أبى قطع نخلة البلح التى تتوسط حوش الدار كى نقيم بيتاً عالياً مثل الجيران .

* انهدمت أمى بعد أسبوع واحد . . تساندنا أمام باب الدار التى لم تصبح بيتاً بعد ، ووقف قريباً منا بعض الأقارب والجيران ، ننتظر جثمان أمى الذى يغسل فى الداخل . يكبر الليل بنا بين الدخان والغمغمة . . استطال الرحيل علينا ومد الحزن ظلاله . بدا شتاؤنا قاسياً ونحن فى الشارع نرتعد ، وكلما هبت الريح تمرغنا بالتراب . انسل واحد إلى بيته . . انتهى غسل الجثمان ونظرت حولى لأتبين من سيحمل جثمان أمى . . كنت وحدى . . وبعيداً بجوار الحائط المهدم يتكور أبى ، يشد أنفاس سيجارته . رمشت بعينى مرة ومرة . ولما تأكدت من وحشة الفراغ هزمتنى الدموع ساخنة رغم قسوة البرد . من خلال ضباب الدموع كان شبح أبى مهزوزاً يقضم أصبعه بعد ما انتهت السيجارة . وأختى فى المدخل العارى زائغة العينين . يرمقها الكلب بنظرة منكسرة بها ثقه. ويلوى رأسه . يمسح على شعره بوقار أسيان .

ربيع الصبروت

مسرحية

الغربان
(بعد المستنصر)

مسرحية شعرية تاريخية
في سبعة مشاهد وجزءين

د. محمد عنانى

الشخصيات

١ - الحاكم	(لا اسم له)	فى أى سن
٢ - الوزير	(لا اسم له)	فى الخمسين
٣ - زهير	فلاح	فى الأربعين تقريبا
٤ - مائسة	حسناء فى منتصف العمر	(فلاحة)
٥ - سمراء	فلاحة شابة	
٦ - عارف	جاسوس	فى أى سن
٧ - معروف	شاعر	فى أى سن
٨ - الراوى	أى سن	(رجل)
٩ - مساعد الراوى ١	أى سن	رجل أو امرأة
١٠ - مساعد الراوى ٢	أى سن	رجل أو امرأة
١١ - حاجب الحاكم	أى سن	
١٢ - رسول السلطان	أى سن	
١٣ - خصى	أى سن	

حرس ـ جنود . . الخ

المشهد الأول

المنظر:

(تجريدى) ساحة واسعة ـ فى أقصى الخلف منظر دائم للسماء والحقول الخضراء وأمامه تشكيلات من البيوت التقليدية للقرى المصرية والمآذن وأبراج الحمام ـ فى أقصى اليمين لوحة أو تركيبة تمثل باب قصر الحاكم مما يوحى بأن الساحة التى أمامه ساحة العرش . فى أقصى اليسار باب يؤدى إلى باقى غرف القصر . وفى أقصى مقدمة المسرح مساحة تمتد للصالة هى التى يقف عليها الراوى ولها جناحان يقف على كل جناح أحد مساعديه الاثنين . يمكن للراوى أن يتحرك بحرية فى هذه المساحة ـ من اليمين إلى المنتصف أو إلى اليسار ولكنه لا يدخل إلى المسرح إلا فى المشاهد التى ينص فيها على ذلك (فى الجزء الثانى من المسرحية) .

* * *

عندما تبدأ المسرحية يسمع لحن من نوع ألحان سيد درويش الشعبية (القلل القناوى وخاصة مقطع «الدنيا مالها يا زعبلاوى») ـ ولكن التوزيع الأوركسترالى هنا يجعله مجردا بعض الشىء ويستخدم موتيفة تتكرر مع التنويع فى النقلات بين المشاهد . ويمكن للمخرج هنا استخدام رقصة تجريدية للفلاحات يحملن سنابل القمح ـ ولرجال يرتدون ملابس الغربان وفى جنوبهم سيوف وخناجر ـ ثم مع انصراف الراقصات يتجمع الرجال ويدخل الحاكم والوزير وعارف ومعروف والخصى والحاجب ـ من أقصى اليمين (بينما تخرج الراقصات من الخلف) ـ يتحرك الجميع حركات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تشكيلية ثم يدخل الراوى ومساعدوه فيجمدون فى أماكنهم فى الخلفية أو يجلسون على مصاطب مختلفة الارتفاع لتوحى بمكانة كل منهم .

لا يتحدث أثناء حديث الراوى إلا الشاعر معروف وهو يلقى شعره العمودى بطريقة خطابية فكاهية ويستحسن أن يكون الحاكم غريب المنظر ــ إما ضئيل الجرم أو ضخم الجسم جداً ــ والأفضل أن يكون هؤلاء ذوى أشكال منوعة . عندما يلقى الشاعر شعره يعود الجميع للحركة ثم يجمدون حين يعود الراوى إلى الحديث .

بعد أن ينتهى الراوى من حديثه ينسحب هو وصاحباه إلى مقدمة المسرح حيث يجلسون جميعاً يشهدون ما يجرى على المسرح من أحداث ، حتى إذا انتهى المشهد بإظلام المسرح نهضوا وأخذوا أماكنهم وشرعوا فى الحديث .

المشهد إذن لا يتغير ــ فهو دائما ساحة بين قصر الحاكم وقصر الوزير ، وعندما يأتى مشهد زهير ومائسة فى الحقل يزداد الضوء فحسب على اللوحة الخلفية للإيحاء بتغير المشهد .

ألحان أغانى الحفل لابد أن تكون مزيجاً من التركية والمصرية أى لابد أن تستخدم ربع النغمة ليس لإضفاء الحلاوة اللحنية ولكن لتأكيد البعد التاريخى . وبعض هذه الألحان مسجل فى كتاب «عادات المصريين» لادوارد لين مثل لحن :

«يا بنات اسكندرية مشيكم ع البحر غية
يا بنات جوه المدينة مشيكم ع الفرش زينة»

ويستوحى من هذا لحن أغنية القيان ، ويوضع لحن مناقض له لأغنية العرافة (سمراء) .

يمكن أن تتخذ الملابس نفس الطابع التجريدى ولكن ــ باستثناء الراوى وصاحبيه ــ لابد أن توحى بالعصر التركى أو المملوكى . فالفترة التاريخية هى تلك التالية لحكم المستنصر بعدة قرون ويمكن تحديدها بالقرن السادس عشر الميلادى أى التى تلت ما رواه ابن إياس فى كتابه «بدائع الزهور فى وقائع الدهور» .

المشهد الأول

الراوى : فى زمن المستنصر بالله
غفر الله ذنوبه
وقعت شدة
بحث الناس عن اللقمة
عرفوا ذل الشكوى
ثم انجلت الغمة !
كان الفيصل من أرض الشام
رجلاً يدعى بدرا
جمع الأشراف على مائدة وأسال دماهم
قل مائة أو ألف
لم يعرف أحد إن كانوا خونة
إن كانوا سرقوا المحصول
أو كانوا سفلة
يمتصون دماء الناس
لكن الشدة زالت !

صوت ١ : هذا ما قال المقريزى

صوت ٢ : لكنك لست مؤرخ قصر الحاكم !

صوت ١ : بل أنت مؤرخ أبناء الشعب

الراوى : فى كل أقاصيص التاريخ
طرفان
الأول ينظر من فوق
يرصد ما يحدث فوق السطح !
والثانى ينفذ للأعماق
الأول يحكى ما تبصره العين
والثانى يحكى ما يبصره العقل

صوت ١ : لكنك لست مؤرخ بيت الحاكم
لا تحكِ عن السلطان
وعن الأجناد أو الغلمان

صوت ٢ : ان كان فى سمع الليالى من نغم
يحكى أقاصيص الحياة بيننا
وسط الحقول ــ

صوت ١ : أو وسط ساحات العمل
فى ملتقى الصناع والزراع والتجار

صوت ٢ : إن كان فى سمع الليالى من نغم
يسمو به الألم ــ

الراوى : هذا الذى فى مسمع الأيام بعض قصة
لم يروها التاريخ
وما تغناها شويعر أجير
إن كنتما تستعذبان سمعها
فأخرجا هذا الشويعر
فلا أريده هنا . .

(يسقط الضوء على معروف فينشد)

معروف : نور المليك فى السما
سحر يضل الأنجما

(اثنان يجرانه إلى خارج المسرح)

(وهو على وشك الخروج)

قصائدى فى مدحه
خرائد تروى الظما !

(يخرج)

الراوى : هذه قصةُ حبٍّ لكان
لسهولٍ وضفاف وأمانْ
ونسيجٌ من أصابع الألم !

صوت ١ : الدماء فى العروقِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ترتوى من الألم

صوت ٢ : تكسب الحزن جمالا ـ

صوت ١ : تكسب الحسن فرحا !

صوت ٢ : من ثنيات الزمن
يستثيرنا الشجن
ثم يغدو بين أيدينا عنادا
يرتقى فوق الزمن

الراوى : فى زمن لاحق
لا يدرى أحد أين يكون على أطلس أيام الله
طلب السلطان من الوالى منحة قمح ضخمة
ثمنا لبقاء الوالى فوق العرش
والوالى لا يملك أن يعصى
فالحكم له لذة
الأمر مطاع
والمطلب حاضر
تسمع أقوال المداحين

معروف : (يطل من ركن المسرح) كأن بهاء النور فوق جبينه
وشاح جمال زانه مشرق السعد !

الراوى : أو أقوال الحكماء أو أشباه الحكماء

معروف : (من نفس مكانه ولكن يتقدم من الحاكم)
توكل على الحى الذى أنت ظله
على الأرض تمشى شامخاً فارع القدّ

معروف : (يكون قد وصل إلى الحاكم)
وأخلفك الله العلىُّ على الورى
فهاك قطوف الخلد والعز والمجد !

(يطارده المساعدان فيجرى خارجا)

الراوى : الحكم لذيذ ! (يضحك)
الحكم ظريف !

صوت ١ : لكنك كنت ستحكى عن فلاح

صوت ٢ : هذا ما قلت لنا !

الراوى : صبرا يا إخوانى . .
الشدة كانت ـ قلت لكم ـ فى عصر لاحق
والشدة هذى المرة . .
لا نعرف من أين أتت !
فى يوم مشهود ذات صباح
جاء إلى القصر نذير
بضياع المحصول
لا توجد فى الاقليم
حبة قمح واحدة تدعو الله !
ولهذا الأمر الفادح يستدعى الحاكم بعض الكبراء
وبأيديهم بعض النظراء
لتأمّل مأساة اليوم الأغبر !

الحاكم : (يبدأ الحديث عندما يسقط الضوء عليه بينما ينسحب الراوى)
ماذا أسمع من هذا الناعق ؟
ماذا يحكى ذاك المأفون ؟
هل يفصح عنه وزيرى ؟

الوزير : مولاى . . الصبر !

الحاكم : الصبر على ماذا ؟ انطلق !

الوزير : (يتردد ويتلعثم ويدور على المسرح حائراً)
القصة مكذوبة . . إذ لا يعقل أن القمح يضيع !
وإذا أبدى مولاى الصبر
أرسلت إليهم من يتحقق !

عارف : هل يأذن مولاى ؟

الوزير : ماذا يا عارف ؟

(عارف يتقدم فى خوف)

عارف : عفوا مولاى اغفر لى
لكنّ الحال كما قلت لكم . .
لا توجد فى الإقليم حبوب
ولقد فتشت ونقبت
وطويت حقولا وحقولا أسأل فى ذلة . .

الوزير : اسكت . . أنت حمار !
ان كانوا قد خدعوك فإنا خدعوا «معروف»
هيا يا معروف . . منا !

معروف : الواقع يا مولاى . .
الواقع أن الأمر الواقع غير الواقع !
والظاهر أمر خادع
والعين ترى الحاصل دون الدافع
ولذا فالقمح الضائع
موجود فى الواقع !

الوزير : (متهللا) أرأيت أيا مولاى ؟
الواقع ساطع !

الحاكم : حقا ؟ ما معناه إذن ؟

الوزير : معنى ماذا ؟

الحاكم : هذى الفلسفة الجوفاء !

الوزير : (إلى معروف) معناها ماذا يا معروف ؟

معروف : مولاى . .
الواقع قلت لكم غير الواقع . .

الحاكم : (ينهره بشدة) قل ما عندك دون تفلسف

معروف : مولاى لكل مقام أدبٌ ومقال
وأنا أعمل فى هذا القصر أديبا . . فاغفر لى !

الحاكم : قل ما عندك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

معروف : الفارق بين الموجود وغير الموجود
لا شأن له بالجوهر أو بالماهية
لكن بمدى رصد العين
مقدار تشخصه فى دنيا الواقع
فإذا أغفلت العين تشخص موجود أو رصده
لم يعد الواقع موجودا
وإذن فالقمح الضائع
موجود

الوزير : مرحى مرحى !
الحاكم : القمح إذن موجود ؟
معروف : الواقع يامولاى ـ

الحاكم : (يصرخ) يكفى هذا . .
الوزير : (إلى معـروف) شكـرا لـك . . (يغمـزه) اذهب للصراف . .
(للحاكم) القمح وفير يا مولاى !

عارف : لكنى فتشت ونقبت . .
قلبت الأرض وداهمت الأكواخ
خالطت الفلاحين وصاحبت التجار !
اعذرنى يا مولاىْ ! . فأنا جاسوس لا يخطىء
لو كان لديهم حبة قمح واحدة لعرفت . .

الوزير : اسمع يا عارف . .
هل تعرف كيف نعاقب من يحمل أنباء مكذوبة ؟

عارف : لكنى صادق . .
الحاكم : ما رأيك فيما أفتى معروف ؟
عارف : معروف لا يعرف شيئا . .
معروف : لو كان كلامك ذا وزن فى دنيا الواقع
لانتهت الدنيا وحياة الناس
إذ كيف يعيش الفلاحون إذا ضاع القمح ؟

الحاكم : معقول !
معروف : بل كيف يعيش الناس هنا وهناك ؟
عارف : أنا أحكى عن محصول الموسم هذا
لا عن مخزون سابق
معروف : أسمعتم هذا ؟
هل أدركتم سر المخزون ؟

عارف : مولاى . . الصبر . .
الأمر جليل لا يتطلب فلسفة جوفاء
أو يحتاج نفاقا . .
فى بضعة أيام ينفد مخزون القمح من العام الماضى .
وتحل الكارثة الصماء بمصر
وبقصر الحاكم
ستكون مجاعة !

معروف : إلا إن أخرجنا القمح المخزون ولا تبصره عينك
قمح العام الحالى . .

عارف : قمح العام الحالى أكلته الغربان
الحاكم : ماذا ؟

عارف : هذا ما يحكيه زهير
وهو التفسير الأوحد

الوزير : يحكيه زهير ؟

عارف : هو يا مولاى نقيب الزراع !
الحاكم : أنقيب الأشراف هناك ؟

عارف : بل سيد زراع الإقليم !

الحاكم : ومتى كان لهم سيد ؟

عارف : لا أدرى يا مولاى . .
لكنى جاسوس لا يخطىء . .

الوزير : هذر . . هذيان . . لا يعقل !

عارف : إن زهيرا يا مولاى رقيق الحال . .
لا يزعم جاها أو سلطانا
بل لا يملك أن يزعم
لكن الناس تحبه

الحاكم : لكنك قلت نقيب !

عارف : أنا أعنى المنطق والحكمة

الحاكم : أتراه إذن شيخ يهديهم فى الأزمات ؟

عارف : يا مولاى !
قد تدهش من هذا . . لكن زهيراً فلاح شاب
أو قل فى منتصف العمر . .

الوزير : (يثب فى فرح كأنه اكتشف شيئا)
أنا ألمح خيط مؤامرة معقود الأطراف . .
هذا واضح . . (يسير على المسرح متنكراً)
من أشركه الخائن ؟ هل تعرف يا . . معروف ؟

عارف : عفوا مولاى . . لم يشرك أحداً . .

الوزير : اسكت أنت !

معروف : الواقع أن الخطة واضحة الأبعاد
فزهير يخفى القمح ويزعم أن الغربان ـ (يتوقف ويضحك)
الغربان ؟ هل هذا معقول يا مولاى ؟
فى علمى الثابت وإحاطة ذهنى بالواقع
أن الغربان تعاف القمح . .
هل يجهل إنسان
أن الغربان
لا تهوى إلا الجيفة
وتحب لحوم الطير وأحشاء الحيوان !
أما القمح ـ (يضحك) ها ها ها . .
لا يا مولاى النابه ! يا كاتم سر السلطان !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المثل الشعبى يقول :
« بيان الكذب من فمه
وايش جاب الغرب له !»

الوزير : بيت قصيدى ! لكن
ماذا نفعل بزهير ؟

الحاكم : لا تسبق الأحداث يا وزيرى !
بدأت أفهم الإطار
والحق أننى أريد أن أرى زهيرا

الوزير : رأس الفتن !
وربما يكون قرمطيا . .
أو كافراً أو همجيا. (بعد تفكير ــ يقترب من الحاكم)
والموت من تم عقابه !

الحاكم : تريد أن نقتله حتى يعود القمح للحقول ؟
حتى يعود المال للخزائن ؟
حتى تعود منحة السلطان ؟
لبئس ما نصحت يا وزير
أخطأت فى التفكير والتدبير
الحال لا يحتمل الخطأ
وأنت تعرف المصير
لقد أمرت

الوزير : (يهمس له) لا تعزلنى ياحاكم بلدان الله !
أرجو تمهل
فأنا عوضتك فى العام الماضى
عما فعل الأنذال
ودفعت إليك الأموال
(تتغير لهجته الى التهديد)
ولدى عماليك ذات وبال

الحاكم : عزلك لم يأت أوانه !
وإنما أمرت أن أرى زهيرا . .
يا عارف الأمين
اذهب وقل له . . إن الطريق آمنة !
اطلب إليه أن يزورنا
وسوف نكرمه .

عارف : سمعاً وطاعة !

الحاكم : يا أمين الأمناء !
نعقد الليلة حفلاً . . أو غداً . .
ادع كل الأمراء
وحريم القصر . . كُلَّ الكبراء !
(يشد الانتباه اليه)
وأشيعوا فى ثنايا الليل رنات النغم
وأديروا الخمر حتى ينطق العدم !

الأمين : سمعاً وطاعة !

(يتجه عارف إلى الخروج
ــ بينما يتهامس الوزير ومعروف)

الحاكم : أريد أن أجزل فى عطائه
إذ ربما اشتريته بالمال
وربما عينته فى منصب هنا
حتى يرى الأمورمن عيوننا
فإننى أشم روح فتنة
والحال لا يحتمل الفتن !

إظلام

المشهد الثانى

الراوى : وبينما مضى الجميع يمكرون
بات الوزير ساهرا
أخافه ما أنذر الأمير
ولم تفده حكمة الأديب
لكنه شريكه وصاحبه
رفيقه فى غابة السلطان
وصنوه فى محنة الزمان

صوت ١ : لكنه لم يقترف آثامه

صوت٢ : لم يدفع الأموال مثله

الراوى : هذا الأديب جرمه أشد
إن لم يكن قد دفع الأموال
فإنه يزيف الوقائع
ويشترى الزمان بالكذب !

صوت١ : أليس فى جعبته سوى الكلام ؟

صوت٢ : ما أكثر الذين عندهم كلام
ما أرخص الكلام !

الراوى : يا صاحبى هذه أكذوبة العصور
وحسبنا ما قاله التاريخ فالكلام فكر !
وكل فكرة يصوغها إنسان
تحيا على الزمان
ترفع قدره . . تجله
أو أنها تستعبده !

صوت١ : وهل يقود الفكر للمجاعة ؟

صوت٢ : لربما تقصد مكر السوء ؟

الراوى : فلنكمل الحكاية !
بات الوزير ساهرا
لكنه ما إن بدا الصباح
حتى أتاه عارف وفى يده
شخص كثيرا ما رآه فى دهاليز القصور !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(عندما يضاء المسرح ـ نرى الوزير متكئا على أريكة
وعارف داخلا مع الخصى)

الوزير : (منزعجا) أنت هنا ؟
ماذا تريد أيها الحقير ؟
وما الذى تبغيه من معروف ؟
ألم يكن زميلك الأمين ؟
وما الذى تكسبه من هدم كل شىء ؟

عارف : مولاى صبراً فأنا خادمك المطيع
أطمع فى رضاك عنى
وأحتمى فى صولتك . .
لكن أحداث الزمن
تضطرنى للفكر والتدبير . .

الوزير : اذهب وعُدْلى بزهير

عارف : مولاى هذا درشاه

الوزير : من ؟ درشاه ؟ أذكر أنى قد رأيته
لكن أجبنى . . من درشاه ؟

عارف : أحد الخصيان !

الوزير : عجبا لك ماذا أفعل بالخصيان ؟

عارف : مولاى عندى خطة . .
لا بل مكيدة مؤكدة

الوزير : لكنك أخطأت المقصد !

عارف : مولاى أنا جاسوس لا يخطىء
لا أطمع إلا فى عفوك !

الوزير : قل ما عندك !

عارف : مولاى . . علمت من الأنباء السرية
أن زهيرا يعشق محظية

الوزير : (يهتم فجأة) من محظيات الحاكم ؟

عارف : صبراً يا مولاى . .
من عدة أعوام كانا فى نفس القرية
وارتبط اسم زهير بالجارية الحسناء
لكن الحاكم أرسل يطلبها . .

الوزير : أذكر ذلك . . يا لك من إبليس !

عارف : اسم المحظية مايسة
وهى إذن طلبتنا
نحضرها من قصر الحاكم
لتغنى وسط قيان الحفل
فاذا شاهدها الفلاح ـ

الوزير : لكن كيف ؟

عارف : هذا هو الخصى يا مولاى
هو الذى يدخل فى الحريم
ويعرف الكبير والصغير
يحضرها سراً ولكن فى أتم زينة
حتى إذا غنت بلابل القيان
وانسابت الألحان
عادت لها الأشجان
فأسمعت وأطربت
وعندها يعرفها الفلاح
نسهّل الأمر له فيختلى بها
فإن حكى لها أسراره
فكلنا ـ يا سيدى ـ آذان !

الوزير : قد يتفقان على الإنكار !
عجباً هل تأمن للمرأة ؟
المرأة مخلوق هش
يصغى للقلب ونجوى الحب ولا يحفل بالمنطق !
من يحمل قلبا عاطل
مثلى فهو الكامل !
كلا . . مشروعك فاشل !

عارف : الخطة أن نُغْريها بالأموال
بالفضة والذهب الأصفر
فَعَلَى أى الأحوال ـ
هى محظية !

الوزير : لا يا عارف . .

(فى تأمل عميق)

: هى ليست كالمحظيات . .
ليست كالروميات وباقى محظيات القصر !
هى فلاحة
وأنا أعرف فلاحى هذى الأرض
فأنا منهم ! كلا !

عارف : مولاى إنها من الحريم !

الوزير : فلاحة مثل الجميع !
. . . مثل الشجر
لهم جذور تنتمى للطين
ويصمدون للرياح والمطر
لربما تساقطت أوراقهم
أو انحنت هاماتهم
لكنهم
مثل الغصون
لا يكسرون !

عارف : مولاى

الوزير : (مقاطعا) صمتا !
المال لن يكفى . . ولن يكفى الذهب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لابد أن يكون ثم دافع قوى
دعنى أفكر -

عارف : مولاى لقد فكرت أنا !

الوزير : قاطعاً اذهب الى زهير
وأنت يا خصىّ
فلتأتنى بمائسة قبل المساء
أريد أن أعرف منها سرها
وسوف أنثر الكنانة
وأنتقى السهام . . هيا

عارف : الإذن إذن يا مولانا
(يمد يده طلباً للنقود)

الوزير : خذ أنت وأنت . .
(يلقى إليهما بالمال)

عارف : أقصد بعد زوال الغمة
نحن رجالك يا مولاى . .

الوزير : أنتم ؟

عارف : أقصد نفسى يا مولاى !

الوزير : هل تبغى منصب محتسب أو قاض ؟

عارف : وأبدل جلدى ؟
كلا يا مولاى . .
فأنا جاسوس محترف يخلص للمهنة !
أنا لا أبغى إلا أن أصبح شيخ جواسيس الحاكم !

الوزير : إذا ظللت فى مكانى
وظل حاكم الديار فى مكانه . .

عارف : هذا وعد يا مولاى !

الوزير : هيا إذن . . هيا . .

إظلام

المشهد الثالث

الراوى : القرية تبعد ساعه
وزهير يرقب يومه
علمه التاريخ كما علم أجداده
أن جنود الحاكم لا تتأخر

صوت ١ : لايجدى الجندىُّ إذا شَحَّ القوت

صوت ٢ : لا سلطان بغير الجند

الراوى : لكنه يعجب أن الجند
وهم حماة الدار
من غير أهل الدار !
أسماؤ هم تركية
أو أرمنية
أو شركسية
وكل إقطاعية
لها أمير
وجندها على اختلافهم
لهم هدير
فهم جنود

صوت ١ : لم يكن زهير وحده

صوت ٢ : كان لديه الناس

الراوى : كان زهير ذلك الصباح يستعد للرحيل
ولم يكن ذاك الصباح وحده
كانت تؤانسهْ
سمراء بنت عَمِّهْ
صبيةٌ تشاركهْ
فرحة قلبهْ
لكنه منذ رحيل مائسة
وهجر مائسة
يكاد يخشى المرأة
(يعود الضوء فنرى زهير وسمراء فى الحقل)

زهير : تأخر الزبانية !

سمراء : قلت لك أهرب

زهير : لا مهرب منهم ياسمراء
فالجند عيون وأنوف ومخالب
لا مهرب منهم مهما حاولت

سمراء : قد يلصقون بك التهم
ولربما حملوك للقصر الكبير
ولربما حملوك للحاكم !

زهير : سمراء إن والدى علمنى
ألا يضيق صدرى
وعندما ورثت منه الكد والعرق
أصبحت أدرى قدرى
وقد يكون الحاكم الجديد

سمراء : لا يازهيرُ كلهم سواء
فكلهم لديه جند
وكلهم يحكم باسم الله !
العادل والظالم
والقاعد والقائم
والساهر والنائم !

زهير : لكن حاكمنا الجديد ـ

سمراء : لئن تغير الولاة
فهل تغير الزبانية !؟

زهير : سمراء ! أسرارى لديك كلها
فيما عدا هذا -

سمراء : أظن أنى أعرفه !

زهير : حقا !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الآن يأتى الجند
ويحملونى
وربما سجنت
وربما عذبت
وربما قتلت

سمراء : أبقاك الله زهير

زهير : لا يدرى سِرّى . . إلا أنت
أفضيت إليك به
حتى لا يتوارى حين أموت
فبنفسى أمل أن نسحق غربان الدولة ـ (فى رقة)
وبنفسى حب لا ينضب

سمراء : أعرفه (فى خجل) لا تفصح !

زهير : (مستمراً) حب للنيل وأهل النيل
ولكل سنابلِ قمح النيل
ولكل يـد روت حبات الأرض بماء النيل !

سمراء : فلتبق إذن فى الأرض
اهرب

زهير : لابد من القدر المحتوم
لابد من الرحلة !

سمراء : هى ما أخشى

زهير : تخشين الرحلة ؟

سمراء : أخشى القصر !

زهير : ماذا دهاك صبيّتى ؟

سمراء : مازلت تذكر مائسة !

زهير : من ؟ مائسة ؟

سمراء : أرجوك . . لا يجدى الخداع

زهير : خداع من . . صغيرتى ؟

سمراء : مازلت تهواها وتبكى فقدها
وفعلت هذا كُلَّهُ

زهير : (مقاطعا) ليعرف الحكام أننا بشر

سمراء : بل كى ترى الحسناء فى قصر الأمير
بل ربما عادت إليك !
محظية غريبة الأحوال
لم يسبها الأمير فى قتال
ولا اشتراها يومها بالمال
لكنها سعت إليه راضية !
الخائنة !

زهير : أنا أذهب حتى يعرف أهل القصر ومن ولاّهم
بل حتى يعرف حاكم مصر
ما يجرى فى مصر !

سمراء : ذريعة مكشوفة !
فليس يجدى العلم إن كان البناء فاسدا !
لا يازهير خاب ظنى فيك !

زهير : سمراء . . . لا انتصار دون موقعة !

سمراء : وقد كسبنا الموقعة

زهير : بل تلك جولة موفقة
وبعدها لابد من جولات !

سمراء : تظننى صغيرة
لكن عندى منطق الأشياء !
أما وثقت بى
وبحت لى بكل شىء ؟
(تكاد تبكى)
قد كنت أرجو أن تكون لى
لكن هذا لم يعد يهم . .
(تكتم حزنها وتسير فى قلق)
فإننى أخشى عليك إن ذهبت أن تقع
فالناس فى تلك القصور يمكرون
وليس مكرهم يسير !
والفخ فى القصر الكبير
إن يفغر الفكين يبلع الكبير والصغير !

زهير : سمراء يا صبيّتى الجميلة !
إن كان يرضيك الهرب
(يضحك) فلاختبى . .
وأين أختبىء ؟
فى قلبك الكبير ؟
(فى سعادة) : تغار سمرائى ؟ ومِنْ مَنْ ؟ مائسة ؟
لكنها الأحلى الأرق !
وتبتغى سمراء عاشق الحقول ؟
كيف إذن وبيننا عمر طويل ؟
لقد تخطيت الشباب
وأنت فى عمر الأمل !

سمراء : ألا تريد مائسة ؟

زهير : سمراء إن كل ما جرى
يفصل بيننا

سمراء : ألا تريد أن تراها ؟

زهير : تبغين أن أهرب حقا ؟ فليكن !

سمراء : ماذا ؟

زهير : سنهرب !
هيا بنا !

سمراء : من هؤلاء ؟
(يدخل عارف على رأسه كوكبة من الجنود)

زهير : من كنت أنتظر ! (يضحك)
أهلا بكم ! من تطلبون ؟

عارف : (يصيح فى ود) زهير هل نسيتنى ؟
إنى صديقك القديم !

زهير : (ساخراً) وقد أتيت بالجنود للتحية !؟

عارف : قابلتهم على مشارف البلد
دللتهم على الطريق !

زهير : (ساخراً) تاه الجنود ياأخى !
ليس الطريق من هنا . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عارف : بل هم يريدون زهيرا!
(يلمح سمراء) وهذه سمراء ؟
زهير : ألم تكن رأيتها ؟
عارف : (فى خبث) أجل مما أتصور !
يقال إنها قريبتك ؟
زهير : أذاك تحقيق إذن ؟
ياأيها الجنود فَلْنَسِرْ !
عرفت أن حاكم البلاد
يود دعوتى على العشاء !
عارف : عرفت ذاك حقا ؟
سمراء : وهل سأمضى معكم ؟
عارف : ياليت ! فإن الدعوة محدودة
وتخص زهيراً وحده !
سمراء : ما أكرمكم فى قصر الحاكم !
عارف : حقا حقا . . هيا . . هيا . .
سمراء : (ساخرة) حين تعود من وليمتك -
(تبكى) وسوف تأتى ظافراً
زهير : (يحيطها بذراعه فى رفق) لسوف آتى للصغيرة بمئزر
منمنم . . . لتمسح الدموع !
(يضحك) وتستعيد فرحها . .
إلى اللقاء
(يخرجون)
سمراء : إلى اللقاء

(يتجهون للخروج)

(وحدها) لكنكم ستسمعون صوتى
وتلمحون مبسمى
وربما تبيّن الذكى منكم
أسرار مقدمى
إظلام

المشهد الرابع

الراوى : بينا يحث موكب الجند الخطى
كان الوزير قد مضى للحاكم
وبعد ساعة من الحديث والمراوغة
أعطاه ما أراد !
صوت ١ : ولم يكن يسعى وراء المال
الراوى : بل الفتاة مائسة !
صوت ٢ : أرادها لنفسه ؟
الراوى : أجل ! ولكن كى تجوز الخطة !
فهو الخبير بالمكائد
وهو الخبير بالرجال
(يضحك) وهو الخبير بالنساء !
لديه من أعضاده معروف
إن كان عيبه التقعر
فعينه لا تغفل
وعقله لا يغلب !
صوت١ : لكننا لا نفهمه
صوت ٢ : كلامه غريب !
الراوى : يده اليمنى ! أو قل
من ينصحه وقت الأزمة
والآن يُسِرُّ إليه بأحبولة
تنقذ عرش الحاكم
ومناصب أهل القصر !

(عندما يعود الضوء نجد معروفا يتحدث مع الوزير)

معروف : هذا ما يضمنها لك !
الوزير : كلا يا معروف
فأنا عادل
والواقع أنى أخشى أن ترفض
الواقع
معروف : الواقع أن الواقع يخفيه الظاهر
وإذن فالباطن واقع
لكن الظاهر أيضا واقع
والظاهر ليس بصنو للباطن
الوزير : معروف كفى !
معروف : مولاى تمهل
الباطن أنك لا تهواها
لكن الظاهر وهو نقيض الباطن
يقضى بهواها
أى أن تتزوجها
فهو زواج يبلغك الأوطار
فالزوجة تنصاع لأمر الزوج
وإرادتها رهن به
وهى تنفذ ما يبغيه
الوزير : لن أتزوج من لا أهوى
أو من لا تهوانى !
معروف : مولاى تدبر ما أحكى
الحاكم عاقل
أعطاك الجارية الحسناء
لم يحجبها
لم يطلب مالاً
ولماذا ؟
(يضحك) كى ينقذ محصول القمح ؟
كلا يامولاى !
الحاكم لا يبغيها
بل منذ أتت لم يقربها !
إما شغلته هموم القصر
أو أن الحساد يكيدون لها
أو أنهما لم يتحابا !
الوزير : أو أنها رفضته ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

معروف : مولاى إنها تعيش فى شقاء
محظية ليست بمحظية
لابد أن تريد زوجا
وفى سبيل ذلك ــ
(يهمس) تفعل الكثير !

الوزير : هل أنت واثق

معروف : مولاى إننى على علم بكل شىء
طموحة عنيدة وطامعة
يبتسم الحظ لها . .
وبعد أن تكون فى الحريم
منسية مهجورة ومهملة
تعود للأضواء والنعيم
للأمر والنهى هنا !
وزوجة لصاحب الوزارة . .

الوزير : (فى اقتناع) . . لقد تأخرت !

معروف : بل لا . . فإنها هنا !

(تدخل مائسة والخصى)

الوزير : أهلا بفاتنة الزمان !

مائسة : حقــا ! سمعت أننى انتقلت مـن خــزائن الأمــير ـ (ساخرة)
إلى خزائن الوزير !

الوزير : تفضلى يازينة القصور كلها !

معروف : عبيرك قد سرى سحرا . فأسكِر خمره الفجرا !

مائسة : ترى من أنت ؟ نخاس الأمير ؟ (تهاجمه فى سخرية شديدة)

معروف : (منزعجا) مولاى هل أمضى ؟

الوزير : خذ الخصى من هنا

(يخرج معروف والخصى)

مائسة : أما سمعته صحيح ؟

الوزير : سمعت خيرا مائسة !؟

مائسة : هذا الذى يقوله الخصى . .
فى الفجر جاء عندنا
ثم همس
بأننى مطلوبة فى مسألة
وعندما وعدته بالخيرْ
إذا به يقول إننى انتقلتُ من حريم لحريم

الوزير : وهل علمت أن لى حريما ؟

مائسة : لابد أنه جديد !
وقلت فلأبدأ بها !
فربما كنت الوحيدة التى تعيش وحدها !

الوزير : لا تغضبى من الخصىِ فهو جاهل غبىّ !

مائسة : إذن أما أزال . .
فى عصمة الأمير ؟

الوزير : الواقع (يتردد) . .
الحق أننى بحثت أمركن
وراعنى أن الأمير
لم يبن بك
وراعنى . . بل شاقنى . .
كل الذى سمعته عن مائسة . .
رجوته أن يتخلى عنك . . (فى تردد) لى !

مائسة : (فى تظاهر بعدم الفهم) أن يتخلى لـك عنى لست أفهمك !
وهل أنا متاع ؟
ياسيدى الوزير
إن كنت لا تدرى فدعنى أخبرك :
. . تقدم الحاكم يرجو
أن أكون زوجته !
قد كان هذا من سنين
وكنت فى حفل أغنى ــ
حين رآنى
قد كنت صغيرة . . وجميلة
وكانت الشدة تجتاح البلاد
وسرنى منه الكرم
كما طربت عندما سمعت شعره
(تضحك) أو شعر شاعره !
كانت هداياه سخية
وكان أهلى فرحين !
حتى أتى اليوم اللعين
وجاءنى موكب عرس سار بى للقاهرة
وعندما وصلت فى المساء
رَفَلْتُ فى الحُلىّ والحُلَلْ
كأننى حقا عروس !

الوزير : لا علم لى بذاك !
لكننى أعلم أنه اقتنى محظية !

مائسة : ما أعجب الحكام والولاة !
أهذه من المكائد الجديدة ؟
لقد وضعت أيها الوزير فى الحريم . . أولا . .
كانت تحف بى الجوارى والخدم
وكل يوم قبل أن أنام
يقال لى غدا سأرحل
وكرت الأيام والشهور
وحولى الخِصْيان والغلمان
فى عالم من الفجور والترف
من المكائد الخسيسة
ومن نفائس التحف !

الوزير : لربما لم تفهمى قصد الأمير !

مائسة : بل إننى فهمته !
إذ بعد أن نُقلت للقصر الصغير
عرفت من بين الحريم سيدات
عشن أعواماً يحادثن الهواء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكدت أغدو مثلهن
سجينة النعيم والخدم
لكنني كنت بأفكاري طليقة
لم تبرح الحقول أحلام المساء
أو غادرت سمعي أهازيج السما
همس الخرير في دمي همس الحفيف
كان عزائي ذكريات الريف
وأن خادعي له نهاية
وأنني مازلت حرة
لم يبن بي الأمير
ولا اشتراني من أحد !
حتى ولا رأيت وجهه القبيح !

الوزير : عفواً بل اشتراك يا فتاتي النبيلة !

مائسة : هذا الذي لا أعرفه !
عجباً وكم كان الثمن ؟

الوزير : دفع الكثير إليك في علمي
وأفاء بالخير العميم على ذويك

مائسة : فأنا إذنْ أَمَةٌ ولا أعلم !
(تضحك) هذا هراء يا وزير القصر !

الوزير : بل الحقيقة
(بسرعة) لكنني أرفضها !
فبعد أن عرفت ما حدث
سعيت حتى أنقذك !

مائسة : إذن فهل أترك قصر الحاكم

الوزير : لقد تركته !
لقد غدوت في يدي . . جاريتي !

مائسة : جاريتك ؟ منذ متى ؟

الوزير : أرجوك لا تناقشي هذا
فالشرع يقضي به
وليس منه مهرب !

مائسة : دار الزمان مائسة
وعاد شرع الغاب
شرع الذي يسود
بالظفر والأنياب !
هل الخداع شرعكم
يا أيها الذئاب ؟

الوزير : ترى نسيت أين أنت ؟
يا أيها الحراس !

(يدخل الحراس)

مائسة : تريد أن تقتلني ؟
تريد أن تسجنني ؟
تريدهم أن يرجعوا بي مرة أخرى إلى قصر الأمير ؟
أعط الأوامر يا وزير !
قل ما تريد !

الوزير : (متداركا) بل لا أريد أن أرى أحداً هنا !
انصرفوا . . (صائحا) انصرفوا !

مائسة : (في رقة) ماذا تريد أن تقول ؟

الوزير : (مضطربا) لا ! لا أريد أن أقول أي شيء !

مائسة : ناديتني كيلا تقول أي شيء ؟

الوزير : (يتردد) لا ! لم أكن أعلم ـ
كنت فقط ـ
يا مائسة ! هناك أمر من أمور الدولة
لا يستطيع حله سواك . .
وان وقفت جانبي

مائسة : تقصد إن نفذت هذا الأمر ؟

الوزير : بل أقصد الوقوف جانبي . .

مائسة : هل تقف الجارية اليوم بجنب السيد ؟

الوزير : إذا وقفت جانبي فلن تعودي أمتي !
سنعتلي العرش معا
زوجا وزوجة
بل حاكما ومملكة !

مائسة : مكائد القصر التي لا تنتهي
قد أفرخت في كل يوم أملا !

الوزير : إنه ليس مكيدة
إنه وعد زواج وغنى . .

مائسة : حسبته وعد غرام

الوزير : سنعتلي العرش معاً
ونقطف الحب معاً
ونستطيل للسماء أذرعا !

مائسة : تريد أن أصدقك ؟

الوزير : لكنني كما ترين مائسة
على مشارف الكهولة
لم أتزوج
وهبت عمري للعلا
جمعت أملاكاً . . مماليكاً . . وجيشاً لا يرى !
والآن يأتي ذلك الصعلوكُ ذلك الزهير !

مائسة : من ذلك الزهير ؟

الوزير : هذا هو الأمر الذي عليك حله
ودون أن أطيل ـ
هناك فلاح يقول . . القمحُ طار !
طارت به الغربان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبعد فكر وتدبر
أدركت أنه يحاول الخداع
وأنه مكير
وسره خطير !

مائسة : هذا الزهيرُ هل هو الذى ـ

الوزير : نَعَمْ ! هو الذى كان حبيبك !
إن استطعت كشف هذه المكيدة
إن استطعت أن تعيدى القمح ـ

مائسة : فسوف أغدو ملكة !؟

الوزير : بل سوف تبنين ديارا
حكما ونورا ونهارا

مائسة : لكننى لا أفهم ـ
تريد أن أسترحمه ؟
أذهب له ؟
أستحلفه ؟
بحق ما كان وولّى ؟

الوزير : لقد أتينا بزهير . .
وسوف نبقيه هنا
كيما تَرَيهْ !

مائسة هذا إذن ثمن الزواج ؟
ثمن احتراق النفس فى قصر جديد ؟

الوزير : لا ترفضى يا مائسة . .
بل فكّرى . .
هذا الذى أبغيه ليس بمستحيل ـ

مائسة : كلا . . ولكنى سأرفض المكافأة !

الوزير : لن تقبلى الزواج بى ؟
إنى أحبك !

مائسة : حقا ؟

الوزير : ماذا تريد مائسة ؟

مائسة : أبغى الحرية !
أطلقنى إن كنت أمة !
حرّرنى إن كنت سجينة !

الوزير : وان فعلتُ . . تقبلينى ؟

مائسة : لابد يا وزير أن تنتظر !
فعندها . . سأملك الخيار . .

الوزير : هذا صحيح . . (يتفكر)

مائسة : ماذا تقول ؟

الوزير : لن أنكث العهد الذى أقطعه !
إن استطعت كشف سره
فأنت حرة !

إظلام

الجزء الثانى

المشهد الخامس

الراوى : الحاكم الحصيف ينتظر !
لكنه يعرف أن القصر يحيا بالمكائد
لذا فقد خصّص جاسوساً
بل خصص العيون والآذان
لكل من يعمل فى ظله !
وعندما جاء زهير
كان قد استعدّ له :
أعدّ فرقة من الجنود
وبعض أكياس الذهب
وخطة أو خطتين !
وقبل أن يرى زهيراً جاءه من أطلعه
على حبائل الوزير !

صوت ١ : ألم يكن يخشى الوزير ؟

صوت ٢ : وكيف يخشاه وقد عيّنه ؟

الراوى : كان الوزير ذا عيون
وطامحا فى عرش مصر
وكان عنده ذهب
لكنّ منحة كهذه
أكبر من خزائنه !

صوت ١ : ولذا فالقمح مهم ؟

صوت ٢ : القمح حياة الفلاح !

الراوى : القمح حياة جميع الناس
والحاكم يعلم ذلك
لكنّ له الأهراء
أى مخزونات الحاكم !

صوت ١ : هذى أبداً لا تنضب !

صوت ٢ : هذا ما ذكر المقريزى !

الراوى : ولذا فى كل مجاعة
لا يهلك إلا الفقراء !
(يعود الضوء فنرى الحاكم جالساً وحوله الحاشية ـ
يدخل عارف ومعه زهير وخلفهما الوزير ومعروف)

عارف : هذا زهير سيدى !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحاكم : هل قلت إنه النقيب ؟

زهير : أنا لست شيئا أيها الحاكم !

الحاكم : (يصرخ) صمتاً

الوزير : وهل طلب الكلام أحد ؟

معروف : فى حضرة مولانا الحاكم
تخفت أصوات البشرية
لا تسمع إلا أنغامه —
ألحان الحكم الدرية !

الحاكم : صمتا يا معروف !

معروف : عفواً يا مولاى . .

الحاكم : أقبلْ زهيرُ لا تخف . .
سمعت قولا راعنى
ولا أصدّقه !
تعال . . لا تخف . .
ماذا حدث ؟

زهير : هَمّ بالليل يؤرقنى منذ الحادث
لا أقدر أن أرويه

الحاكم : فإذا أجزلت لك المنحة ؟

زهير : لا أبغى شيئا يا مولاى !

الحاكم : أعلم أنك مِنْ أنجَب أبناء الأرض
فتحدّثْ لا تخش ملاماً . .
(فى عظمة) قد أمّنتك !

زهير : (يتردد) غربان الليل !

الحاكم : ماذا ؟

زهير : هجمت غربان الليل على حقلى
وعلى كل حقول القمح !
فالتقطت بالمنقار القمح !

معروف : ماذا يعنى بالمنقار ؟

زهير : بالمنقار وبالمخلب !
وبأجنحة كالصاعقة انقضّت
ظلت تضرب دون هوادة

محصدته هشيما
وذرته حطاما

الوزير : لكن المحصول وفير !

عارف : عندى تقرير !

الحاكم : مهلا يا عارف !
كيف تأتّى لجماعة غربان أن تهضم كل القمح ؟
كم عدد الغربان ؟

عارف : مائة ألو ألف فى أقصى تقدير !

زهير : لا أعرف يا مولاى حسابات الدولة
فأنا فلاح محدود التفكير !

الحاكم : لن تنفع هذى الأكذوبة !

معروف : وعقاب الكذب الأسود موت أسود

الحاكم : صمتا يا معروف !

زهير : أنا أعرف أن الحادث مؤلم
فالقمح هو الخبز اليومى
وبدون الخبز يجوع الناس !

(يسود الصمت)

ما أنبلكم يا حكام الناس !
تبكون لجوع الناس
والناس تقدر هذى العاطفة المثلىَ !

الحاكم : ماذا تريد أن تقول يا زهير ؟

زهير : (يتصنع السذاجة) أريد أن أقول ماذا ؟
لا شىء سيدى . .
الناس تعرف أنكم
ستدركون شعبكم
فتفتحوا أهراءكم
لكى يعود الخبز للجياع !

الحاكم : (فى غيظ) لا لم يجع بعد أحد !
بل لن يجوع أحد !

زهير : (صائحا) ما أنبل الحاكم ما أكرمه !

الحاكم : من الحقول يا زهير
وليس من خزائن الحكام !
يا أيها الوزير !
سأختلى بذلك الفلاح !
هيا . .

(يخرج الوزير وعارف ومعروف)

والآن قل لى ما تريد ؟

زهير : أنا لا أريدُ أىَّ شىء !

الحاكم : (يكظم غيظه) أعرف فيك المكر مثل أهل مصر
وقد حكمتهم على مر السنين
ومذهبى أن أنتقى الوزير منهم —
أى وزير —

زهير : هذا الوزير . . منهم ؟

الحاكم : وكل من أختاره (يشير إليه) لابد أن يكون . .

زهير : (متصنعاً السذاجة) منهم ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحاكم : يعجبنى فيك ذكاؤك
وأنت لا شك زعيم !

زهير : معاذ الله يا والى
إنى زارع قانع

الحاكم : بل طامح وقائد مفطور !

زهير : « مفطور » يا مولاى ؟

الحاكم : أقصد بالفطرة والموهبة الفذة !
أمامك العلا
المجد يدعوك إليه !
هيا . .
خذ ما تريد من مناصب
(يهمس) فأىّ منصب تريد ؟

زهير : أنا منصبى زارع
وأنا به قانع

الحاكم : إن صبرى كاد ينفد !

زهير : الصبر فى الشدائد
من سمة الأماجد

الحاكم : (فى غيظ) إذا أمرت الآن طار رأسك !

زهير : الموت والحياة فى يد القدير !
سبحانه تعالى !
وهو الذى يسبب الأسباب
وربما كنت السبب

الحاكم : بل إنه إعلان حرب !

زهير : العفو يا مولاى !
« والكاظمين الغيظ » !

الحاكم : كظمته . . سأتركك . .
وسوف نلتقى
فى حفلة المساء
وسوف تدرى عندها
أنا نقدر الذكاء !
(يدخل الحاجب)

الحاجب : عرافة بالباب يا مولاى !

الحاكم : عرافة من العرب ؟
(فرحا) هذا توقعته !
خذها إلى قصر الضيوف
أكرم وفادتها . .
لا تغلق الباب عليها . .
(يضحك)
وسوف ألقاها غدا . .
(يخرج الحاجب)

والآن فكّر يا زهير
أعد النظر !
(لنفسه) بم يا ترى جاءت إلينا الساحرة ؟
إظلام

المشهد السادس

الراوى : وعندما أرخى الظلام ستره
جاءت قناديل القصور الساهرة
غنّت قيان الملك ألحان الترف
وانداحت الأضواء فى ساحات عز باهرة
ونساب فى القاعة خطو الراقصات
وانسابت النشوة من زق الرحيق الأسيرة

صوت ١ : وأتت كذلك مائسة ؟

صوت ٢ : وأتى زهير والأمير ؟

الراوى : . . هيا فهذا وقت متعة
والوقت فيه متسع !
سنحضر الحفل معاً !

(تضاء الأنوار وتعزف الموسيقى وتدخل الراقصات . أنغام تركية مملوكية ــ قينة تغنى)

القينة : اسكب الليل فى الشراب
ثم حلق إلى السحاب
قد غفرت الذى تولّى
كل ما قد مضى سراب
ليلتى هذه ستار
وجمال له خمار
فعيون الزمانن امت
ليس يدرى بنا المدار

صوت ١ : إنه شعر ركيك لم يسجله الزمن

صوت ٢ : إنه لا شك مرآة لما يجرى هنا !

الراوى : (يضحك) لا تعرف القيان أننا هنا !
حتى ولا الأمير
فعنده مؤرخ رسمى
يسجل الذى يريده فحسب !
(تدخل مائسة وتغنى)

مائسة : كان لى قلب وبعته
وترلى ونسيته
سأعيش العمر أبكى
وأغنى كيف بعته ؟
الليالى سادرة
همها هم طويل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ودموعى غائمة
لم تعد تشفى الغليل

زهير : (يعرف صوت مائسة) رباه هذى مائسة !

الراوى : وهكذا يا أصدقائى ــ

الحاكم : (يتنبه لوجود الراوى) من أنت ؟ مدعوّ إلى الحفل الكبير !؟

الراوى : كلا ولكن ــ

الحاكم : أقبضوا عليه !

(يجرى الراوى مع صديقيه خارجاً إلى الصالة)

مائسة : (تغنى بألحان إيقاعية)
هل ضاع منى كل شىء يا ترى ؟
أم أن حكمة الزمان أن ترى
كل الذى أردته
وقد توارى فى الثرى ؟
هل ضاع منى كل شىء ؟

زهير : (صائحا) مائسة !

مائسة : صوت من الماضى سرى
كأنه حلم الكرى

زهير : إنى زهيرٌ مائسة !

مائسة : (تغنى) كان لى حقاً زهيرٌ وتركته
كان لى قلب وخنته
سأعيش العمر أبكيه أغنى
لم خنته ؟

زهير : لكننى هنا

مائسة : زهير

زهير : مائسة !

(بمجرد اقترابهما تدخل العرافة وهى سمراء متخفية مع راقصات فى ملابس بدوية وتفرق بينهما)

العرافة (سمراء) : نحن بنات العرب
نرقص رقص اللهب
فى دمنا أغنية
تعلو فوق الصخب !

القيان : عرافة ملتاثة
ساحرة بثاثة
فى عقد نفاثة
تصخب وسط الصخب !

العرافة (سمراء) : رأيت فى الخيال
أن الزمان طال
فعادت الخيانة
لتخدع الأمانة

(سمراء تفرق بين مائسة وزهير)

تفرقوا . . تفرقوا
الحفل فخ أحمق !
وليس ينفع الغنى
وليس يجدئ الملق !

(تشير إلى الوزير)

الماكر الحقود
يريد أن يسود
لكننى عرفت
وفى المساء جئت !
تفرقوا تفرقوا
فالحفل فخ أحمق !

الحاكم : (فى غضب) ما هذه العرافة ؟
كيف تقول هذا ؟

(الحراس يحيطون بها وينصرف الراقصون)

الوزير : ساحرة مخرفة !
مولاى . . هل نسجنها ؟

الحاكم : كلا
بل انصرفوا . .
معروفٌ . . تعرفها ؟

معروف : الواقع يا مولاى ــ

الحاكم : (فى غضب) صمتا !
هل تعرفها يا عارف ؟

عارف : وجهها ليس غريباً
فيه سمرة
فيه نضرة الحقول !

الوزير : أخرجوها من هنا !

الحاكم : لكننى أريدها . .
أريد أن أسمع منها
بعض الذى تعرفه عنكم !
يا أيها الحراس آتونى بها !

(يخرج الجميع إلا زهيرا ومائسة)

مائسة : هذا الذى قالته ــ

زهير : من أنت . مائسة !؟

مائسة : (ما تزال مشتتة الذهن) لم تكذب العرافة !

زهير : من أنت . مائسة ؟
محظية ؟ ما أكذب الأخبار !
قد كنت صدقت الرواة
والآن حين انساب لحنك ناغما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لم يستطع قلبى سوى الإنكار !

مائسة : لم تكذب العرافة !
فالحفل فخ . .

زهير : (يضحك) بل كل ما فى القصر فخ !

مائسة : زهيرٌ لست أمزح
وليس الفخ إلا لك !

زهير : ماذا تراهم يبتغون ؟

مائسة : أن أعرف منك السر !

زهير : أتراه سر القمح ؟
(يضحك) سأقوله لك !

مائسة : (مزعجة) لا يا زهير لا تقله !
بل لا تقل شيئا . .
بحق حبنا (فى ألم)
بحق ما كان وولى !

زهير : تراك قد نسيتنى ؟

مائسة : بل ليس عندى غيرك !

زهير : هل تذكرين إذن ؟

مائسة : وأنت لم تنس إذن ؟

زهير : كيف أنسى
يوم طفنا بين أبراج الحمام
ثم أطلقناه فى الجو عزيزا يتسامى
مثل أحلام صبانا !

مائسة : مازلت أذكر المقاطف !
والفأس فى أيدى الرجال والنساء
وأذكر المناجل . .
وحمرة الأمواه فى الجداول
وأذكر الورود والأعشاب والشجر !
وأذكر الحجر . .
ولسعة الشمس المريرة
ووقدة الظهيرة
وبهجة العمل
وطعم حبات العرق !

زهير : أما أنا فأذكر الخميلة
وساعة العصر الظليلة !

مائسة : خميلة الليمون ؟

زهير : واذكر الجنون
فى همسة العيون
ولمسة الأيادى
وبسمة الجفون

مائسة : (فى فرح) وتذكر الحديث عند الساقية ؟

زهير : ليتنى أنساه يا مائسة !
عاش فى قلبى سنينا
صاغ دنيا من جمال !

مائسة : كان للبيت وأفراح العيال !
كم نسجنا فى ندى الفجر ظلالاً من ضياء
كم روينا حلمنا الظامى بماء الجدول الرقراق
نحن عشناه يقينا
لم يكن وحى خيال !

زهير : كان حبا للسهولْ . . للسماءِ للمياه !
كان حبا للحياه !

مائسة : مازال هذا الحب فى فؤادك النبيل ؟
يرويه مثل النيل
إنى أحس نبضه
أحس قوته
أنصت إلىَّ يا زهير إننى عدت إليك !
عادت إلينا فرحة الأحْلام
أقبل فإن الروح نادمة على ما فات
أقبل ودَعْنا نشعل الليل بنيران الصدور

زهير : عجباً . . كأنى لم أكن أنا منذ لحظة !
هل عدت طفلا أتغنى بالغرام ؟

مائسة : مازلت طفلا يا زهير

زهير : مائسة !
حب الحياة لم يزل فى أضلعى
لكن حبّى قد مضى

مائسة : حبى نما عبر السنين !

زهير : قد ضاع حبك يوم أن ودّعتنى
بل ما ذكرت أن تودعى
إذ انطلقت ذات صبح أغبر الأديم شاحب العيون
للأمير !
لم يختطفك فارس
لم يغتصبك حارس الأمير !

مائسة : تبغى انتقاماً من خطأ
ندمت عليه حبيبتك !؟

زهير : هيهات يا مائسة !
العمر لا يحتمل !
ففى فؤادى طعنةْ
والجرح لا يندمل !

مائسة : فلتسْمُ فوق الجرح يا زهير

زهير : ياليتنى حقا زهير !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فاليوم تشغلنى أمور فوق قلبىَ الصغير !
اليوم يشغلنى البشر . .
الناس . .
من يزرعون لك الترف !
من ينسجون لك الحرير !

مائسة : إنى ألفظ سجن الماضى
لا تسألنى كيف حبست
ولدىّ الوعد الصادق
بالحرية

زهير : ترى إذا نجحت فى الإيقاع بى ؟
فعرفت كيف تأكل الغربان قمح الناس ؟
إذن أقول لك !

مائسة : أرجوك يا زهير . . فلتنتظر
لا آمن الجدران !
حريتى حقا أريد . .
لكننى أخشى عليك من أذى الوالى
أخشى على الأصحاب من جنوده !
(ساخرة) حريتى ؟!
أردتها كيما أعود لك !
والآن أعرف أننى أخطأت مرتين !

زهير : لا يخطىء الإنسان إلا مرة واحدة !

مائسة : لم أكن أدرى زهير إذ مضيت
أننى خنت الحياة
وشريت الموت

زهير : لا تجزعى يا مائسة
فالعمر ما زال طويلا

مائسة : ما أعجب الأمل !
فى لحظة من الخبل
حلمت أننى
أصبحت لك
حبيبتك . . .
جاريتك !

زهير : حقولنا لا تعرف الجوارى !
وكل من فى الريف ـ
من أمهات أو بنات ـ عاملات . .
أجل ! شقيقات كفاح شامخات !

مائسة : لقد قضى علىّ ما فعلت أن أعيش دون روح !
حبيسة فى قصر ظلم أو طريدة الزمان
الواقع الكئيب يستذلنى
وليس فى الماضى شفاء !
حريتى التى طلبتها . . ضاعت مع الحب القديم
والآن ليس فى الحياة ما يشدّنى إليك أو إليها . .
لقد شريت الموت يا زهير
وخنجرى فى جانبى سوف يطيع
إن لم تكن وُدِّعْتَ فى الحقول
ها أنذا أودعك . .
(تسحب الخنجر وفى نفس الوقت يدخل الوزير صائحا)

زهير : (صائحاً) مائسة !

الوزير : مهلا كفاك مائسة !
هل تقتلين نفسك ؟

(إلى الحراس)
هيا أسحبو الخنجر منها !
(يأخذ الحراس الخنجر ويحيطون بها)

هذا الذى كنت أخافه !

زهير : مسكينة يا مائسة

الوزير : (إلى مائسة) إن كنت تبغين انطلاقا . . أنت حرة !

زهير : حرية الإنسان كيف توهب
والمرء بالمولد حر ؟
حرية الإنسان فى يده
لكنه يختار أن يبيع نفسه
يرهنها
بالمال بالسلطة بالمنصب !

الوزير : لكننى أريد أن تكون ـ

زهير : (مقاطعاً) حتى تعاود المحاولة ؟
دعنى أبوح لك . .

مائسة : (تصرخ) بالله لا تفعل زهير !

زهير : آن الأوان مائسة !
لابد أن أفضى بسر القمح !
غربان هذا العصر يا وزير هم أعوانك الكبار !
أعوان والينا المهيب
ضابطه . . عساكره !
كل ينال حصة ثم يولى . .
يقول نفسى أولا
ودولة الحريم والخدم !
هل دون قمح يَخْدُمُ الجنود
وينصرون دولة السلطان ؟

الوزير : أحبولة جديدة يا أيها الفلاح ؟
القمح يكفى كل عام للموالى ويزيد
بل إنه يكفى لدفع المنحة الجزلة !

زهير : ألم تكن تريد سر القمح ؟
ألم تكن مائسةُ فخ زهير !؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(يدخل الحاكم مع العرافة وعارف ومعروف)

الحاكم : يا أيها الوزير !
انكشفت حقيقتك !
أخفيت عنى موعد المنحة
كى يوقع السلطان بى
الموعد الأول فات من شهور
والموعد الجديد من أسبوع !
إن كنت خلت أنه لن ينتظر
وسوف يخلعنى
فأنت مخطىء
بل أنت شر من تقلد الوزارة
نصبت فخا لزهير
وجئته بمائسة
فإذ به يفضحكا !
والحق أننى مدين
لهذه العرافة التى أماطت اللثام
والآن أيها الجنود نفذوا الأحكام :

(يتحرك الجنود كأنما كانوا على علم سابق)

إنى عزلت ذلك الوزير
ولم أعين غيره !

الوزير : مولاى هذه مكيدة
عساكريهم عسكرك
بل إن كل تهمة تعود فى الواقع لك !

الحاكم : خَسِئْتَ أيها الحقير !
فَلْيُحْبَسْ الوزير
حتى أَبُتَّ فى حبائله !

(يحيط الحراس بالوزير)

معروف : عقلك الراجح وقت الأزمة
سبيل من فرات الحكمة

الحاكم : صمتاً !

عارف : لكننى أشك أن هذه العرافة
ليست سوى فلاحة
وأن بينها وبين ذلك الفلاح
(يتردد) شيئاً ما !

الحاكم : فلنبحث الأمور كلها غدا
ولنقض فيمن أرسل الرسالة السرية
يفشى إلى السلطان أمر المنحة !
أما زهير والفتاة مائسة
فليمكثا هنا . .
حتى الصباح !
إظلام

المشهد السابع

الراوى : تعقدت خيوط قصتى
ولم يعد لدى ما أضيفه
إذ أن تاريخ العصور السالفة
لا يذكر الفلاح إلا دون إسم
بل إن تاريخ المجاعات الطويل
يغفل ذكر الحادثة !

صوت ١ : لكن ألم تحدث مجاعة ؟

صوت ٢ : لكننا نريد أن نعرف !

الراوى : هيا إذن لنحضر المواجهة !
سيعلمون أننا
لا ننتمى لعصرهم
وسوف يغضبون
لكنه لابد من محاولة !

(يعود الضوء على الجميع فيما عدا معروف)

الحاكم : بالأمس قلت عارف
شيئاً يخص هذه العرافة

عارف : مولاى إننى خبير
وعينى التى تطل من وراء كل شىء
قد أبصرت كل الذى تخفيه
رأيت أنها تركز النظر
على زهير
وأنها تحول دون أن ينال مائسة !
لاحظت أيضاً أنها صغيرة
وكل عرافاتنا كبيرة !

الحاكم : كفى كفى . . ماذا تقول الماكرة ؟

العرافة : أقول إننى أنا السمراء
فلاحة الأرض العريقة
بعقلها وقلبها
وأننى أهوى زهيراً

(تنزع القناع)

الحاكم : (غاضباً)هذا كثير . . أيها الحراس !

العرافة : إذا قتلتنى
حلت عليك لعنتى

(يدخل الراوى وصاحباه)

الراوى : هذا صحيح سيدى !

الحاكم : (فى دهشة) من أنت . . قل !

الراوى : إنى مؤرخ فقير يرصد الأحداث !

الحاكم : وهذه الملابس ؟ وهيئتك ؟ وصاحباك ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الراوى : مولاى إننا نزوركم
من بعد إذنكم
كى نعرف الحقيقة !

الحاكم : من أى عصر جئتمو ؟

الراوى : وهل يهم الآن ؟

(يدخل الحاجب)

الحاجب : رسول مولانا السلطان !

الحاكم : أدخله . .

الرسول : لقد قضى السلطان
وأصدر الفرمان
بخلع والى مصر
وهكذا . .

(همهمة من الحاضرين)

يا أيها المخلوع
ليس لديك أمر
ولا عليهم طاعة !

(همهمة شديدة)

وعندما ينتصف النهار
يكون بينكم
الحاكم الجديد !

(يخرج الرسول)

العرافة (سمراء) : نبوءتى تحققت !
أنا الذى أرسلت للسلطان
أخبره بأن قمحنا نفد !

زهير : لا بأس يا سمراء
فلتفصحى عن كل شىء

مائسة : وهل أظل ها هنا
لا حرة ولا أمة ؟

زهير : صبراً حبيسة الزمن
إذ أن دورى لم يحن !

الوزير : عودى إلى القرية من جديد
فأنت حرة
وأنت مازلت فتاة يافعة !

مائسة : حقاً ؟ واسمح لى أن أسأل :
ما اسمك يا . . من كنت وزيراً ؟

الوزير : اسمى أغفله الراوى
كى يسقطنى من كتبه !

عارف : أنا أعرف كل الأسماء !

الوزير : هل تعرف أسماء الناس ؟
هذا إنجاز فذ !

زهير : فلنسمع ما عند السمراء

العرافة (سمراء) : فى كل سنة
حين يحين حصاد القمح
ينتظر الفلاحون
يبنون عليه الآمال
فهو المنجى وهو العيش
لكن فى ذروة موسمه يأتى الأجناد
ويصبون حصاد الأرض
أرض الله
فى جيب الوالى !

الحاكم : لا آخذ إلا ملء الأهراء !

الراوى : وهذه الأهراء أى مخازن الحكام شاسعة !

الحاكم : لكنها تكاد لا تكفى الجنود والحكومة !

الراوى : لا ! إنها تكفى وتكفى بل تزيد
تباع بالذهب الوفير
كى تشترى بعض الرضا
من جانب السلطان فى الأستانة !

الحاكم : (صائحاً) هيا اقبضوا عليه

(لا يتحرك أحد)

الراوى : راح زمان السطوة
والمنعة والقوة
وغدوت بأسفار التاريخ
رقماً بالهامش لا يذكر !

صوت ١ : أما ذكرت اسمه ؟

صوت ٢ : ألم تقل لنا عليه ؟

زهير : أيها الراوى رويداً
نحن لم ننه الرواية !

العرافة (سمراء) : فى كل عام قلت
تأتى إلينا الغربان
يأتون . . يجمعون ينهبون يضربون يقتلون
لهم خناجر مدببه

زهير : مخالب الغربان

العرافه (سمراء) : والسيف كالمنقار !

زهير : لو أنهم كانوا يقدمون مالاً
حتى ولو بعض الثمن !

الوزير : يا عجباً وأين يذهبون بالنقود ؟

الحاكم : لكنها تذهب فى جيبك !

الوزير : بل ربما فى جيب عريف جقير أو سواه
بل ربما دفعت إليك !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحاكم : أمسك لسانك أو ينفذ فيك حكمى !
إنى حكمت بأن (يتردد) حكمت بأن ــ
(يضحك البعض)

زهير : ولهذا حين أتى
محصول العام الحالى
قلنا لا داعى للغربان
إنا نحن زرعنا القمح
وسنحصده فى أى الأحوال

العرافة (سمراء) : فلماذا ننتظر الغربان ؟

زهير : الناس تولت حصد القمح وتوزيعه
فى كل مكان
بين الزراع ، على التجار ، وبين مطاحن أهلينا !
دفع الشارون لنا ثمنه
فانتظم الحال !

العرافة (سمراء) : ولن تأتى المجاعة
ولن يأتى الغلاء !

الحاكم : سآمر الجنود (يتردد) أى إننى
أقول للذى ــ
يخلفنى (فى ألم)
أن يأمر الجنود أن

زهير : لا تستطيع الجند أن تهزم كل الناس !
لربما يحاولون أن ينقبوا
لكنهم لابد أن يقلبوا أرض البلاد
بل كل شبر فى قرانا الشاسعة !

عارف : الحق أن الجند متخمةٌ ولا تبغى المزيد !

الحاكم : لكن كل الناس تطلب المزيد

زهير : لا ليس كل الناس بل أنتم وحسب !

العرافة (سمراء) : فنحن لا نريد إلا حقنا
ومثلما قال المثل
من حق من زرع
أن يجنى الثمر !

زهير : مولاى يا مخلوع أنتم ترفلون فى الحلل
وتزدهون بالذهب
وكله من هذه السواعد التى
تحيا على الأرض وتفنى فيها
والآن تبكون ضياع القمح
وربما صدقكم أصحابكم
ولكن انظروا
القمح فى أيدى الرجال لم يبارح الوطن
فكيف تزعم الضياع ؟
إن الضياع يا عباقرة
هو انتهاب أرض مصر
لدفع منحة
أو جزية
أو ما يسمى بالخراج !

الوزير : لقد جرى العرف عليه
وكان فى نيتنا إصلاحه
وأنت ضيعت الأمل !

زهير : (ساخراً) العرف يا . . وزير !
ونية الإصلاح ؟

الوزير : قد ضاع ذاك وهذا !

زهير : مأساتكم يا سادتى
فى أنكم لا تفهمون !
فكلكم يبكى ضياع ما يهمه
ولا يهم غيره
أما الوزير فهو يبكى منصبه
وعارف يريد أن يكون
شيخاً لأشباح الظلام
وكل من فى القصر والحكومة
يخشى عوائد الزمن
بعد رحيل الوالى !
تعلقت عقولكم به
وقد نسيتم أنه بشر
فرد من الأفراد !

الوزير : أضجرتنا يا أيها السخيف !
هيا بنا نستقبل الوالى الجديد !

الراوى : مهلاً فلم يكمل زهير

زهير : لا بل كفى . .

الراوى : أكمل أقول لك !

زهير : يا سيدى ! الناس تبحث عن بطل !
وهذه الحكاية
ليس لها بطل !

الراوى : ألست أنت بطل ؟

صوت ١ : لقد خدعتنا !

صوت ٢ : من المسئول عن هذا ؟

الوزير : هو المسئول لا غيره !

زهير : لكننى رجل
مثل الرجال
وكل إقليم به ألف زهير
لا بل ألوف مثلى
لكنكم كما درجتم فى تراث الحكم عندنا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تبغون فرداً واحدا
يا سيدى الناس هم أبطال هذه الحكاية
أرجوك يا راوى الرواية
اشرح لهم معنى النهاية !

مائسة : أرجوك يا زهير !
أحس فى نفسى لهيباً
يكاد أن ينفجرا
لا يا زهير ليس حبك القديم
لكنه جرح عميق
كيف تركت هذه السواعد الأمينة
كيف تركت الأرض والحقول والمياه
كيف تركت الناسَ .. خنت نفسى
بل كل شىء !
بالأمس كنت أشتكى ضيعة حب
والآن أبكى نميعه الكيان !
إن كنت قد كفرت فى هذا المكان
عن الخطيئة الصغيرة
وسُمْتُ نفسى الذّل والهوان
فإننى أشتاق أن أمحو خطيئة الضمير
وأشترى حريتى بالعمل !

زهير : هل تقبلنى القرية إن عدت لها ؟

العرافة (سمراء) : الأرض أم رؤوم
والصدر منها رحيم !

زهير : ونحن لا نقتص بل نغفر !
ففى الحقول مرتع لكل حلم !

الراوى : لابد هنا أن أتدخل
فالحاكم يوشك أن يدخل !

صوت ١ : هل وصل الموكب

صوت ٢ : خبرنا عنه

الراوى : لا شىء جديد
فالحاكم يتبعه معروف
ويصوغ له بعض مدائح !

الوزير : معروف هذا .. صاحبنا ؟

الراوى : معروف هذا صاحب كل الحكام !
ولسوف يظل بمنصبه
ينعق فى سمع الأيام !

صوت ١ : مثل الغربان

عارف : لكنى جاسوس مخلص
هل أبقى يا راوى الأزمان ؟

الراوى : أن تبقى أوّلاً تبقى
أمر تافه
لا يعرفه إلا السلطان !

صوت ١ : أما الذى يهم يا صحاب
فإنه العودة للحقول

صوت ٢ : لأننا لا نعرف الذى سيفعله
الحاكم الجديد !

الراوى : (إلى الجمهور) قد كنت أرجو أن أقول :
«الحاكم الجديد يختلف »
لكن أحداث الزمان هنا
تخذلنى
فالفترة التى نعيشها
قائمة على خلل

صوت ١ : لم يعد فى مسمع الليل كلام !

صوت ٢ : لم يعد فى مسمعى أنغام !

(صوت معروف من خارج المسرح ثم يدخل خلف الحاكم بالغ الضخامة)

معروف : يا غزالاً يتهادى فى الصباح
زانه فى مفرق الشعر وشاح !
يا رشيق القد والسحر مباح
إن يكن فى مبسم الحاكم لاح !

الراوى : وهكذا ترون .. لابد أن نمضى !

(تهبط الستار بينما ينصرف الجميع ــ الحاكم والوزير من ناحية وزهير وسمراء وخلفهما مائسة من ناحية ــ وعارف ومعروف يحيطان بالحاكم الجديد)

ستار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اعتدال عثمان

شعر

رابسودية الخروج

صُحْبَةٌ رَحَلنا ، ذرات عشقٍ آتية من الزمن البعيد ، ذاهبة فى محنِ الاختيار ، إذا ما وقعتْ على الأرض حبلتْ بقبضة سنابل وخيمة ظل ، وبيننا وبين ما نطلب بوابات الجحيم السبع ، أَلِفُهَا جحيم المولد وياؤها جحيم القهر ، وبينهما ، جحيم بلادى والغربة والفرقة والموت .

الأحلامُ تفرّ منا والجوعُ يجرى وراءنا ، والضّيقةُ العظيمة تضيق علينا ، فهلك من كان منا من بلاد الحر فى بلاد البرد ، ومات من كان منا من بلاد البرد فى بلاد الحر . وتصرفتْ فينا الصواعق ، وتحكمت علينا العواصف . وغلبنا تمساح القهر . وأصبحنا تراباً معلقا فى أكف الرياح ، وغبارُ الخوف يجللُ مفْرِقَنَا .

وأنا مع الصحاب وحدى خائفة . أخاف إنْ عشقت ، وأخاف إن لم أعشق . وأخاف ألا أخاف . وأخاف أن أخاف ألا أخاف . وأمضى مع الصحاب إلى وادى الطلب . وحدى فى خوفى ، وفى رفضى أن أخاف . وأخاف وأمضى من وراء الخوف ، والخوف أمامى وخلفى ، وأنا فيه . أطلعُ من بين أسنانه وأمضى ومن خلَص من الصحاب .

فى البحر كنا دودا على عود عُلّقنا بين برق وألق ، لا نعرف إن كنا اشتقنا أم شُوِّقنا ، ونعرف أنّا تزلزلنا لما رأينا ورفضنا ، فأعددنا عدة الفقراء ورحلنا .

فى البر كنا تخضبنا بدماء القلب كالوردة لكنّا لم نملك زرعا ولا حَرْثا فرحلنا ، ولأنّا لا نملك شيئا غير دماء القلب غنينا السنابل ووردَ العقيق .

وفى البر والبحر ضاقت بنا الأنفاس ، ولم يدركْنا غير سمسار نخاس باعنا مرة ، وقواد خوان زنيم يُسْلمنا فى كل مرة . وكاد اليأسُ يكون مدركنا ، لكن هيهات ، فلا يأسنا يدوم فننصرف ، ولا شوقنا يصح فنأتلف ، وإنما نمضى كالهوام ، نطلب ما نطلب ، لو توهمناه فى تيه سلكناه ، أو وراء نارٍ أججج تلهبنا بها ، وأطعمناها وردة القلب ، فلا النار تهجع ولا القلب ينثنى . وبيننا وبين البر والبحر والسماء حجاب ، فلا الشمس شمْسُنَا ، ولا القمرُ مضيء لنا ، وما نحن إلا رؤوس مدرجة بالشفق ، تمرُّ عليها سيوفُ أشعة الشمس كل ليلة فتملأُ قِدْرَ الدنيا بدمانا وتتركنا فى شحوب الموت . والليل زنجى يحترق تحت الرماد .

وما نحن إلا صحبة تسعى فى وادى العشق والطلب ، نسأل : أكان البدر يتناقصُ من محبتنا أم من محبة الليل ؟ إذ رأيناه ينثر الفضة على رؤوسنا مرةً ، وعلى رؤوس الشجر مرة ، أو يعقدها على مَفْرِقِ جبل النرجس تاجاً لزهرة ، ثم يُسْلمُ الروحَ بين أيدينا فى كل شهرٍ مرة .

وأنا مع الصحاب رأيت الكنز فى البحر والبحر طلسم ، بحثت عن طلسم الجسم فى الروح فوجدت الروح جسما للغيب ، فَحِرْتُ ، وقلتُ : العالم قطرة من ذلك البحر ، وأنا

ذرة فى قطرة ، قامرت بالعقل والقلب والجسم والروح كى أبلغ أعراف وادى المعرفة ، أبغى أن أعلمَ تمام كُنه البذرة .

وأنا مع الصحاب رأيتك بذرةً فىَّ تطلب غاية الوصلِ حتى لا أقول إلا إننى هى ، وتطلبُ ، غايَة البعد حتى لا أقولَ إننى هى ، وكنت أناعين البذرة فى الوصل والبعد وهى ليست منى ، فسبحان من وضع فىَّ ما هو عينى ؛ فأرى بى وبها ما يُفنى ويُحيى .

وأنا مع الصحاب ، نعبرُ وادىَ المعرفة لم يكن السهلُ سهلا ، ولا البحر بملآن ، ولا هو صادىَ الشفة . والكواكبُ ومضةُ ضوءٍ حديديةٍ ضائعةٍ فى الفضاء . ومصباحُ الكونِ خابى اللهب . والسعيرُ رمادٌ تأجج بصرخات أطفالٍ سمرٍ من بحر ظلماتنا الأبيض القانى . والدنيا تمتد من بحرِ العرب إلى القمر مُكْتَوِيَة القلب ، ومن المحيط المالك إلى الخليج الغارق تمد يَدِىّ النفطَ ولا تبالى . والناس نيام فى حرقة الهجير كذرة فى ظلٍ ما هو بظل . ونجومٌ تتساقط من محاقٍ أبدى . ودود الأرض يلتهم منا الأخضر المبثوث حتى الجذور . وانفجارات الحروب فقاقيع تنفثىء فى صحفنا الصباحية . والقتلى يشيرون بأصابع مقطوعة إلى مجهول موجود ، لا يحرك شعرة ، فما هم إلا نملة عرجت فى قاع بئر جاف ، أو حبة رملٍ نقصتْ من هيول الصحارى .

وأنا مع الصحاب ورقةٌ مصفرةٌ معلقة فى ذؤابة شجرة تسعى فى غابة ، والغابة فى واد ملىء بحيات وعقارب وتنانين ، إن نفسح لها قيدَ شعرةٍ يطلعُ من كل واحد منها مائةُ تنين ، ومائةُ حية ، ومائةُ عقرب .

ونحن ما زلنا نسعى حتى وصلنا ذلك المكان فتلاشينا وتلاشى ، لأننا كنا وحدنا ظاهرين . وصَمَتنا ، لأننا كنا وحدنا متكلمين . وتولّد من كل أربعةٍ أربعة . وخرج مائةُ ألف من مائةِ ألف ، غير أنّا تملكتنا حيرةُ الحرف ، وأصبنا بداء الورق وأصبحنا تتلاحق منا السطور ، وكل سطر مصوب كالسيف يقطع الأوصال ، فتقطر دمانا لا من مسام السيف ولكن من جذر كل شعرة . والسطور زلقةٌ لا نقبض عليها ، ولا نثبت فوقها ، وإنما تمشى بنا من تحتنا ومن فوقنا والأسى بطعم المر والحارق اللاذع الرخو .

نعرفُ ما زلنا أننا ذرات عشق ، لكنا لا نعرف من نعشق ؟ والجهات تداخلت فلا فرق بين أقصى الأقاصى الدانية ، ولا فرق بين الأحمر الأطلسى واللازوردى المتوسطى . والبحرُ صار هائجا يمحو نقوش الشواطىء . وسراجُ القلب لا يقوى على الريح والموج . وزيتُ المحبة غاضَ وكاد ينعدم . وبراقُ النجاة جامح فى الصحارى.والقباء تغص بالخلق لكنها مقفرة . ونحن نغرق ولا يقرُّ لنا قرار .

وأنا وحدى مع الصحاب ، قد زايلنى الخوفُ لحظةً ، فإذا بى أطمسُ فى الغمر عينى ثم افتحها ، وآخذُ من قنديل القلب سِناجه أُكَحّل به العين المطموسة فيدخلها شعاعٌ من وميض الغمر . وآخذ من قنديل القلب سناجهُ وأصنع مدادا يخط على الطريق سطرا فأقرأ :

إذا كنت أيها القلبُ عاشقا فكن شمس ليل ، وكن غيم صحو ، فلا الليل غيب ، ولا الصحو يجلو ، ولا العشق ينسى .

إذا كنت أيها القلب طالبا فبينك وبين خيمة ظل وحبة قمح حجاب ، آن له أن ينطوى فإذا لم ينطو فكن للطريق عارفا وتزود بالحذر والنظر قبل العمل ، ففى كلِّ ذرة فى الطريق عقبة ووراء كل عقبة ذرة عقبة . وما أنت أيها القلب إلا عابرٌ ، لكنك لابد واجد فى وادى العشق والطلب .

وإذ ذاك أدركت الخبر فقفزت كالبرق وقلتُ أعبرُ بحار الجحيم السبعةِ إلى الصحاب ، وعندما كنتُ أعبر البحار،من جحيم بحر الألف إلى جحيم بحر الياء ، جذبتنى شبكة هائلة فيها أصداف منغلقة على دمعٍ كالحجر ، وفيها سمكٌ وعشبٌ ومرجان . وعلى الشط وجدت الصحاب فى انتظار ، وإذا بيدى الممدودة كالبرق يطلع منها سنبلة والسنبلة لها ظل كالنخلة . ونحن ذراتُ عشقٍ نطعم سمكا ورطباً جنياً ، وحولنا جبال النرجس ، والوديانُ حبالى بورد العقيق .

القاهرة : اعتدال عثمان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صلاح عبد الصبور.. الحياة والموت

عبد الله خيرت

يُتيح لنا هذا الكتاب الصغير للأستاذ نبيل فرج ، فرصة الحديث بهدوء ـ كما كان يفعل صلاح عبد الصبور ـ عن بعض القضايا التى شغلته ، وعن تصوره لدور الشاعر ومفهوم الشعر ، ورؤيته لمعاصريه والسابقين عليه من الشعراء ، وكدحه الدائب للخروج من تحت معاطفهم الفضفاضة ، ونجاحه فى ذلك ، ليكون الشاعر المتفرد الذى نعرفه اليوم .

والكتاب مجموعة من الأحاديث الهادئة التى سجلها الكاتب مع صلاح عبد الصبور على امتداد إحدى عشرة سنة ، آخرها كان قبل موته بفترة قصيرة ، وهى تكشف ـ حين رتبها الكاتب حسب تسلسلها الزمنى ـ أن الشاعر رغم هدوئه الظاهر كان يخوض حرباً قاسية فى داخله ، وكان يأخذ نفسه بالشدة حتى لا يتكرر فيكون ديوانه الأول هو ديوانه الثانى ، أو يقع فى أسر غيره من الشعراء وتظهر بصماتهم واضحة أو خفية فى أعماله ، وهذه المراقبة اليقظة جعلته يرى غيره من الشعراء رؤية موضوعية ، غير مبال بالضجيج الذى يثار حولهم ؛ فهو يقول عن بدر شاكر السياب ١٩٧٢ .

« . . أما السياب فقد تعاصرنا وتحالفنا وتصادقنا . وفى ظنى أن ما أفدته منه هو أننى توخيت ألا أقع فى نواقصه ، مثل حرصه على إيراد الأساطير وأسمائها بحيث تثقل القصيدة ، ومثل انسياب القصيدة عنده بحيث تفقد طابعها المعمارى . . » .

ويعود الكاتب فيسأله فى سنة ١٩٧٨ نفس السؤال فيقول :

« . . أما مكان بدر السياب على الخارطة الشعرية فهو كبير ، هو قارة كبيرة شعرية محددة الشطآن والخلجان . ولكن ما يعيب بدر هو عدم قدرته على فهم سر التشكيل فى القصيدة ، فقصائده الطويلة تنساب انسياباً عشوائياً يفسد معمارها الفنى ، وفى ظنى أن أروع ما كتب بدر هو قصائد مرضه ، أما محاولاته فى الاستمداد من الأساطير ، ومن الثقافة المعاصرة فقد كان يغلب عليها طابع القص والتلزيق . . . أما الآخرون فأنا قد كففت عن قراءة أدونيس . . وكذلك البياتى لأنه يقلد أدونيس . . . » .

هذا الوعى الشديد بما يبدعه الآخرون وما يقعون فيه من أخطاء ، القراءة الجيدة لأعمالهم ، عدم الانسياق وراء الأوهام التى يروجها بعض الشعراء عن أنفسهم أو يروجها أصدقاؤهم ، ثم الثقافة العميقة الجادة وعدم الرضى عن النفس ، كل هذا جعل من أعمال صلاح خطاً صاعداً لم يتوقف عن النمو إلى آخر قصائده التى كتبها .

ولكن هناك مسألة أساسية شغلت الشاعر أكثر من غيرها وتكررت شكواه منها ، هى قضية اللغة التى يكتب بها الشعر ، وهو لم يشك فقط وإنما يقول بتواضع شديد إنه يجد نفسه عاجزاً عن التعامل مع اللغة . ومن الطبيعى أن تكون هذه المسألة هى الهم الأكبر للفنان الذى يمسك بالقلم ، إذ لا يملك وسيلة أخرى يتواصل بها مع الآخرين ، وهذا التواصل هو أقصى طموح كل فنان ، ودعك مما يردده بعض أصدقائنا من الشعراء الآن .

فبعد أن يؤكد صلاح عبد الصبور أهمية إدراك «أن الأدب فن لغوى وأن اللغة

الفقيرة تعنى بالتالى فكراً فقيراً ، لأننا نفكر بالألفاظ» يعود بعد ذلك حين يسأله الكاتب عن الصعوبات التى تعوق الشاعر فيقول :

« . . لا أزال أعانى صعوبة لغوية ، ولا أعتقد أن جيلنا سيستطيع السيطرة التامة على اللغة للأسباب الآتية :

١- أن ٩٥ ٪ من ألفاظ اللغة مهجور ، يغط فى بطن القاموس .
٢- أن ألفاظ المصطلحات الحديثة لا نستخدمها فى الشعر لأننا نفتقد الجرأة على ذلك .
٣- أن الفاظ الحياة اليومية بعيدة أيضاً عن مجال التناول الشعرى .

ويبقى لنا بعد ذلك كومة صغيرة من الألفاظ ندور حولها ، وجميع الشعراء العرب المجيدين اقتحموا مجالها» .

هذه هى العوائق التى يعترف شاعر كبير ـ درس اللغة العربية وآدابها دراسة متخصصة ـ أنه يصطدم بها ، ولذلك فحين ندخل عالمه الشعرى يدهشنا هذا الاقتحام الجرىء الهادىء الذى مكنه من خلق هذا القاموس الخاص وهذه اللغة التى تتميز بتكويناتها الجديدة ، وهذا الاقتصاد الشديد ، حتى لا يفقد سيطرته على ذلك البحر الهائج الذى يغرق كثيرون بين أمواجه أو يكتفون بالسباحة فى خلجانه الهادئة .

ولعل هذه الحساسية الشديدة عند صلاح عبد الصبور نبعت من إحساسه بمسئوليته أمام نفسه أولاً ثم أمام القارىء ، فهو يقول :

« . . ليسأل الأديب نفسه : ماذا أريد أن أقول ، لا ماذا يراد لى أن أقول ، وبغض النظر عن الضوضاء الغوغائية فى أجهزة الدعاية ، ينبغى أن تنطلق كلمة الأديب الذى يستحق هذا الاسم . إن الكاتب مسئول ، وشرعية وجوده لا تقل عن شرعية وجود النبى والسياسى والصانع والفلاح وغيرهم من صناع الحياة ، ولكى يكرِّس هذه الشرعية ينبغى أن تنبع كلمته من ذاته الواعية النزيهة ، وينبغى أن يدرك الكتاب أنهم قبيلة هامة من قبائل المجتمع ، ليسوا خدماً للسياسيين أو التكنوقراطيين أو رجال الدين . إن دورهم هو تصحيح المسار الوجدانى للإنسان ، وهذا دور لا يقوم به سواهم» .

قرأت هذا الكلام وتذكرت مناقشة قريبة دارت بين بعض الشعراء وكان الموضوع هو هذه اللغة التى يجب الثورة عليها وتحطيمها ، وظللت أستمع فإذا أكثر هذا التحطيم يراد به كسر القواعد النحوية التى تفقد الجملة بها معناها ، والدوران حول تعدى الفعل ولزومه والاكتفاء بكلمة بدل جملة . . وهكذا . ثم علت من الجميع صيحات الاستحسان حين ردد أحدهم «اخترقت عصفورة رمحاً» . . وقلت لنفسى **لو أن علاقة هؤلاء الشعراء بالنحو ـ وليس بالأدب العربى ـ قوية لعرفوا أن كل كتب النحو ورد فيها مثال قريب من هذا كشاهد على جواز تقدم المفعول على الفاعل حيث يقولون «خرق الثوب المسمار» . .**

وليست هذه هى البلاغة الجديدة ، ولا التكوين اللغوى الحديث ، وإنما يتم ذلك حين يواصل الفنان دورانه حول هذه اللغة العصية محاولاً أن يمسك بها حتى يتحقق له ذلك ، كما يفعل صلاح عبد الصبور فى هذا المقطع من قصيدة البحث عن وردة الصقيع :

أبحث عنكِ فى العطور القلقة
كأنها تُطل من نوافذ الثياب
أبحث عنك فى الخطى المفارقة
يقودها إلى لا شىء ، لا مكان
وهم الانتظار والحضور والغياب
أبحث عنك فى معاطف الشتاء إذْ تُلف
وتصبح الأجسام فى الظلام
تورية ملفوفة ،
أو نصبا من الرصاص والرخام
وفى الذراعين اللتين تكشفان عن منابت الزغب
حين يُهل الصيف
ترتجلان الحركات المُلغِزة
وتعبثان فى همود الموت والسموم والزحام
حتى يدور العام .

وإنما ركزت على هذه النقطة مع أن الكتاب يثير قضايا كثيرة ، لأننى أحس أن أزمة كثير من شعر هذه الأيام هى أزمة سوء فهم للغة أو مع اللغة ، وأنه حين يتم هذا الاتصال الحميم بين الشعر وبين اللغة سنقرأ شعراً جيدا كشعر صلاح عبد الصبور .

وكنت أريد أن أناقش الكاتب فى إصراره على بداية كل حديث ، بالكلام عن الشاعر وأعماله الشعرية والنقدية ، وقد يقول إن هذه أحاديث نشرت فى أماكن متفرقة ، ولكن هذا ليس عذراً ، فقد كان يمكن للكتاب أن ينظم أكثر من ذلك وأن يكتفى فى أول كل حديث بتاريخه ومكان نشره .

ولكننى لن أثير هذه المسألة ، فيكفى الأستاذ نبيل فرج أنه أتاح لنا من جديد أن نرى صلاح عبد الصبور هذه الرؤية التى تقربه أكثر وتعطى أبعاداً جديدة لشعره .

القاهرة : عبد الله خيرت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المربد السادس
الشعر والنقد: وحدة الشعور.. تشتت الفكر

سامي خشبة

تأخرت ـ ربما كثيرا ـ فى الكتابة عن المربد السادس (الثالث بالنسبة لى) . . أجل . . فما كنت أريد أن أكتفى بنقل أنباء سيكون الجميع قد عرفوها قبل أن أخط حرفا . . إن لم يكونوا قد توقعوها قبل أن تصلهم .

أكثر من ألف شاعر وناقد وكاتب وأديب عربى دعوا الى المربد السادس : نزار سيلقى كلمة الأدباء العرب فى افتتاح المهرجان . المهرجان سيعقد هذا العام فى بغداد لتستوعب هذا العدد الهائل على أن تكون رحلة ليلية إلى البصرة لزيارة تمثال السياب واقامة ندوة وتلقى تحيات أبناء الجنوب الصامدين عند خط النار الأول . الدعوات وجهتها بغداد إلى كل ابنائها الشاردين الذين اختاروا لنفسهم المنفى فى بلغاريا أو براغ (الجواهرى) أو فى عدن (سعدى) وغيرهما ، وبعثت لهما ولأ صحابهما بوفود خاصة تحمل دعوات رسمية وتعهدات رسمية ايضاً ـ ومن اعلى مستوى فى القيادة العراقية بالمغادرة إلى حيث يشاءون وقتما يشاءون ـ ولم يحضر الجواهرى ولا سعدى يوسف ولم أعرف جوابهما ـ خسارة لهما وللمربد ولكل من اشتاقوا اليهما وإلى غيرهما من كل مثقفى بلديهما والوطن . .

أنباء أخرى : ستعقد (عقدت) حلقة دراسية لمناقشة الشعر والحداثة ، الشعر والنقد الجديد ، الشعر والحرب ، الشعر العربى الآن . . الخ . . الخ . . يشترك فيها نحو ما ثتين بين باحث ومناقش ومتابع من كل أطراف الوطن ومن بعض الضيوف الأجانب المستشرقين . الدعوة ممتدة (امتدت) بعد المهرجان لمن يريد البقاء فى العراق أياما أخرى لزيارة مدن أهل البيت ـ النجف وكربلاء ـ فى العتبات المقدسة ـ أو للصعود شمالا إلى الموصل ـ الندوات الشعرية تعقد (عقدت) فى مسرح الرشيد . بمبنى هيئة المسرح . بينما يتم الافتتاح بجلسة فى قاعة المؤتمرات الكبرى بمبنى الاتحاد العام للعمال التى كانت قد أعدت لاستضافة مؤتمر قمة عدم الانحياز السابق الذى عقد فى نيودلهى بدلا من بغداد لظروف الحرب وحتى تتاح الفرصة لا يران نفسها ـ من شقت صف عدم الانحياز ـ للحضور بينما تعقد جلسات الحلقة الدراسية فى احدى قاعات فندق المنصور ميليا قبالة مسرح الرشيد على الشاطىء الشرقى لدجلة . وصل محمود درويش للمشاركة فى المهرجان قبل نهايته بيومين . . الخ . . الخ . .

ما كنت أريد أن أكتفى بمثل هذه الأنباء ، ولا بإجراء عدة لقاءات مع عدد من كبار وجوه القوم لأسأل أسئلة سئلت من قبل أو ما يشابهها ، فقد كانت تطرحهاأمامى ، ومن حولى أجوبة كثيرة ـ أصيلة ـ على مئات أسئلة لم يطرح أحد بعينه ، إنما طرحها على الجميع واقعنا التاريخى القائم ، فى الشعر والنقد كما فى الحرب أو السلام ، كما فى بناء مجتمع جديد وحمايته من عوامل الافناء أو الهدم وكما فى التيقظ لما ينبغى أن ينتبه إليه الساعون إلى البناء وإلى أن يحسنوا حماية ما يشيدون .

وما كنت أريد أن اكتفى بتسجيل انفعالات جياشة تملأ قلب العربى ـ خصوصا إن كان من مصر ، كلما عبر حدود قطره مشرقا أو مغربا أو سارحا إلى الجنوب ، مثل تلك الانفعالات التى بدأ بها شيخنا الأول فى ارتياد معالم هذا العصر ـ الشيخ حسن العطار ـ رسائله عن رحلته العلمية إلى مشرق الوطن العربى قبل قرنين من الزمان كاملين « ما كنت لأصبو إلى شىء غير جرعة من ماء دجلة ، أروى بها ما اصابنى من غلة ! . . » تلك كانت انفعالات طيبة أفضت

إلى طريق طويل من الأحداث ومن الانفعال بها ، وإلى القليل من إعمال العقل الذى كان « إعماله » أول ما طلب منا الشيخ العطار . . ولكن هاهو الطريق تستبين معالمه وإن أطبقت عليه سحب داكنة لا ينفع معها غير تحديق النظر وإشهار سلاح العقل وحدة !

* * *

فى المربد السادس لم ينفرد الشعر بالاهتمام ، رغم أنه كان صاحب الدعوة ـ اجتمع معه الفكر والحرب : اجتمع ثلاثى الحلم وتحليل الواقع والعمل على تغييره ـ بالسلاح والعقل ـ سويا . الشعر هو الحلم أو تجسيده ، والنقد هو الفكر او تجليه فى المربد السادس . أما الحرب فلم تأت لها ببديل ! كانت هناك ، بذاتها شمطاء مثلما وصفها الشاعر القديم ، بعد أن عبرت بها خمسة أحوال .

هذه هى المرة الأولى التى يجتمع فيها الفكر العربى ـ متجلياً فى النقد ـ مع الشعر والحرب (فى المربد الخامس ـ وكان هو مربدى الثانى ـ كان الشعر والحرب وحدهما) ففى المربد السادس ـ خريف ١٩٨٥ نظمت أول حلقة دراسية يعرفها المربد الحديث ، من عدة جلسات طوال ، ضمت قرابة خمسة عشر باحثا وأكثر من مائتى مناقش ومستمع . الباحثون مثل الفكر العربى نفسه . وأخشى أن أقول إنهم يعكسون حال الفكر « القومى » العربى كما عرفناه منذ الخمسينيات على الأقل : أى أنهم واقعيون أحياناً رمزيون أحياناً ، شكلانيون أحياناً بنيويون أحياناً ، السنيون أحياناً . . ولا شك أن قارئا يعرفنى سيدهش مثلما أدهش من نفسى منذ سنين عندما أقرر أن أكثر ما وجدته قريبا من « طبائع الأشياء » ، فى الشعر والنقد ، هو ما أعده الأستاذ الجليل الكبير الذى يبحث عن بذرة الجديد فى جذور القديم ؛ أو يبحث عن مكونات الجديد جنينية فى تفاعلات وكيان القديم (ألم تكشف لنا قوانين الطبيعة والفلسفة والتاريخ ، أن الجديد إنما هو تخليق أنجزه تعارض الأشياء وتناقضها فى إطار القديم ، حتى يتبلور نقيض كامل يقهر قديمه وينفيه بينما تتخلق فى الاطار الجديد أشياء يبدأ تناقضها منذ لحظة ولادتها بالذات !) . .

الغالبية العظمى من الباحثين النقاد ، يرون أن جريرا كان كامنا فى امرىء القيس ، وأن أبا نواس كان كامنا فى جرير ، وأبا تمام فى أبى نواس ، والمعرى فى المتنبى . . والبارودى فيهم جميعا وكذلك شوقى وحافظ والرصافى . . وأن نازك والسياب كانا كامنين فى الجميع . . تتراكم تطورات التاريخ ـ المجتمع ـ والثقافة واللغة ، تتفاعل إلى أن تنضج « الظروف » ثم يأتى « العبقرى » الذى يقوم بدور القابلة . (اعتذر عن التشبيه القديم المستعار ولكنه لا يزال أكثر التشبيهات قدرة على الاختزال) . . الجميع يقرون بهذا التصور بشكل علنى أو مضمر . . ولكن القليلين هم من يستطيعون مواصلة البحث ـ خصوصا إذا انتقلوا من التنظير إلى التطبيق ـ على نفس المسار ـ الجميع يبدأون ـ نظريا ـ من أن الشعر الحديث الآن لم تنبته أسنان التنين ولم يهبط من السماء انما هو تجسيد شعرى للتطور الطبيعى لمجتمعنا وعقلنا وثقافتنا ولغتنا (وسط تأثرها كلها بما يصلها من العالم) وحساسيتنا . . حتى إذا بدأ أكثرهم فى التطبيق صار بعضهم واقعيين أحياناً ، وبعضهم رمزيين أحياناً ، وبعضهم شكلانيين أحياناً ، وبعضهم بنيويين أحياناً ، وبعضهم السنيين أحياناً . . وفى الجلسات النقدية ، أختلطت الأمور ، وستكون لنا الى الابحاث عودة علنا نميز شيئا من الأشياء . .

أقطع هذا السياق لأننى أحب أن نلقى سوياً نظرة على الجلسات الشعرية ـ وحيث أننى أخذتكم اولا إلى جلسات الحلقة الدراسية ، فقلت ما قلت ، اسمحوا لى أن نقرأ سوياً بعض مقاطع من واحدة من القصائد ، أو قل أنها واحدة من « أجمل » ما قرأت من الشعر العربى الحديث ، فى هذا المربد ، وفيما سبقه من مهرجانات ودواوين . . القصيدة للشاعر العراقى « الخمسينى » يوسف الصائغ عنوانها :

المعَلِّم

هى سبورة . .
عرضها العمر . . تمتد دونى . .
وصفٌ صغير . بمدرسة عند «باب المعظم»
والوقت . . بين الصباح ، وبين الضحى
لكأنى المعلم ، يأتى إلى الصف مضطربا ،
ويكتب فوق طفولتنا ،
بالطباشير بيتا من الشعر ،
- من يقرأ البيت ؟
قلت :
- أنا . .
واعترتنى من الزهو ،
فى نبرق ، رعدة ، فنهضت
- على مهلٍ . . قال لى .
- تهجأ على مهلٍ . .
إنها كلمة
ليس يخطئها القلب يا ولدى . .
ففتحت فمى ، وتنفست ،
ثم تهجأتها دفعة واحدة :
(وطنى . .)
وأجاب الصدى : وطنى . . وطنى
فمن أين تأتى القصيدة
والوزن مختلفٌ ،
والزمان قديم ؟
كان صوت المعلم يسبقنا :
(وطنى . . لو شغلت . .)
ونحن نردد : (بالخلد عنه . .)
فيصغى إلينا ، ويمسح دمعته بارتباك
فنضحك . .
الله . .
يبكى ونضحك ، حتى يضيق بنا ،
فيهمس :
- ما بالكم تضحكون ؟ أيها الأشقياء الصغار . .
سيأتى زمان ، واشغل عنه
وانتم ستبكون . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وزنان مختلفان ،
وقلبٌ تقاسمه جدولان ،
من الحب ، والضرب . .
مات المعلم منذ سنين
وسرت وراء جنازته ،
وكان معى (وطنى . . لو شغلت . .)
وكان يراقبنى الناس (بالخلد عنه . .)
ومرت سنون ، ولم يبق فى الصف
غير الغلام الذى كنته ، بين عشرين ،
فى الأول المتوسط
قال المعلم :
- من يقرأ البيت ؟
قلت :
- أنا أقرأ البيت يا سيدى . .
ونهضت . .
ولكننى لفرط المحبة ،
أخطأت فى النحو . .
فاسودَّ لون الطباشير ،
واحمر وجه المعلم ،
وامتلأت وجنتاى ،
بحبِّ الشباب . .
(. . . . .)
المحبة دين ،
فيا سيدى ، أعطنا ندماً بقدر محبتنا . .
وخذ قلم الفحمِ ، وارسم لنا شاربين
وزوِّر رجولتنا
وقدنا معا
لمظاهرةٍ عند باب المعظم
نحمل وراءك سبورةً من قماشٍ قديم
وبيتاً من الشعر
لا يخطىء القلب فيه . .
خرجْنا من الصفِ
كانت براءتنا مخبَّأةً فى كتاب الحساب ،
وحين وصلنا إلى «الباب»
راح المعلم يسبقنا ،
أشعث الشعر والروح ،
يلهثُ من غيرةٍ ،
ونحن وراء لهاثه
نبكى ونضحك ،
مختلطين ، بصوت الهتافات ، والطلقات

. . . . . .

تقول هذه القصيدة ، من بين ما تقول : إن الإبداع الشعرى رغم كل ما يقال لا يزال متقدما على نقد الشعر ، وعلى نظرية الشعر بمراحل كثيرة . ورغم «تسلح» النقد والنظرية سوياً بالكثير من الأسلحة «المتطورة» فى ترسانات الغرب الفكرية ــ التى لا جدل فى تطورها ، ولا جدال أو مماحكة فى غناها ــ فإنها ــ أى النقد والنظرية ــ لم يقتربا بعد من المنطلقات الحقيقية ل «حداثة» الشعر العربى ــ مثلا ولا يزالان يروغان من مهمتها الأساسية : تقنين ما حدث من تطور وإمداد الشعراء ودارسى الشعر ومتذوقيه بمؤشرات لما يمكن أن يمضى فيه هذا التطور من سبل ، ثم مساعدتنا نحن ــ القراء والمتذوقين ــ بما يساعدنا على المزيد من الاستمتاع بالشعر والمزيد من الانتفاع به روحيا وعقليا .

إن قصيدة يوسف الصائغ ــ على سبيل المثال ــ قد تحتاج من الناقد « العروضى » أن يكشف لنا نحن الذين سنقرأها ولن يسعدنا الحظ بأن نسمعها من الشاعر ولا من « قارىء » مؤدٍّ متمكن ــ كيف نقرأها : كيف « نشكل » نهايات بعض الكلمات حتى تستقيم فى آذاننا الموسيقى مع المعانى أو مع « مراحل » تصاعد المعنى/الصورة . إن عجزنا ــ نحن القراء ــ عن تبين العلاقة فى الشعر الحديث بين موسيقى الشعر وبين معانيه أو مراحل تكوين الدلالات ــ إن هذا العجز هذا هو إحدى العقبات الرئيسية التى تقف بين الشعر الحديث (ولنسمه حراً أو تفعيلياً ، أو ما شئنا من الأسماء) . فمثل هذه الخلافات بين أصحاب « نقد النقد » ليست فى تصورى سوى الهروب من مهمة الناقد نظرياً كان أم تطبيقياً) الحقيقية وبين قرائه ، الذين هم نحن . نحن بحاجة من هذا الناقد إلى أن يقول لنا ــ لماذا ينبغى الا نتوقف ، ونحن نقرأ : « غير الغلام الذى كنته ، بين عشرين ، فى الأول المتوسط . . » ولماذا ينبغى أن نبين « ضمة » تاء كنته ، وأن نمد ضمة هائها ولماذا يجب أن نبين فتحة نون عشرين ؟!

ونحن بحاجة إلى أن يقول لنا هذا الناقد ، لماذا يجب أن نبين التنوين فى كلمات : سبورة ، وقماش ، وبيتا من الشعر ، عندما نقرأ : نحمل وراءك سبورة من قماش قديم ، وبيتاً من الشعر ، لا يخطىء القلب فيه . . »

هل هناك مهمة أبسط من ذلك ؟

ولكن هذه المهمة على بساطتها ضرورية ، لكى يساعد الناقد على استعادة ذلك الجسر ــ الذى كان قائماً وانهار قبل ابتكار الشعر الحديث بزمان طويل ــ بين الشعر العربى وبين جمهوره . ربما يكون هذا الجسر قد انهار عندما عجز شعراء الديوان أن يقنعوا الناس ، بأنهم الشعراء بدلاً من شوقى وحافظ . . ولكن المحدثين أصحاب الشعر الحر يزعمون ــ وأنا من مصدقيهم بالطبع ــ أن موسيقى شعرهم ، هى الأقرب إلى موسيقى « الحياة » المنسابة ، المتكسرة . . ولكن لاشك أن « الناس » يحتاجون إلى التحقق من هذا القرب ، ويحتاجون إلى من يعلمهم اكتشاف تلك العلاقة « الخفية » بين موسيقى قليلة النتوءات ، لا تجلجل فى الأسماع بوضوح (مثل موسيقى البحور القديمة المكتملة التفعيلات) وبين « الحياة » ؟

أما الجدل ، النظرى ، حول أصلح المصطلحات لتسمية هذا الشعر الحر أو حول المعنى الحقيقى للحداثة ، فى شعر لم تكتشفه « الأمة » بعد وتتعرف فيه على نفسها ــ مثلما كانت تتعرف على نفسها فى شعرها بشكله القديم (موسيقاه ، وبناؤه ، وأسلوب التعبير فيه) فإنه وإن كان خلافاً ثميناً ، أو ستتضح قيمته فى المستقبل البعيد ــ لا يساعد ــ حقاً ــ لا على تثبيت أقدام شعرنا الحديث ، ولا على

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اشاعته بين الناس حتى يكون هو شعر الأمة . . بأن « يتوحد » شعورها فيه .

ولننظر إلى المسألة من زاوية أخرى .

إن قصيدة الشاعر العراقى ـ عبد الرزاق عبد الواحد ـ فى المهرجان ، بعنوان : ألواح الدم ، قد لا تكون ذات « بناء » متماسك ، والتنوع العروضى فيها أوضح من أن يخفى (بمبرر موضوعى أحياناً ـ يمليه اتساع الموضوع لاتطوره ؛ أو تنوعه لا نموه ، وبمبرر ذاتى أحياناً ـ يمليه تدفق أحاسيس الشاعر ولا يحكمه بارادته) ومع ذلك فإنها ـ أيضاً ـ من القصائد التى يمكن أن نسميها بقصائد : توحيد الشعور ، على مستوى « المستمع » أو القارىء ، وليس على مستوى نوع النقد الذى طرحته الحلقة الدراسية فى المربد السادس . فالقصيدة يمكن تقسيمها إلى ثلاث قصائد ، أو إلى ثلاثة « ألواح » وربما كان عبد الرزاق يفكر فى الألواح الطينية التى نقشت عليها أعمال شعر حضارات الرافدين القديمة ، وليس هذا النوع من التقسيم البنائى فى الشعر الحديث ، نوعاً حديثاً ، ولكن نادراً ما تلقى « النقد » الذى يأخذ بأيدينا نحن القراء المساكين المتروكين لما يفترض أنه شعرنا ـ لكى يعلمنا كيف نكتشف « البناء » فى القصيدة ، ولكى يعلمنا الاختلاف بين أنواع « الأبنية » الشعرية الجديدة هذه ، وبين قصائد الأبيات المكتملة ، المتتالية القديمة . زعم النقد أن تلك القصائد القديمة لم تكن ذات « وحدة موضوعية » ـ حسناً ، وإن كان فى ذلك جدال ـ ولكن النقد كف منذ زمن بعيد عن ريادة ذوق المتذوقين ـ والشعراء ـ حينما كف عن النظر فى الشعر نفسه ، ومضى ينظر إلى ذاته . وفى بحث « نقدى تطبيقى » من بحوث الحلقة الدراسية تقرأ كلاماً كثيراً عن أن هذه القصيدة أو تلك ، أو غيرها مدورة ؛ أو حلزونية ، أو حتى مستطيلة كالخط المستقيم فيما يتعلق ببنائها ـ وقد يكون الوصف الهندسى لبناء القصيدة صحيحاً ـ جدلاً ـ ولكن هذا الوصف يستحيل أن يصلنا ـ فيؤثر على « تذوقنا » للقصائد واستمتاعنا بها ـ ما لم يكتشف لنا . . علاقة البناء المعين ، بالموسيقى المعينة ـ وعلاقتهما معاً ، بالموضوع (التجربة) المعين ، وبمراحل تشكل الموضوع موسيقياً وبنائياً على هذا النحو المدور أو الحلزونى ، أو المستطيل إلخ . . إلخ . .

هكذا ، إذن ، فيما كان الشعر يجاهد أن يوحد الشعور ، كان النقد ـ ربما دون قصد ـ يجاهد أن يشتت المشاعر ـ ناسياً وظيفته الأساسية (والحق أننى نسيتها منذ زمن) ربما منذ رحل المعداوى ومندور ، وكف أساتذتنا : عبد القادر القط ، واحسان عباس ، وعز الدين إسماعيل ، عن الاهتمام بالشعر والشعراء والقراء وشرعوا يهتمون بالنقاد والنقد (أقصد نقاد الشعر ونقده) ومنذ تعلم ذلك أيضاً خلدون الشمعة ومالك المطلبى ، وفاضل تامر ، وحاتم صكر ، وجابر عصفور ، تعلموا أن « يهندسوا » النقد ، لا أن ينقدوا الشعر ، وانصب اهتمامهم على النقاد والنقد ، وليس على الشعراء والجمهور .

قلت إن النقد ـ الحلقة الدراسية ـ فى المربد السادس ، كان هو الممثل الشرعى للفكر العربى المعاصر ، وسط هذا الجمع الهائل من المثقفين العرب . ومثلما كان منتظراً ، فقد حدد منظمو الحلقة الدراسية مجموعة من العناوين الصحيحة لكل جلسة ، يطرح كل عنوان منها طرحا سليماً (كما هى العادة) قضية دراسية من قضايا هذا الفكر ـ فيما يتعلق ـ طبعا ـ بالشعر خاصة . ولكن الشعر لا يزال هو ديوان العرب ، ولذلك فإن الجلسات السبع للحلقة شهدت مناقشات واسعة ، كانت تبدأ عادة من موضوع يتعلق بالشعر ، ولكن احالات الغالبية العظمى من الكلمات كانت تشير إلى موضوعات تتراوح بين اهتمامات علوم اللغة وبين اهتمامات علم التاريخ ، مروراً بالجمال والمنطق ، واجتماع الثقافة ، والانثروبولوجيا والفلسفة ، إضافة إلى علم جديد ـ أراه عربى الأصل بلا فروع حتى الآن ـ يمكن إن يدعى : علم الواقع والوسطية .

ففى مناقشات الأبحاث ، وهى تبدو دائما أكثر حيوية وقربا من حقائق الأشياء وطبائعها ، سمعت الجميع تقريبا ينتقدون «الوسطية» ولكنهم يطالبون بالتوسط وبالمعقولية .

كان موضوع الجلسة الأولى : جدل الحداثة والمعاصرة والشعر العربى المعاصر . ولم يحدث بين الاثنين جدل إنما حدث سعى إلى التدقيق فى معانى المصطلحات . ولكن المناقشين اكتشفوا أن الموضوع الذى حدده عنوان الجلسه بشكل سليم كان تعبيرا عن احتياج حقيقى ـ شعرية الشعراء وجمهورهم ـ من محبى الشعر ومتذوقيه ـ أقول إن المناقشين اكتشفوا أن الأبحاث لم تتحدث عن جدل بين الحداثة والمعاصرة ولا عن جدل بين أى شىء وأى شىء آخر ، وانما استغرقت فى « النقد » والتدقيق المعجمى الاصطلاحى ـ ولم تصل فى ذلك إلى شىء مما مع ذلك ؛ ولكن الوضع كان أفضل ـ للحق ـ فى الجلسة الثانية التى كان موضوعها : التراث والرؤية والشعرية للواقع العربى (رأس هذه الجلسة جبرا ابراهيم جبرا ، وكان أول الباحثين عز الدين اسماعيل وتلاه حمادى صمود ثم جابر عصفور ، (مع حفظ ألقاب الجمع) وغيرهم . فى أبحاث هذه الجلسة رأينا عز الدين اسماعيل القديم ، الذى يستخرج « النقد من الشعر » ويقيم النظرية من اقتراحات سبق به تمحيصها وتجربتها على الشعر ذاته ، ولا يبحث عما ليس له وجود . . ولحسن حظنا ـ نحن متذوقى الشعر الساعين إلى الفهم مستعينين بالنقد ، فقد اقتفى أثر الأستاذ العزيز ، زميلان عزيزان أيضاً : حمادى صمود وجابر عصفور . اختلف الأستاذان واختلفت معهما ، واختلف فيما بينهما ، الزميلان ؛ ولكنك تستطيع أن تتبين أن « التراث » ليس « مضمونا » محفوظا ، ولا أشكالا مقدسة ، وأنه بينما يعد الزمان الماضى كله مصدراً « للتراث » فإن ما ننتجه نحن سيكون أيضاً تراثاً (القليلون من يعون بهذا) ، . . التراث كان موجودا فى كل شعر (استخدم امرؤ القيس تراثه أو ما كان تراثا له ولعصره ؛ وصار امرؤ القيس تراثا لمن تلاه ، حتى السياب وحميد سعيد وأمل دنقل) وكان كل شاعر مجيد قادراً أيضا على إعادة خلق « تراثه » وعلى خلق ما سيكون تراثا لمن سيتلوه . ولكن التراث أيضاً يوجد عند النقاد القدماء : الجرجانى مثلا ، أليس يوجد منه شىء فى طه حسين ثم فى مندور . . ومصطفى ناصف ؟ وإذا كان النقد جزءا من تراث الأمة الفكرى ، وهو والشعر مكونين

من مكونات تراث الأمة الثقافى ، فإنها لايكفان ـ مع غيرهما ـ عن التفاعل بين بعضهما ، وبين ما هو جديد يضاف إلى ما سبقه ومع ذلك فليس كل ما أبدع فى الماضى أصبح تراثا ـ ولا كل ما يبدع الآن سيكون ، يتدخل فيه ـ وقد تدخل ـ الزمان الواقعى (التاريخ) ـ يجيل اشياء منه الى أشياء أخرى ، ويمحو أشياء أو ينسخها ؛ ويجثم بالركام أو بالنسيان على أشياء . . . وينجو ما سيظل ، أو ما سيكون ، تراثا .

ولكنهم لم يقولوا إن من التراث أيضاً ، ولعله أهم مكونات التراث وأخطرها أثرا ـ ما يستكن كعلامات فى « نفسية » الأمة (مثل علامات الوراثة : يتركها التكيف البيولوجى المتطاول على حاملات الخصائص الوراثية) . . هذه العلامات هى ما أريد أن يكشفها النقد فى الشعر . . قديمه ومحدثه : فهذه العلامات هى ما تحدد إن كان ثمة تطور لشعر الأمة أم أنه يتفافز فى طفرات منطق أم دون منطق . إننا نذكر لطه حسين ، ولمندور ، ولبعض من شاركوا فى هذه الجلسة بالذات ـ وللقليلين غيرهم . بدايات بحث عن هذه العلامات وتحديد لها . . ولكنها لم تستمر ، باستثناء ما أصر عليه طوال حياته تقريباً ، طه حسين (وأتمنى أن يكون لهذا الموضوع بوجه خاص بحث مستقل) .

وكانت الجلسة التالية حول : الشعر العربى وتحديات العصر : القصيدة فى المواجهة . ولم تتح لى ظروفى « توقيت » الجلسات وندوات الشعر أن أحضر هذه الجلسة . رغم حرصى عليها ، فقد كان يرأسها عز الدين إسماعيل ، وشارك فيها صديقاى ، صبرى حافظ وخلدون الشمعة (واختلاف ثلاثتنا الكثير لا يفسد قدرتنا على تحمل أحدنا الآخر كلما التقينا (!) وقليلا ما نلتقى هذه السنوات : صبرى هذا العام فى جامعة لوس أنجيلوس ، وخلدون يرأس تحرير « الدستور » فى لندن . .) ولكن قد يحسن الآن أن نقرأ شيئا من شعر الحرب العراقى ؛ وليكن نموذجيا ، فهو من شعر حميد سعيد .

رؤيا نصب الشهيد

فى الفجر دلفتُ اليه . .
استقبلنى عبد الهادى الصالحُ
قلتُ . . سلامُ الله عليك
فقال :
عليك سلامُ الله
وقدم لى كأساً من ماء بارد
حين رشفتُ قليلاً منهُ
رأيت جميع الشهداء يقومون إلى
القبة تمشى نحوى وتناديني باسمى
طلعت من شق القبة عشر يمامات
أو عشر لآلٍ
فامتد الافق الابيض
وامتد الفردوس الاخضر . . كثياب الشهداء
وتفجر منه الماء
انتشرت حبات الشذر على الشجر
اشتبكت بيمامات القبة . .
وهى توحد دورتها باغان بيضاء
اجلسنى عبد الهادى الصالح . .
فى الأرض المتمدة
بين القبةُ والماءِ
ونادى شجراً
جاء إلى حيث جلسنا . . ظللّنا
فتساقط ثمرٌ ضوئى
حين مددتُ يدى ولمستُ الثمر الضوئى
كأنى بين سماءٍ وسماءُ
العسجدُ كان فراشى ، وغطائى اوراق الحناءُ
مرَّ علينا زمن
قلتُ لدالية . . كان عليها سبعُ صبايا
يتساقطُ من سبع كؤوسٍ . . تتلالأ فى ايديهن . .
اللؤلؤ والمرجان . .
كم مرّ عليه من الوقت ؟
أجابت . .
لا أعلم
أن الزمن صديق نألفه
وأنا منذ رأيتك
أعرف أنك من أرض يدفع عنها الدم والأبناء
الريح الصفراء . .
إنهم أصحابى ايتها الدالية الخضراء . .
هذا رجل
ظل يقاتل من أجل مدينتنا
حتى فتح الله عليه .
وهذا النائم بين الوردة والوردة . .
الطالع من غصن الزيتون . .
صديقى
والآتى فى الطلع . . رفيقى
ياأيتها النفس الأمارة بالحبِ . . أفيقى
إنك فى عليين الأحباب . .
وفى وهج الاطنابِ . .
وفاتحة الزرع . .
حقول الحنطةَ تسكن حافات القُبةِ
تتدلى الأغصان الذهبية . فى الأفق المفتوح .
على شمس الروحْ .

يتحدث حميد هنا عن الشهداء ، فى جنة الخلد التى وعدوها . إنها : « عليين » . .

وحميد شاعر « يذوب » فى شعره الكثير من « التراث .

ولن يكون قارىء قصيدة : رؤيا نصب الشهيد ، بحاجة إلى ثقافة خاصة لكى يكتشف استخدامه فى مفتتح القصيدة ، بتحية السلام (وتحيتهم فيها سلام) ، ثم مفردات مثل اليمامات (أرواح الشهداء) والفردوس الأخضر ؛ وصورة أقرب إلى صور الجنة فى

القرآن الكريم (الشجر الذى يظلل أهلها ؛ والثمار المتساقطة ؛ وفراش العسجد ، والحور العين ، الزمن الذى يبدو وودودا لا يأخذ من أحبائه إنما يعطيهم عطاء الخالدين . .) ولكنهم شهداء حرب بعينها ، الحرب التى يخوضها وطن الشاعر ـ واسم القصيدة يسترجع صورة تسخدمها القصيدة نفسها ـ صورة نصب الشهيد فى بغداد ، ذى القبة المقسومة نصفين متداخلين ، يسمحان برؤية السماء ، وسط المياه والخضرة الدائمة : مسجد مفتوح على السماء وسط فردوس أرضى مصغر ، يحيطه جدار نقشت عليه أسماء آلاف الشهداء ، كأنهم يحرسون القبة وفردوسها الصغير ويعيشون فيه أيضاً . الشهادة فتح من الله لمن دفع عن هذه الأرض « الريح الصفراء » . . والفردوس جزء من أرض الوطن المحروسة بأرواح الشهداء ، إنه « فاتحة الزرع » وحقول الحنطة تسكن حافات القرية . . والقصيدة البسيطة البناء ، القريبة الرموز ، المستمدة من أصل التراث الإسلامى كله ـ القرآن ـ التى تمزج بين هذا الأصل وبين أحدث ما صنع فى العراق من تراث (نصب الشهيد ذاته) ، وتذيبهما سويا فى تلك « الرؤيا » ، هذه القصيدة يمكن أن تعد نموذجا لطموح شاعر ملتزم لأن يستبقى لعناصر إبداعه الجمالية وجودها ، وأن يتمكن أيضاً من الوصول بتجربته إلى وجدان أكثر قرائه المحتملين بساطة : فتجربة الحرب ذاتها يخوضها ـ ويعيشها ـ مئات الآلاف من هؤلاء البسطاء الذين لا معنى لموتهم فى ساحاتها إلا أنه وسيلة لحماية الوطن ، وبابهم الخاص إلى الخلود فى فردوس الله . . . وتجربة الحرب ، عند الشاعر ، تجربة لها وجهاها : العقلى (السياسى ـ العاطفى) والجمالى أيضاً عندما تتحول إلى تجربة للشعر ، يقف منها عند لحظة الاستشهاد ، وما بعدها .

وقد يلفت النظر أن تجربة الحرب لها أثرها الخاص على أبداع الشعراء العراقيين المجيدين ، والمجددين معا ، من ثلاثة أجيال على الأقل ، جيل يوسف الصايغ الخمسينى ، وجيل حميد سعيد وسامى مهدى الستينى ، وجيل على جعفر العلاق السبعينى (ولهذا الأخير وشيجته القوية بجماعة الستينيات ، فالسبعينيات لم تنتج جيلا إبداعيا خاصا فيما يبدو) بل أعتقد أن جيل الستينيات لم ينضج حقا ويبلغ سمته فى العراق إلا مع الحرب . . وقد يلفت النظر أيضاً أن تجربة الحرب استقرت ـ عند هذا الجيل ـ مع تجاوز تجارب الغربة والبحث المفتعل أو المخلص ـ ذاتيا ـ عن الأشكال وأساليب التعبير الفريدة لذاتها .

لذا وضع سامى مهدى ، القصيدة التالية ، فى نهاية آخر ديوان أصدره فى مستهل الحرب ، قبل نحو خمس سنوات :

فى الكتابة :
لست أسأل عما كتبت
وأسأل عما سأكتب
بينى وبين الكتابة مستقبل هاربٌ
ومجاهيل تحرسها الجن
أدركها لحظة ثم تفلت منى
ولا يتبقى لدى سوى طائر أنا أختاره
ثم أطلقه فى قصيدة
لست أسأل عما كتبت
وتكفى لكى اطمئن ، مغامرة أشتهيها
وأقحمها بمياه جديدة

لقد كتبت هذه القصيدة فى أكتوبر ١٩٧٨ ، ولكنه وضعها فى نهاية الديوان الذى أصدره عام ٨١ بعد عدة شهور من بدء الحرب ، فكأنه كان يتوقع أنه سيكتب شيئا جديدا ، مياهه جديدة حقا ، ولكنها لن تأتيه كمغامرة وإنما كتجربة لا يستطيع شاعر ملتزم أن يفلت منها ولا من تأثيرها . .

وفى نفس الديوان (الزوال) . . نفاجأ بأول قصائد الحرب . . أو ثانيها ، فى ثانى أعوام الحرب ، صريحة فى هذا الشأن كل الصراحة . بسيطة وجميلة :

خيمة النار :
خرج الشعر من ظلمة الروح
يبحث عن بقعة آمنة
فتقلب بين الحقيقة والوهم حتى الملال
فيا هزه غير خيمة نار بسيحان
أوى إليها
وأوقدها ، وهو دام ، بماسورة ساخنة .

***

أما أنا ، فما زلت أتهيب الكتابة عن الشعر يغلبنى بشأنه الحب أو النفور ـ لا أجسر أن أقول البغض ـ فلا أتمكن من أكثر من هذا الإنشاء الذى مع ذلك أحبه ، وأتهيب أيضاً من البواح به . وها قد بحت ببعض مما ملأنى من حب ـ للشعر أساسا ـ ومن نفور ـ من النقد أساسا . كنت أتمنى أن تتوحد المشاعر ، مثلما يتوحد الشعور ، مثلما أتمنى الآن لو كانت لى فسحة أخرى أتحدث فيها عن زيارة خاطفة لوحدة « مغاوير » فى القاطع الأوسط بينهم وبين الجحيم أشبار يغطونها بالسلاح وبأجسادهم ، ولكن أشياء أخرى تقف بينى وبين حديث الحب هذا ، أشياء لا يعرفونها ، وما كنت أعرفها قبل أن أراهم ، وأصعد إلى مرصدهم وأرقب الجانب الآخر من تلال الصخر الموحشة . ولا يملك مثلى إلا أن يرجو أن يأتى السلام ، ومعه المزيد من الشعر !

القاهرة : سامى خشبة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فنون تشكيلية

الفنان التعبيرى فاروق شحاته

صبحى الشارونى

يمثل الفنان « فاروق شحاته » أحد أعمدة الفن المصرى المعاصر بنوعية إنتاجه الذى يعدّ إحياء معاصرا للمذهب « التعبيرى » الذى بدأه « فان جوخ » الهولندى و « ادوار مونش » النرويجى ومن ناحية أخرى يحتل هذا الفنان مكانته لغزارة إنتاجه ، ثم لنشاطه الدائم فى إقامة المعارض لنفسه ولزملائه من الفنانين المصريين ، حيثما وُجد فى مصر ، أو فى الخارج .

وهكذا استطاع « فاروق شحاته » فى سنوات قليلة أن يصبح رائدا معروفا للمذهب التعبيرى فى الفن العربى المعاصر ، مساهما من خلال تعبيريته فى الأحداث التى يمر بها وطننا العربى ، والأحداث التى يجتازها الفنان فى حياته الخاصة .

هذا إلى جانب أستاذيته فى فن الجرافيك (أى الطباعة الفنية) ، و « أبحاثه المعملية » حول هذا الفن والمتمثلة فى دراساته ، وفى استعراضات المهارة التكنيكية فى لوحاته التى تكشف عن العلاقة الشكلية بين « الكون الكبير » و « الكون الصغير » .

○ التعبيرية

و « التعبيرية » هى نقيض « التأثرية » التى تعتمد على الحواسّ ، ولا تصور إلا مظاهر الأشياء . إن التعبيرية تصدُر عن الانفعالات الباطنة التى تفيض على اللوحة ، ومنها إلى عقل المشاهد وعواطفه والتعبيرية التى يتبعها الفنان فاروق شحاته تتميز ، وتختلف ، عن الأنواع التجريدية من المذهب التعبيرى . فهو ممن يعملون على النفاذ إلى جوهر أو روح ما يصورون « للتعبير » عن طبيعته الأصيلة ، أى إبراز « غمرية » النمر و « ذئبيه » الذئب و « ثعلبة » الثعلب ، مع تصوير الوسط الذى تعيش فيه هذه الأحياء ، ولكن ليس من وجهة نظر الرسام الذى يشاهد هذا الوسط من الخارج ، وإنما على نحو ما يراه وما يشعر به الكائن الحى ، بوصفه جزءا من الوحدة الكونية .

وعندما تصدّى فاروق شحاته لقضية فلسطين ، وموضوع اللاجئين ، رسم عشرات اللوحات القوية التعبير ، بأساليب فن الحفر (الجرافيك) المختلفة التى يمارسها ببراعة ، « فعبر » عن مأساة اللاجئين الفلسطينيين ، وجسّد بشاعة العدوان الإسرائيلى على الوطن العربى فى لوحاته .

○ التعبير عن المأساة

ولد الفنان فاروق شحاته يوم ٣ ديسمبر عام ١٩٣٧ بالإسكندرية ، وظهرت مواهبه الفنية خلال دراسته الثانوية ، حيث كان مُدَرِّسه للرسم هو الفنان « محمد عويس » الذى أصبح فيما بعد عميدا لكلية الفنون الجميلة بالإسكندرية .

كان الفنان يرسم المناظر الطبيعية فى لوحاته بالألوان المائية وعمره ١٢ عاما فقط . وخلال سنوات المراهقة جرّب كتابة القصة والشعر ، ولكنه استقر على ممارسة الرسم ، وبخاصة عندما فاز فى مسابقة أوائل الطلبة ، وحصل على جائزة تتكون من مجموعة من الكتب الفنية .

كان موقف الأسرة يعارض مسيرة الفتى فى طريق الفن . كانوا يريدون له أن يدرس الطب ، لكنه لم يستجب لرغبتهم ، واختار لنفسه طريق الفن ، حيث لقى التشجيع من أستاذه فى المدرسة الثانوية الذى كلفه برسم لوحة عن العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٧م ، فرسم انسحاب المعتدين من بورسعيد على لوحة ضخمة تبلغ مساحتها ستة أمتار مربعة ثبتت على واجهة المدرسة ، وكانت هى السبب فى إقناع أسرته بضرورة التحاقه بكلية الفنون الجميلة فى القاهرة ، حيث لم تكن بمدينة الإسكندرية كلية الفنون فى ذلك الوقت .

وكانت علاقة الفنان الصغير بأستاذه « محمد عويس » فرصة ليتعرف على الكثير من المفهومات الفنية حول دور الفن فى المجتمع ، وفلسفة الجمال ، وأهمية استخدام الفن كسلاح فى المعركة الاجتماعية .

أتيح للفنان الصغير فرصة أخرى عندما تعرف بالفنان الرائد « محمود سعيد » عام ١٩٥٤ ، فقد التقى به فى أحد المعارض العامة ، وبعدها صار يرافقه ويزوره من حين لآخر ، وانبهر بالألوان البرونزية ، والموضوعات الشعبية التى كان يعالجها الفنان الرائد ، وخاصة الأعمال المعبرة عن المآسى مثل لوحة « العاطل » ولوحة « زيارة المقابر » . وبدأ ميل فاروق شحاته إلى التعبير عن المأساة فى حياتنا المعاصرة يتضح من ذلك التاريخ ، مستفيدا من توجيهات ونقد هذين الفنانين الكبيرين خلال جولاته معهما فى المعارض ، ومناقشاته لهما فى مختلف المفاهيم الجمالية .

ويقول الفنان فى ذكرياته عن تلك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المرحلة : « عندما ذهبت إلى الريف لأنظر إليه كفنان ، أحسست أن الريف لم يُرسم إلا من وجهة نظر متفائلة ومنفصلة عنه ، وكل الذين سجلوا المناظر الريفية فى مصر التقطوا الجنوانب السياحية ، ورسموا الألوان الجميلة ، لكننى عشت مع الفلاحين ، ورأيتهم عن قرب ، فأحسست بمأساتهم ، وبالحياة القاتمة التى يحيونها . إن الساقية الجميلة ، فى لوحات السابقين ، هى فى حقيقتها أخشاب متهرئة تنعق وتبكى وتنوح ، لم أحس بجمالها على الإطلاق ، حيث لا فرق بين الآدمى والحيوان فى الريف . لقد بهرنى اكتشافى لهذه المأساة ، وعدت إلى الاسكندرية لأشاهد معرض الفنان الألمانى « فريتز كريمر » الذى أقيم فى ذلك الوقت بمتحف الفنون الجميلة ، وكان يتناول مأساة الإنسان فى الحرب العالمية الثانية ، والتقيت معه فكريا . لقد أعجبنى وأدهشنى واستحوذ على عواطفى . . وكنت أجتاز محنة عاطفية ، فى حياتى الخاصة ، أحسست معها بالضياع .

وهكذا التقى العام بالخاص ، والاجتماعى بالفردى ، فى مرحلة كنت أضع فيها قدمىّ على بداية الطريق . ومن هنا اتخذت التعبيرية مذهبا لى قبل أن أقرأ عنها شيئا أو أعرف بالضبط أبعاد هذا المذهب الفكرى » .

وبهذا يوضح الفنان الظروف والملابسات التى دفعته فى هذا الطريق ، وجعلته يفضل هذه المدرسة الفنية على غيرها ، فكان فنه « تراجيديا » ينطبق على ظروف مصر الاجتماعية المطحونة ، ويعبر فى نفس الوقت عن المزاج المصرى الشعبى الذى يستخدم البكاء (عند قطاع كبير من نسائه) كوسيلة للتنفيس والتطهير . ومن تقاليده الشعبية زيارة المقابر (القرافة) فى أول أيام كل عيد . هذا بالإضافة إلى ظروف الفنان الخاصة العائلية والعاطفية ، فقد توفى والده (الذى أحبه حبا شديدا) ، فى نفس تلك المرحلة المبكرة من حياته ، وهو على أبواب الالتحاق بكلية الفنون الجميلة .

فى ذلك العام ١٩٥٧ أنشئت كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية ، وتقدم فاروق شحاته للالتحاق بها ، وفى اختبار القبول كان ترتيبه الثانى .

وهكذا تعرف الفنان على الأساليب المختلفة فى الفن ، واختار فن «الجرافيك» لدراسته المتخصصة . وقد التقى خلال الدراسة بفنان «الجرافيك» العالمى «فنسنت هلوجنيك» عميد أكاديمية الفنون فى «براغ» وقتها ، وهو من رواد المذهب «التعبيرى» الذى تتميز أعماله بالتراجيديا الإنسانية . وعندما التقى هذا الفنان بفاروق شحاته الطالب بكلية الفنون الجميلة بالإسكندرية ، وشاهد أعماله قبّله تعبيرا عن إعجابه ، وأهداه بعض إنتاجه ، وعددا من الكتب التى تحوى صورا لأعماله .

وراح فاروق يبحث عن الدراسات والكتب التى تتناول هذا المذهب ، وبخاصة عند الألمان الذين ابتدعوا التعبيرية فى الفنون الجميلة ، وعندما عُرف عن فاروق شحاته ولعُه وشغفُه بهذا الاتجاه ، راح أصدقاؤه يرسلون له المطبوعات المختلفة التى تتناول أعمال الفنانين التعبيريين ، فجاء من انجلترا كتاب عن الفنان الإنجليزى الشهير «فرانسيس بيكون» ، ومن المكسيك كتب ولوحات عن المكسيكيين التعبيريين وغيرهم .

وتخرج الفنان عام ١٩٦٢ من كلية الفنون الجميلة ـ بالإسكندرية بدرجة الامتياز مع مرتبة الشرف ، وعين معيدا بقسم الحفر (الجرافيك) الذى تخرج فيه . وكان مشروع التخرج يدور حول القضية الفلسطينية واللاجئين . وقد فازت أعماله بالجائزة الأولى مرتين ، على شباب الفنانين فى معارض «الطلائع» السنوية ، التى تقيمها «جمعية محبى الفنون الجميلة» بالقاهرة .

لقد استطاع فاروق شحاته أن يعبر عن القضية الفلسطينية من وجهة نظر الفلسطينين أنفسهم ، وليس من رؤية خارجية تطل عليها من فوق أو من بعيد ، وإنما تناول القضية مبرزا «فلسطينيتها» ، وموضحا المعاناة التى يلقاها من سُلب منه منزله وأهلُه ووطنُه ، وأصبح مشردا ينظر إلى ديار طفولته وأرض أجداده من خلف الحدود ، ومن وراء الأسلاك الشائكة ، بعد أن اغتصبها مهاجرون من جنسيات متعددة ، مثلما حدث من قبل مع الهنود الحمر ، السكان الأصليين لأمريكا ، عندما اغتصبت بلادهم منذ ثلاثة قرون .

○ فن الحفر

ولأن الفنان كان من البداية صاحب قضية ، وله وجهة نظر يريد أن يعرفها جميع الناس ، ولأنه لا يمارس الفن من أجل متعة ذاتية أو من باب الترف الذهنى ، وإنما باعتباره رسالة ووسيلة ، بل وسلاحا فى معركة حضارية . فقد اختار النوع الذى يتيح له إشاعة فكرته بين أكبر عدد من الناس .

إن فن الحفر أو «الجرافيك» هو شكل من الطباعة الفنية اليدوية ، يتميز بأنه يسمح للفنان أن ينتج عددا من الرسم الواحد ، يتميز بنفس حيوية وقوة وأصالة العمل الفنى الأصلى ، لأن الفنان «الحفّار» لا يستبقى عند طبع عمله بنفسه إلا النسخ التى تتوفر فيها هذه الصفات .

إنه أحد روافد فن الرسم مضافا إليه خبرات تكنولوجية تجعل الفنان ينتج من العمل الواحد مجموعة متشابهة من النسخ ، وذلك بأن ينفّذ رسومه وتخطيطاته على سطح صلب ، مثل : الزنك أو النحاس أو الحجر أو الخشب أو الجلد ، أو على «شاشة حريرية» وما يشابهها من الخامات المجهزة للطباعة على الورق .

ويمثل هذا النوع من الرسم أسلوبا معاصرا رائجا فى وقتنا الحالى لعدة أسباب : أولها ارتفاع أسعار لوحات فن التصوير الزيتى إلى أرقام خيالية لا تقدر على دفعها سوى المتاحف ومحترفى تجارة الأعمال الفنية . بينما لوحة فن الحفر التى يطبع منها عادة ما بين ١٢ إلى ١٠٠ نسخة ، يكون ثمنها فى متناول متوسطى الدخل .

هذا بالإضافة إلى ما يوفره هذا العدد من النسخ فى نشر العمل الفنى الواحد على نطاق واسع ، فعدد مستنسخاته يجعله يتواجد فى أكثر من مكان فى وقت واحد .

أما استخدامه الاجتماعى والسياسى فيكفى أن نذكر أن الثورة الصينية استخدمت هذا الفن على نطاق واسع ، لشرح القضايا السياسية للأميين ، قبل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انتصار هذه الثورة ، وفى أعقاب ذلك الانتصار . ولقد اختار فاروق شحاته هذا الأسلوب الفنى الذى يتمشى تماما مع أفكاره وأهدافه من ممارسة الفن .

○ الحيوانات كموضوع تعبيرى

ظل الفنان لمدة عشر سنوات من عام ١٩٦٢ عند تخرجه فى كلية الفنون الجميلة إلى عام ١٩٧٢ (عندما حصل على درجة الماجستير فى فن الحفر) يساهم بفنه فى الأحداث الجارية معبرا عن الغليان والترقب ، والرعب الذى يكتنف البشر من أسلحة الدمار الشامل ، والحروب المحدودة فى أكثر من مكان ، وبخاصة حرب فيتنام . .

وبالإضافة إلى لوحاته المباشرة المعبرة عن هذه الأحداث ، وعن القضية الفلسطينية . رسم عددا من اللوحات تظهر فيها الحيوانات والطيور ، مثل : القط ، والذئب ، والحمامة ، والحصان .

ويشير الناقد الفرنسى «رينيه ويج» إلى ظاهرة اتجاه الفنانين إلى رسم الحيوانات وتشكيلها فى عصرنا الحاضر ، فى أشكال مرعبة أو خرافية قوية التأثير ، إلى أن هذه الظاهرة هى انعكاس لحالة الرعب والخوف من الأحداث التى لا يملك الفرد تجاهها صدّا أو ردّا . وإلى أن هذه الحالة أيقظت فى أعماق الفنان الرعب القديم عند الإنسان الأول عندما كان يعيش فى الكهوف ، من الحيوانات والطبيعة الغادرة الملغزة . وكان الموضوع الرئيسى لرسومه لبضعة آلاف من السنين هو تلك الحيونات التى يواجهها لصدها أو صيْدها .

وهكذا ظهر «القط» فى أعمال فاروق شحاته ، معبرا عن الرعب النووى الذى يتربص بالبشرية ، متسللا فى الظلام ، لينقض على العالم فجأة ويقضى عليه . أما «الحصان فهو النبل الإنسانى الذى يرفض أن يخفض رأسه ويرفعها دائما حتى فى أشد حالات الألم متطلعا إلى السماء فى تضرع لإنقاذ الكرامة الإنسانية التى تهدر كل يوم على أرض فلسطين ، وفى جنوب إفريقيا ، وشرقى آسيا . بينما نجد الذئب معبرا عن أزمة الاستعمار الذى وقع فى الفخ ، فالتفت فى شراسة ليهم بافتراس نفسه والقضاء على كل شىء . ونجد «الحمامة» فى رسومه تبدو سوداء اللون فيحتار المشاهد : هل هى حمامة أم غراب ؟ هل هى طائر وديع أم جارح ؟فهى تقف على الأسلاك الشائكة ، أو خلفها ، بينما الإنسان المعذب يرفع رأسه نحوها فى ألم وتضرع . . وهكذا كانت اللوحة دائما عند فاروق شحاته سلاحا فى معركة الإنسان من أجل كرامته ، وتعبيرا عن موقف واضح فى مواجهة التحديات .

«الجنس» تحت الأقدام

كان موضوع رسالة الفنان التى حصل عنها على درجة الماجستير بامتياز مع مرتبة الشرف من كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية هو : «التعبيرية اتجاه فنى معاصر» . تتبع فيها جذور هذا المذهب الفنى ، ومختلف روافده ، ثم أقطابه قديما وحديثا ، ليُثبت فى النهاية أنه اتجاه فنى ، لم يرتبط بمرحلة معينة ينتهى بنهايتها ، ويصبح بعدها مذهبا متحفيا ، فما يزال يمارسه عدد من كبار الفنانين المعاصرين المبدعين لارتباط هذا الفن ارتباطا شديدا ، وحتى الآن ، بظروف العالم المعاصر .

وكانت من أهم تجارب فاروق التكنولوجية التى أضاف بها إضافة جديدة إلى فن الحفر ، ليس فى مصر فقط بل وفى العالم أجمع ، هو توصله إلى طريقة لحفظ لوحات فن الحفر ، التى تطبع عادة على الورق ، من التلف بمرور الزمن عن طريق تغطيتها بمادة «البوليستر» الشفافة من الجانبين وتقوية اللوح الناتج بالألياف الزجاجية . وبهذه التجربة الناجحة توصل إلى حل مثالى لمشكلة صيانة وترميم لوحات الحفر الورقية ، التى يتكلف أصحابها مبالغ كبيرة فى صيانتها ، كلما مر الزمن عليها .

وسافر عام ١٩٧٤ إلى ألمانيا لاستكمال رسالته العلمية ، والحصول على الدكتوراه ، فقد ظهرت التعبيرية فى ألمانيا عام ١٩١٩ فى شكل مدرسة فنية ، تتبناها جماعة أطلقت على نفسها اسم جماعة : «القنطرة» ، أو : «الجسر» .

وهناك فوجىء بجياة اجتماعية جديدة فى «دوسلدورف» بأقصى الشمال ، حيث تختلف التقاليد تماما عنها فى الشرق العربى ، وبخاصة فى استخدام الجنس فى الإعلان للترويج للتجارة وكسلعة ، وامتهان جسم المرأة الذى له فى الشرق حرمة تصان ، وحدود لا يمكن تخطيها . وبدأ الفنان الشرقى يعبر عن رؤيته لهذا المجتمع الجديد فى لوحات ، من أبرزها لوحة لامرأة عارية الصدر على غطاء مرحاض .

لقد أوضح فى هذه المجموعة من الأعمال كيف يمتهن الجنس ، ويداس بالأقدام فى المجتمع الأوربى الذى بلغ الرفاهية .

وفى نفس هذه المرحلة تناول موضوعا آخر عن الدين فى هذا المجتمع . فالمسيح مصلوب فى غابات الشمال ، وهو يصلب من جديد كل يوم ، بينما يظهر ـ وكأنها احدى معجزاته الجديدة ـ فوق أطلال بيت تهدم فى الحرب العالمية الثانية ليحطم البندقية التى علا صوتها فوق كل صوت .

○ المأساة فى المنظر الطبيعى

وعايش فاروق المجتمع الجديد ، حريصا على أن يحقق أكبر فائدة ممكنة من التقدم التكنولوجى فى المجال الفنى الذى تخصص فيه ، دون أن تتهدم شخصيته ، أو تنهار أخلاقه التى تربى عليها . وراح يقيم المعارض المتتالية لفنه وللفن المصرى والعربى فى مختلف قاعات العرض بألمانيا ، وبلجيكا ، وفرنسا . وراح يشارك فى المعارض العامة الألمانية والدولية . ولقد بدأ يلمس بنفسه الإقبال المتزايد من الناس العاديين على اقتناء نماذج من أعماله فى مختلف مراحله الفنية ، ولم يغير هذا النجاح من نزعته الفنية ، وإن تغيرت موضوعاته . لقد ظل «تعبيريا» ، ولم يختف من أعماله عنصر المأساة .

وكل ما أضافه هذا النجاح هو إضافة الألوان إلى لوحاته التى كانت كلها مرسومة باللون الأسود فقط . ومع هذا ظل العنصر التراجيدى المأساوى فى هذه الأعمال وفى ألوانها ، واتجه إلى رسم المناظر ، ولكن فى جو من الغموض والرهبة ، حيث تحلّق فوقها الطيور ، وكأنها العُقاب ، أو كأنها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تفلت من أسر الجاذبية الأرضية أو تهرب من فخ أو قفص .

الغابات عند فاروق عارية من الأوراق ، وفيها امرأة مهزومة فى زى يذكرنا بالفلسطينيات فى لوحات مرحلته الأولى .

لقد بدأ فاروق يستخلص أشكاله من تحت المجهر ، ويركّبها فى علاقات جمالية ذات روح تعبيرية قوية ، ويستخدم تجهيزات معامل التصوير الفوتوغرافى فى تحقيق تركيباته التشكيلية الجديدة ، حيث ظهر فى أعماله ما يشبه الصخور والأحجار تنبت منها أشجار جرداء ، وما يشبه الصحراء الجليدية التى تمتد إلى ما لا نهاية ، وكأنها صور التقطت لسطح القمر أو للمناطق القطبية ، بينما الطيور تنقض أو تفرّ ، وكلتا الحالتين تحرّك الإحساس بالفجيعة والرهبة لدى المشاهد .

○ الطريق العكسى للتجريدية

أجرى الفنان أبحاثا رياضية حول علاقات الألوان ببعضها البعض ، عندما أثبت وجود علاقة شكلية بين صور «الكون الكبير» المتمثل فى المناظر الطبيعية والصور الفضائية من جانب ، والصور الميكروسكوبية فى «الكون الصغير» من جانب آخر .

وحصل فاروق على درجة الدكتوراه عام ١٩٨١ عن بحثه الذى كون هرما يضم ١٤٤ لوحة تعتمد على التبادل والتوفيق فى استخدام الألوان الأساسية (الأصفر ، والأحمر ، والأزرق) مع عمل تركيب من الصور الفوتوغرافية التى التقطت لأشكال فضائية ، وللغابات ، مع الصور الملتقطة من تحت المجهر .

وعاد فاروق إلى عمله أستاذا مساعدا لفن الجرافيك بكلية الفنون الجميلة بالاسكندرية . ثم سافر فى العام الماضى إلى ألمانيا لمدة ستة أشهر ، مُعارا من جامعة حلوان كأستاذ زائر فى أكاديمى الفنون الجميلة بمدينتى «نورمبرج» و«دوسلدورف» ، وخلال فترة إعارته أنتج مجموعة جديدة من اللوحات يمكن أن نطلق عليها اسم «الطريق العكسى للتجريدية» . . .

إن الفنانين التجريديين منذ «كاندنسكى» و «موندريان» ، يقفون موقفا عدائيا من الأشكال الواقعية والطبيعية . إنهم يختلقون الأشكال والألوان اختلاقا من أذهانهم ، وينزعجون إذا لاحظوا أى تشابه بين ما يرسمون وما هو موجود فى الواقع ، كما ينزعجون أيضا عند ما يظهر أى طابع زخرفى فى لوحاتهم . لكن الدكتور «فاروق شحاته» سلك الطريق العكسى : لم يرسم شيئا ، ولكنه اختار مجموعة من الصور الفوتوغرافية غير الملونة التى التقطت لمجموعة مختلفة من الخامات من تحت المجهر . عشر صور فقط من «الكون الصغير الميكروسكوبى» ، اتخذت ، بعد أن كبرها آلاف المرات ، أشكالا تنافس أية لوحة تجريدية ، لكنها من الطبيعة حيث تصور مقاطع لعدد من الخامات : الأخشاب ، والحديد ، والزجاج ، وعالم الميكروبات ، والبكتريا . لم يختلق شيئا من ذهنه ، لكنه قام بتكبيرها على مساحات متساوية (٣٨ × ٣٨ سم) ، وراح يطبعها فوق بعضها البعض ، لكى توحى بأشكال موجودة فى الطبيعة «الكون الكبير» . وهى غابات ألمانيا .

ماذا يرى فنان مصرى فى غابات شمال ألمانيا ؟ إنها الأشجار المتعانقة ، والفروع المتشابكة ، والأضواء المتسللة من هذا النسيج الطبيعى ، لتضىء الأوراق المتساقطة المتباينة الألوان ، مع التداخل بين الظلمة والنور .

وتحولت الأشكال التجريدية فى الطبيعة إلى مشاهد واقعية ، وكأنها صور التقطت بعين حساسة للعلاقات الشكلية والجمالية .

لكن هذه اللوحات برغم مظهرها التجريدى ، تتضمن تعبيرا قويا عن أشكال واقعية ، وتُمثل ردا على فكرة اختلاق الأشكال من الذهن ، وتعمُّد الابتعاد عن الواقع ، سواء بأصولها الفوتوغرافية الملتقطة لأشكال واقعية أو بمظهرها النهائى المعبر عن الغابات أو المياه المتساقطة أو تسلل الأضواء وانعكاساتها .

إن العمل الفنى الجيد هو الذى يغوص إلى أعماق الذهن ، ويُحفَر فى الذاكرة ، فلا ننساه أبدا .

القاهرة : صبحى الشاروني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفنان التعبيري فاروق شحاته

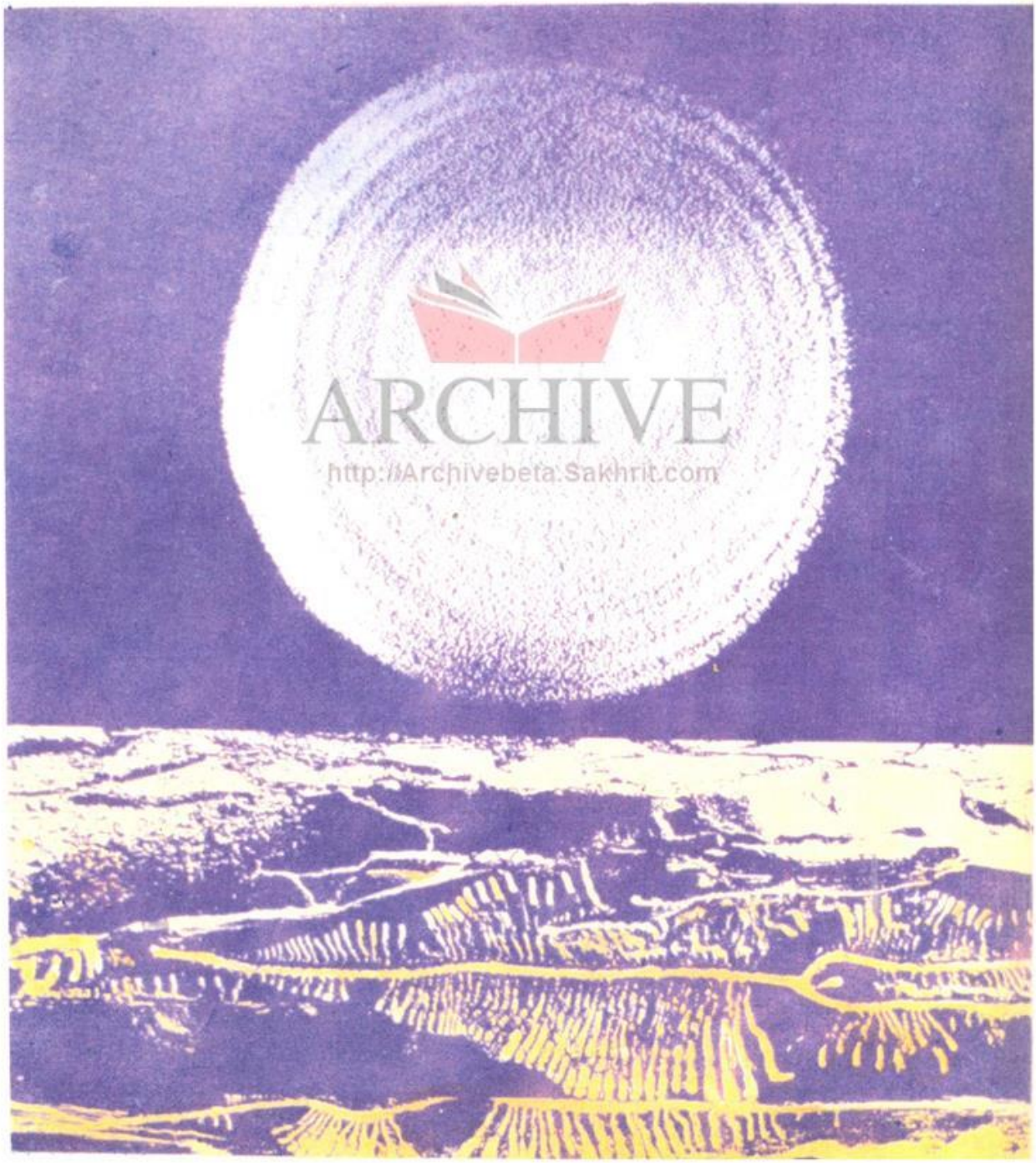
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

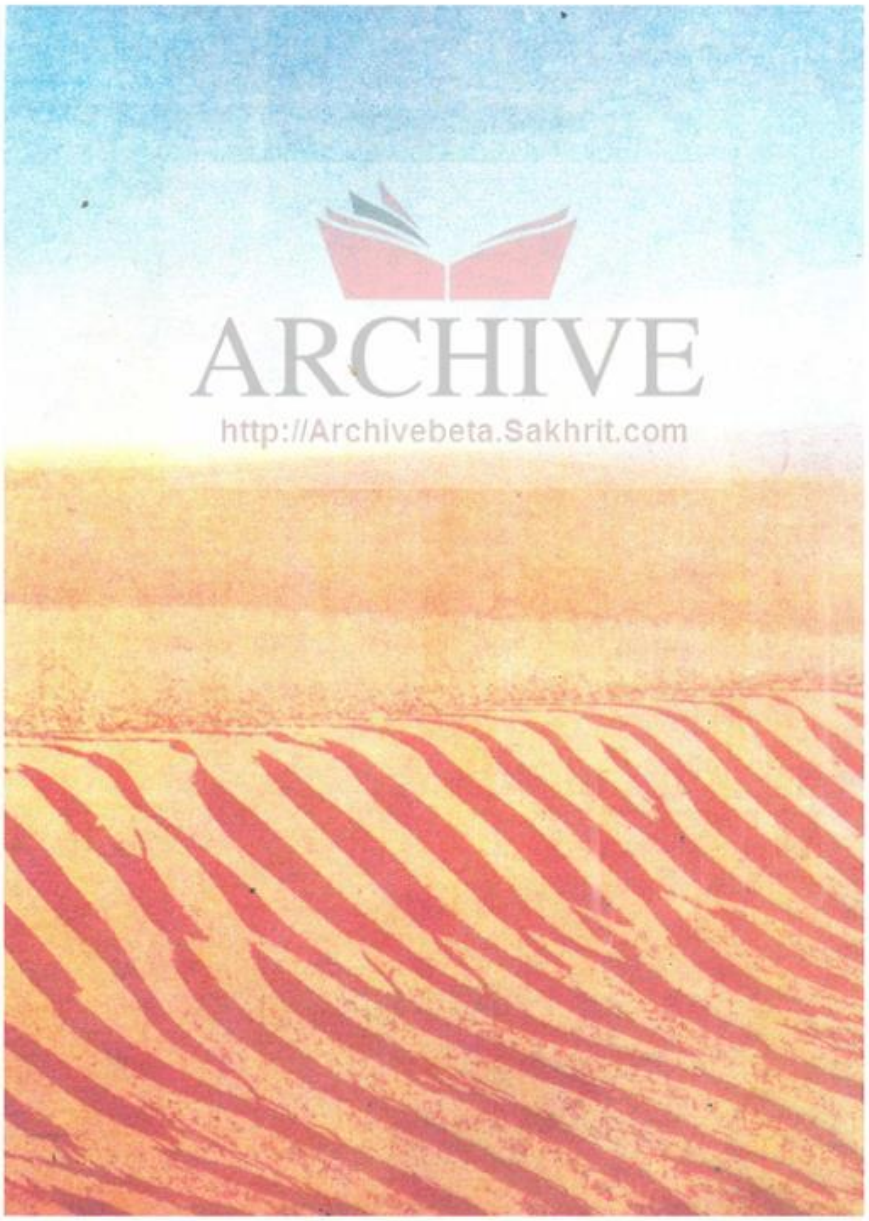
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

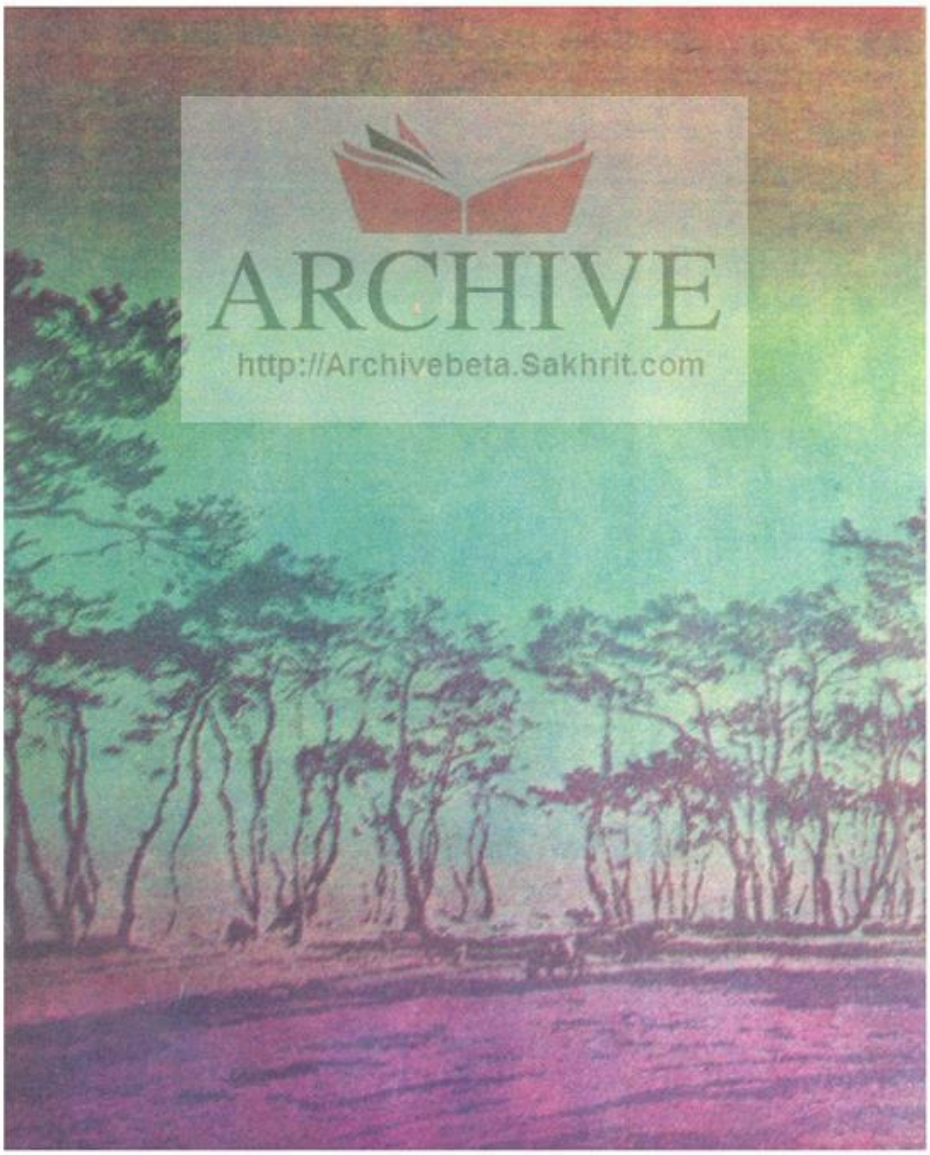
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archiveneta.Sakhrit.com

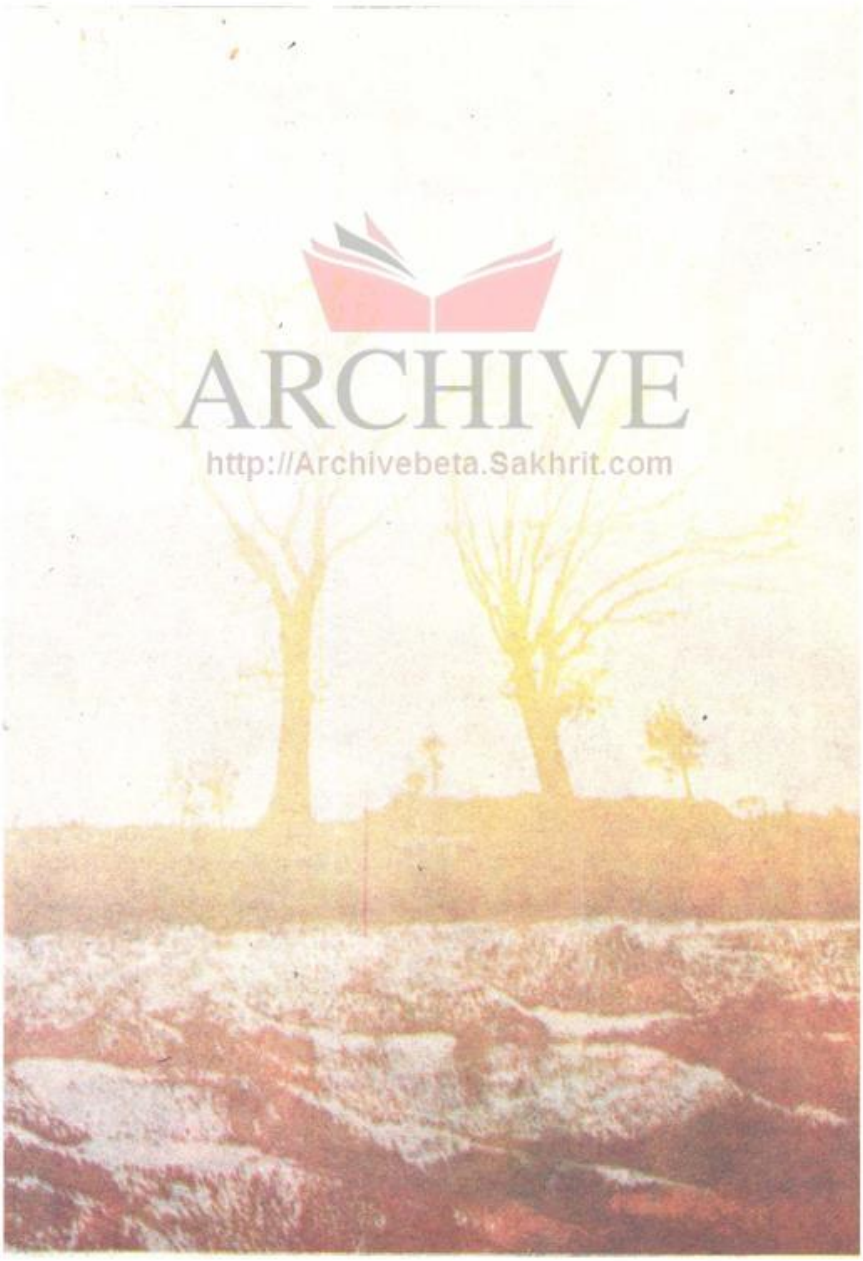
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

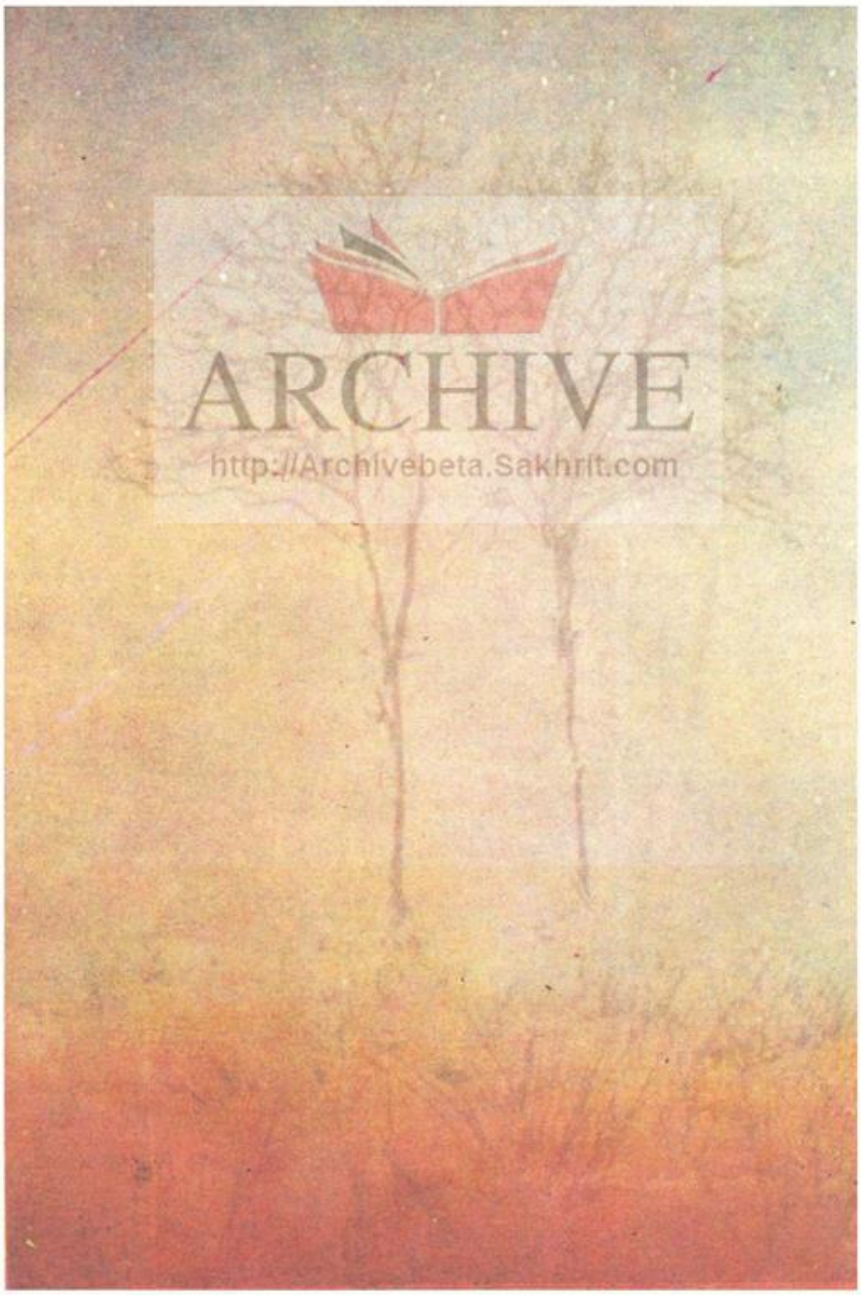
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صورتا الغلاف للفنان فاروق شحاتة

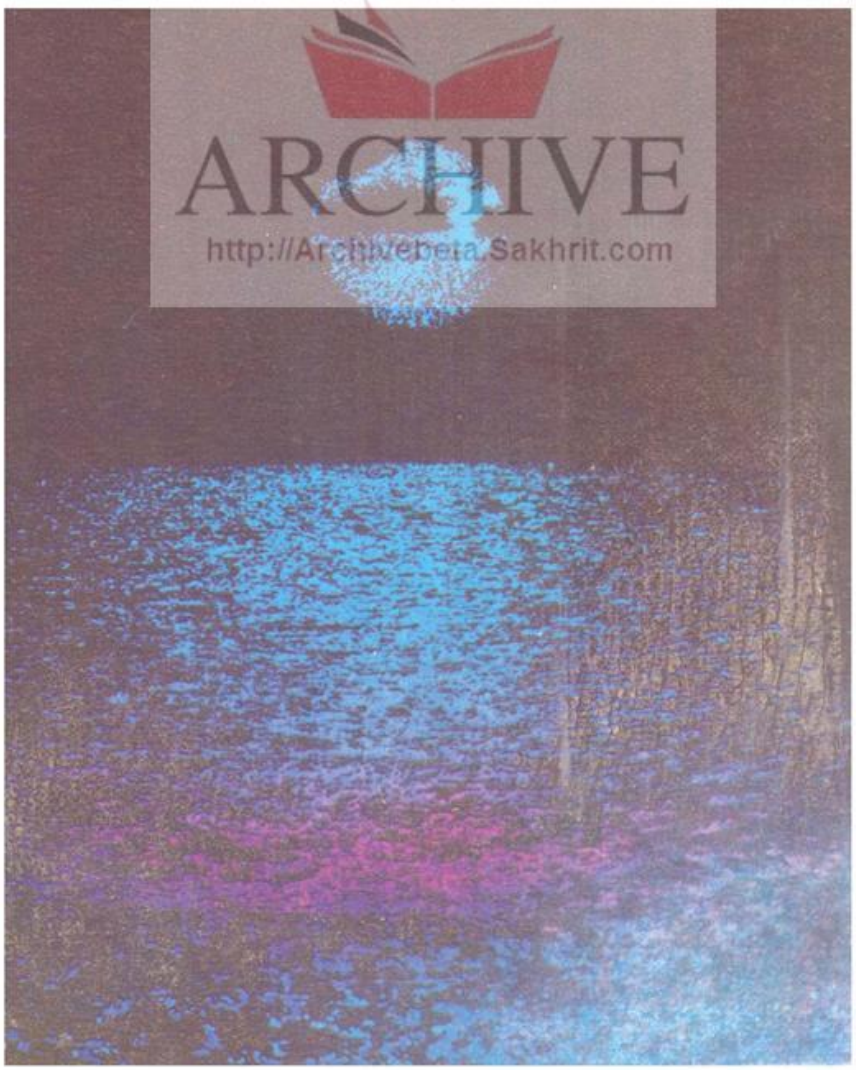

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصور بعدسة الفنان
صبحي الشاروني

الهيئة المصرية العامة للكتاب

مختارات فصول

سلسلة أدبية شهرية

تصدر أول كل شهر

إبراهيم عبد المجيد

الشجرة والعصافير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« الشجرة والعصافير » .. هى المجموعة القصصية الأولى للكاتب القصصى « إبراهيم عبد المجيد » . أحد الوجوه الأدبية البارزة من كتاب جيل السبعينيات ، المعبرين عن الحساسية الجديدة ، الذين يجهدون للتعبير بالقص عن عالم جديد ، تغيرت وقائعه ، ورؤيته ، وعلاقاته .

وللكاتب ثلاث روايات منشورة ، هى : « الصيف السابع والستون » و « ليلة العشق والدم » ، و « المسافات » ، وله رواية تحت النشر بعنوان : « الصياد واليمام » .

ويتميز فن هذا الكاتب بجدة التجارب من قصة إلى قصة ، ومن رواية إلى رواية . فهو يرتاد دائما مناطق بكر ، وأماكن منسية مهجورة ، ومدنا خالية ، وعوالم شخصيات فرضت عليها العزلة ، وفقدت فاعليتها الإنسانية ، فاستسلمت لحواسها الأولية ، وأفعالها العفوية . شخصيات صغيرة ، ضائعة منسحقة ، يحرص الكاتب على تجسيدها عبر توتر الصمت ، بشاعرية مرهفة ، تستهدف إثارة التعاطف الإنساني بين البشر .

٥٠ قرشا

يطلب من باعة الصحف ومكتبات الهيئة والمعرض الدائم للكتاب بمبنى الهيئة

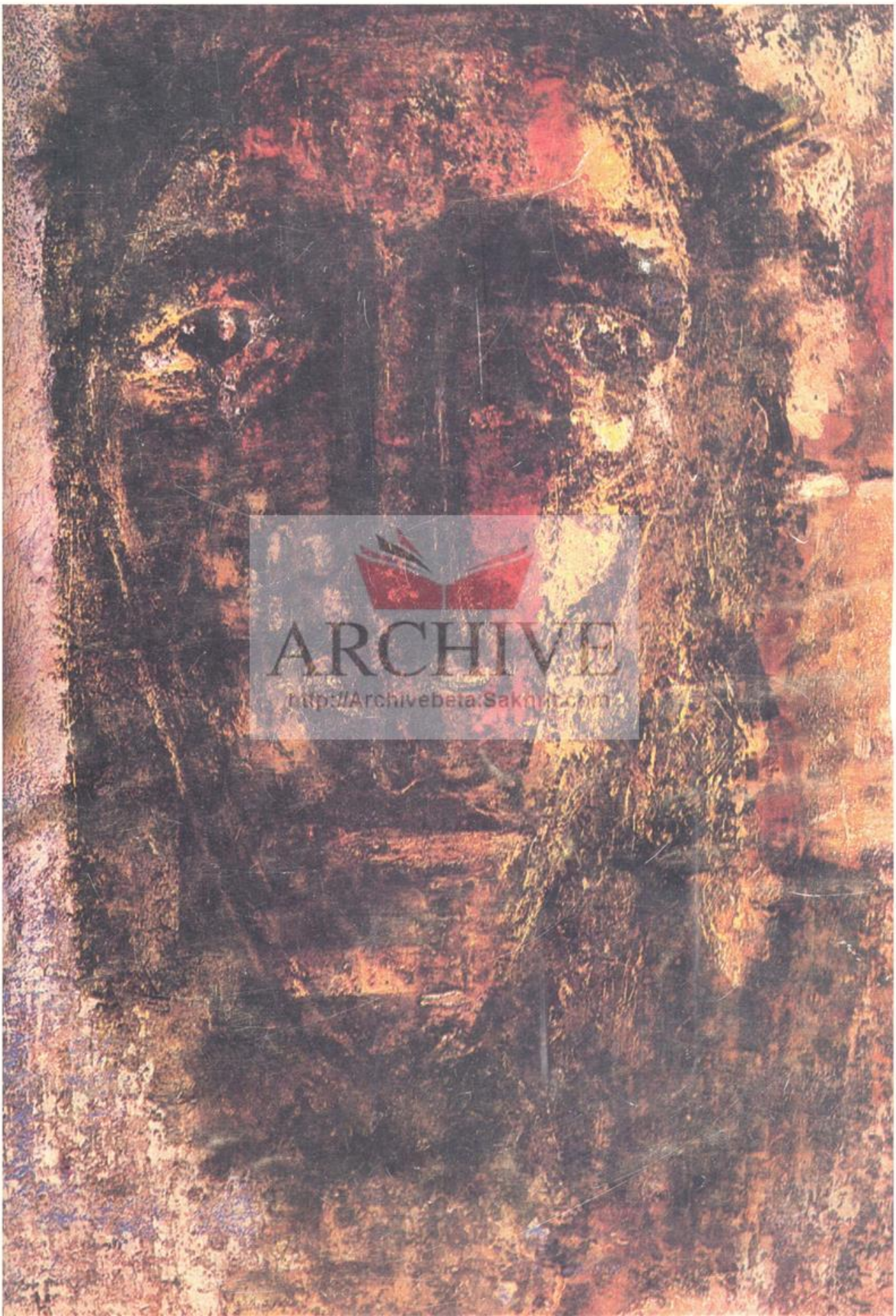
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com